

SUDANESE ETHICS

ترجمـــة

أحمد على محمد المهدى

تأليــف

تورى نوردنستام

الأخلاق السودانية

Sudanese Ethics

تأليف

بروفسير توري نوردنستام

ترجمة

د. أحمد على محمد المهدي

١٩٩٦م

الناشرون : دار جامعة الخرطوم للنشر

ص . ب : ٣٢١ الخرطوم (السودان)

الطبعة الأولى ١٩٩٦م

رقم الايداع ٩٤/٩٣/٢٨٢٠

الطابعون : مطبعة جامعة الخرطوم

المحتويـــات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة بيرقن بالنرويج على الزيارة الكريمة والمنحة المقدرة (Senior Research Fellowship) التي قدمتها لي في الفترة من أبريل إلى سبتمبر ١٩٩٠م. فقد وفرت لي الظروف الملائمة التي مكنتني من إكمال ترجمة هذا الكتاب القيِّم وإعداد كتاب آخر في فلسفة التاريخ باللغة الإنجليزية بعنوان:

(The Structure of Historical Knowledge) نشرته تلك الجامعة في سنة ١٩٩٢م.

والشكر موصول إلى السادة رئيس وأعضاء وموظفي قسم الفلسفة على حسن استقبالهم ورعايتهم لي طيلة فترة الزيارة. وأخص بالشكر البروفسير توري نوردنستام أستاذ كرسي الأخلاق بجامعة بيرقن والجامعات الاسكندنافية والأستاذ بجامعة الخرطوم سابقاً. وله ولأسرته عاطر الثناء على كرمهم الفياض وودهم المتواصل لي طيلة فترة زيارتي وقد كان لنصائحه وإرشاداته وتشجيعه لي أعظم الأثر في إكمال ترجمة هذا الكتاب. وأشكر جامعة الخرطوم التي منحتني التفرغ اللازم لتلبية هذه الزيارة وكذلك القائمين على اتفاقية التعاون المشترك بين جامعة الخرطوم وجامعة بيرقن على حسن تعاونهم وأرجو أن يكون هذا العمل دافعاً لتوطيد العلاقة بين الجامعتين وبين قسمي الفلسفة فيهما. ولا يفوتني أن أشكر البروفسير بل (Bell) أستاذ اللغة العربية والدراسات الشرقية بجامعة بيرقن على مراجعته لجزء من ترجمة هذا الكتاب، ولأخي وصديقي الدكتور المهدي مامون أبشر الأستاذ بقسم اللغة العربية بكلية الآداب، جامعة الخرطوم أجزل الشكر على ما بذله من جهد كبير في مراجعة وتصحيح مسودة الكتاب. كما أتقدم بالشكر للأخ أحمد حامد والأخ عبد المطلب حسن محمد والأخت آمال إبراهيم من مطبعة الجامعة على ما بذلوه من جهد مقدر في إعداد الكتاب للطبع والشكر موصول لأسرة دار النشر ومطبعة الجامعة على حسن تعاونهم ولكل من تعاون معي في إعداد وإخراج هذا الكتاب والشكر لله أولاً وآخراً وله الحمد في الأولى والآخرة والله ولي التوفيق.

د. أحمد علي محمد المهدي – قسم الفلسفة

جامعة الخرطوم – يوليو ١٩٩٦م

تصدير الطبعة العربية

بقلم المؤلف

نحن نعيش حالياً في عالم تلتقي فيه أعداد هائلة من التقاليد الثقافية وتتصل ببعضها البعض . ولا ريب أن دولة كالسودان مثلها مثل معظم الدول الإفريقية هي موطن لعدد عظيم من الثقافات التي تختلف وتتشابه مع بعضها الآخر في وجوه معينة . ولكي نستطيع مزاولة الحياة والعمل سوياً فإنه لابد لنا من أن يفهم كل منا الآخر . ومن هنا تتضح لنا أهمية الدراسات التحليلية للأخلاق الموجودة في السودان وفي العالم ككل .

ومما لاشك فيه أن التطورات التي حدثت في العالم في العقود القليلة الماضية قد أسهمت في تبيان مثل هذه الأهمية لكل ذلك فإنني أزجي أجزل الشكر والتقدير للكتور أحمد المهدي لما قام به من أعباء ترجمة هذا الكتاب عن الأخلاق العربية كما وجدتها في السودان عندما كنت أعيش هناك منذ بعض الوقت . إذ أنه قد أتاح بذلك للمجتمع ككل فرصة الاطلاع عليه .

كما وأنني أعبر عن عميق شكري وتقديري لأولئك الأشخاص الثلاثة الذين لم يكن في وسعي أن أكتب هذا الكتاب من غير عونهم . وكنت قد أشرت إليهم بأسماء مستعارة : علي ، إبراهيم ، وعثمان . غير أن أسماءهم الحقيقية هي : أحمد عبد الرحيم نصر ومحمد الحسن أبوزيد وعبد الرحمن المصري . وأولهم هو عالم مشهور حالياً في مجال الفلكور وعلم الأجناس أما المصري فلا أعرف عنه الآن كثيراً لكنني أتمنى أن تصله نسخة من هذا الكتاب في مكانه بالمملكة العربية السعودية * . أما أبوزيد فقد توفي للأسف . وقد عمل بعد أن أكمل الجامعة مدرساً في السودان واليمن ثم التحق بإدارة جامعة الخرطوم .

وختاماً يسرني أن أهدي هذا الكتاب إلى كل أصدقائي في السودان .

توري نوردنستام

جامعة بيرقن – اكتوبر ١٩٩٠م

---

* المترجم : الأستاذ عبد الرحمن المصري يعمل حالياً بجامعة الإمارات العربية – قسم اللغة الإنجليزية.

تصدير الطبعة الإنجليزية

بقلم المؤلف

هذا بحث في الأخلاق الوصفية مبني على مقابلات مع بعض الطلاب السودانيين الجامعيين.

فالجزء الأول من الكتاب يرسم الاطار والمنهجية - بالنسبة للبحث في الأنساق الأخلاقية معاإهتمام خاص بتلك الأوجه التي ترتبط بالتصورات الشخصية (Personality ideals) أما في في الجزء الثاني فقد تم تطبيق هذا الإطار النظري في دراسة الكيفية التي يتصور من خلالاها بعض الشباب السوداني - الذي نال قسطاً جيداً من التعليم - ، القضائل عالية القيمة من الناحية التقليدية في مجتمعهم مثل : الشجاعة والكرم والضيافة والشرف والكرامة واحترام النفس .

ويرجى أن يكون البحث الثقافي المقارن قد أثبت أهميته بالنسبة للنظرية الأخلاقية التي ظلت حتى الآن تعنى بصورة شبه مطلقة بالفكر الأخلاقي الأوروبي . فدراسات الأيدلوجيات الأخلاقية يمكن رؤيتها ، من وجهة النظر العلمية كأحد أوجه رصد المصادر الإنسانية التي يتوقع أن تساهم في دفع كل من عجلة التخطيط التنموي الواعي وتدعيم برامج التنمية . وهناك أسباب لأسداء الاهتمام الخاص بالصفوة المتعلمة في حالة التخطيط للتنمية ، لأنها هي التي تملك زمام مهمة استهلال وتوجيه تنمية البلد .

والكتاب هو عبارة عن نسخة مراجعة ومنقحة لرسالة الدكتوراه التي قدمتها في جامعة الخرطوم . ولدينا تحت الإعداد تقرير عن دراسة أخرى للأفكار الأخلاقية وسط الطلاب السودانيين الجامعيين .

ويسرني أن أعبر عن عميق شكري وامتناني لكل أولئك الطلاب والزملاء والأصدقاء الذين بذلوا يد المساعدة في المشروع . ولابد لي أن أشكر بصفة خاصة المخبرين الرئيسيين الثلاثة على تعاونهم المقدر ، وكلاً من بروفسير أ.ب كافندش(A.P. Cavendish) وهاكان تورنبوم (Hakan Tornebhm) على تقدمها الباني وتشجيعهما المستمر لي ، والمعهد الاسكندنافي للدراسات الإفريقية (The Scandinvian Institute of African Studies) على المعاونة

العلمية . كما وانتهز هذه السانحة لأعبر عن عظيم الشكر والعرفان لكل من بروفسير إى . إى أفانس – برتشارد (E.E. Evans - Pritchards) وك . ج. ازيكوفتز (K.G. Izikowits) وسفن كرون (Sven Krohn) وآرني نيس (Arne Naess) وك. أ. تراني و ج. هـ فون رايت (G. H. Von Wright) لتعليقاتهم القيمة على النسخة الأولى لهذا الكتاب . وأتقدم ببالغ الشكر والعرفان لكل من المجلس السويدي لابحاث العلوم الإجتماعية (The Swedish Research Council for the Social Sciences) ومؤسسة ناثهورطت (Œathhorst Foundation) على منحتيهما لتمويل نشص هذه الكتاب .

توري نوردنستام

تقديم الكتاب

بقلم المترجم

لا شك أن الدراسات الفلسفية في الأخلاق تعتبر من أهم وأخطر الدراسات الإنسانية المعاصرة خاصة وأنها اتجهت لتناول القضايا التطبيقية بعد أن كانت تهتم بالعموميات والكليات العقلية المجردة وتقتصر على نطاق التجريدات المحضة من مثل ما هو الخير وما هي الفضيلة ... إلخ .

والكتاب الذي بين أيدينا هو دراسة فلسفية مورفولوجية للأخلاق السودانية. وقد حدد الكاتب أولاً وبصورة واضحة منهجه الأخلاقي العام الذي يعتقد أنه من الاتساع بحيث يصلح للتطبيق عبر الثقافات المختلفة ثم قام بتطبيق ذلك على الفضائل والقيم والمعايير الأخلاقية التقليدية في المجتمع السوداني في شمال البلاد . وهو يحوى دراسة فلسفية فريدة للفضائل التقليدية السودانية لم يسبق لها مثيل في هذا المجال .

ويعود اهتمامي بترجمة هذا الكتاب لعدة أسباب أهمها :-

أ- دقة المنهج والتحليل الفلسفي الذي طرحه الباحث وبراعة تطبيقه على الأخلاق التقليدية السودانية . وعلى الرغم من أن المؤلف ليس سودانياً إلاّ أنه أبدى مهارة وخبرة علمية عالية في مجال فهمه وتناوله للموضوعات التي تتصل بالأخلاق السودانية بحيث أنك تقرأ الكتاب ولا تشعر بأن كاتبه غريب عن المجتمع السوداني . فقد أكسبته سنوات عمله بالسودان ومعايشته للسودانيين عن كثب خبرة ودراية بطبيعة المجتمع السوداني وأخلاقه كما وأن فهمه العميق لفلسفة الأخلاق قد مكنه من وضع منهج حاذق تمكن من خلاله أن يقدم وصفاً وتحليلاً مرتباً ومركزاً للفضائل التقليدية السودانية التي كانت مثار اهتمامه .

ب- لقد وجدت أن هذا الكتاب واسع الانتشار في أوساط الأجانب وخاصة الغربيين حتى أنه يعتبر لديهم مرجعاً أساسياً لكل من يريد زيارة السودان أو العمل به . فأحببت أن يكون هذا الكتاب الهام بين يدي القارىء السوداني خاصة والعربي عامة إثراء لمكتبة الثقافة

* نشر الكتاب بواسطة المعهد الاسكندنافي للدراسات الإفريقية في أوبسالا (السويد) سنة ١٩٦٨م تحت عنوان (Sudanese Ethics)

السودانية والعربية من ناحية وتحفيزاً للباحثين والدارسين لمزيد من البحث في الأخلاق السودانية والترقية للدراسات العلمية في هذا المجال لأهميتها وقيمتها الفعّالة بالنسبة لمجتمع تعددي مثل السودان . وقد ظلت مثل هذه الدراسات كمّاً مهملاً بل وفي طي النسيان بالرغم من أهميتها البالغة . ومما لا شك فيه أن مثل هذه الدراسات تعد خلفية ضرورية لفهم مقومات المجتمع وأهدافه وتصوراته للحياة الفاضلة وردود أفعاله تجاه التطورات والتغيير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والقانوني وغيره . كما وأنها تعلب دوراً رئيسياً وبارزاً في وضع وإنجاح خطط التنمية الثقافية والتعليمية والاقتصادية وغيرها وتساهم بصورة فعّالة في تحقيق التفاهم المشترك بين فئات أفراد الأمة .

ولئن كان اهتمام المؤلف قد انحصر في الجزء الشمالي من السودان فإن المجال لا زال مفتوحاً لمزيد من الدراسة الأخلاقية في هذا الجزء بالإضافة إلى أجزاء الوطن الأخرى التي تتشكل من مجموعات عديدة ذات فضائل وقيم ومعايير تتفق حيناً وتختلف أحياناً أخرى وهذا يستدعي طرح منهج واسع لدراستها مثل المنهج الذي اقترحه المؤلف بحيث يمكّننا من دراسة الأخلاق في أوساط مجموعات البلاد السكانية المختلفة . فهذا مما يمهد السبيل لقيام دراسات مقارنة للأخلاق في المجتمع السوداني بأكمله وهي مهمة تبدو ملحة حالياً أكثر من أي وقت مضى .

فالدراسة المقارنة للأخلاق في جزئيات المجتمع السوداني المتعددة وأوجه الاتفاق والاختلاف بينها مما يعمق من فهم البيئة الأخلاقية السودانية ويثرى ثقافتنا فهماً وتحليلاً كما وأنها تعين في وضع خطط التنمية العلمية المناسبة والواعية في أجزاء الوطن المختلفة كما وأنها تساهم بصورة فعّالة في إيجاد الصيغة الأمثل للتداخل الاجتماعي والتفاهم المشترك والذي يقود بدوره لبناء جسور الوحدة الوطنية في ظل الادراك الواعي للتعددية في الفضائل والقيم والمعايير والثقافة . وقد نبه بروفسير نوردنستام على ضرورة هذه الدراسات وأهميتها .

إن البعض قد يضيق ذرعاً ببعض الفضائل التقليدية وقد يخرج عليها أو قد يبقيها ولكنه يلبسها معنى جديداً في ظل معطيات ومستجدات اجتماعية جديدة في الحياة تجعل من الصعب عليه امتثال هذه الفضائل التقليدية . أي أن تبني تصور جديد للحياة قد يقود إلى منح هذه الفضائل معنى جديداً يختلف عما كانت عليه . ومما يساعد على ذلك خاصية التركيب المفتوح للفضائل التي تجعلها تقبل المعاني الجديدة التي تتناسب مع تصورات الحياة المختلفة

التي يحملها الإنسان كما أوضح المؤلف . ولا شك أن فهم تصورات السودانيين التقليدية للحياة مما يمهد السبيل إلى فهم الفضائل التقليدية السودانية التي ارتكزت عليها ونبعت منها ويؤدي إلى معرفة معانيها التقليدية وإمكانية تجديد هذه المعاني بما يوافق تصورات المجتمع المتجددة للحياة . وكما يقول المؤلف فإن الفضائل هي جزء من كل شامل هو تصور المجتمع للحياة الفاضلة ولا يمكن فهم هذا الجزء إلاّ بربطه بهذا التصور الشامل . ولابد أن أشير هنا إلى أن ما توصل إليه المؤلف في هذه النواحي من شأنه أن يدفع بالباحثين السودانيين وغيرهم لمواصلة الجهد في هذا المجال الحيوي الهام .

وبصفة عامة يقع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء رئيسية : ففي الجزء الأول يتناول الباحث مناهج الأخلاق الوصفية وهو عبارة عن دراسة في النظرية الأخلاقية قصد منها الوصول إلى تعريف جامع واسع للأخلاق يصلح للتطبيق بفعالية عبر الثقافات المختلفة بحيث يتحاشى مشكلة التحيز للعنصر ويتفادى الإشكالات التي تواجه التعريفات الضيقة المحدودة للأخلاق . كما وأنه ربط فيه بين الأخلاق والايدولوجية وانتهى في هذا الجزء إلى وضع نظرية أخلاقية تحدد معنى الأخلاق الوصفية وصلتها بالأخلاق المعيارية وموضوعات اهتمامها . أضف إلى ذلك أنه تناول فكرة الفضيلة ومعناها وأهميتها من حيث صلتها بتصور المرء الشامل للحياة وعلاقتها بالأخلاق الوصفية وشرح طبيعة التركيب المفتوح وصلته بتغيرات وتبدلات واختلافات معاني الفضائل في المجتمع الواحد ودلالات ذلك .

أما في الجزء الثاني فقد أهتم المؤلف فيه بتطبيق منهجه الذي طرحه في الجزء الأول عن الفضائل التقليدية السودانية وقد ركز بصفة أساسية على فضائل محددة انحصرت في الشجاعة والكرم والشرف والكرامة والعرض واحترام النفس : وقد قدم الباحث دراسة مورفولوجية مكثفة لهذه الفضائل خَلُصَ منها إلى أن نسق الأخلاق السودانية التقليدية يغلب عليه أنه غيري التحديد بمعنى أن مكانة الفرد الأخلاقية فيه تعتمد إلى حد كبير على اعتقادات الآخرين من الناس في المجتمع وأفعالهم . كما أنه يغلب عليه أيضاً أنه خارجي الاتجاه (outward - oriented) بمعنى أن الفضائل في نسق الأخلاق التقليدية السودانية تشير غالباً إلى ردود أفعال الآخرين من الناس في المجتمع . ولكنه استدل على وجود آثار من تأثيرات المشاعر والأفكار والشخصية والدين على هذه الفضائل مما يعني أنها أيضاً ذاتية التحديد (self - determined) وداخلية الاتجاه (inward - oriented) ولكن بدرجة أقل من التحديد

الغيري والاتجاه الخارجي بالمعنى الذي فصله الباحث في الباب الرابع .

وقد أسس دراسته وتحليلاته للفضائل المذكورة آنفاً على المقابلات التي أجراها مع ثلاثة من طلابه بجامعة الخرطوم وبعض المقالات التي كتبها بعض طلاب الجامعة وطالبات احدى المدارس الثانوية . ويرى الباحث أنه توخى تمثيل الآراء التي طرحت في المقابلات والمقالات للآراء التقليدية في شمال السودان بصفة عامة وقدم حججاً يدافع بها عن ذلك . واستنتج المؤلف في نهاية هذا الجزء الثاني استنتاجات عامة تصلح أن تكون موضوعات أبحاث منفصلة للوقوف على مدى صدقها وهي أن الأخلاق السودانية ذات صلة عظيمة بالأخلاق العربية خاصة وأخلاق سكان منطقة البحر الأبيض المتوسط عموماً . كما وأنه أشار إلى الصلة الجوهرية بين بعض الفضائل التقليدية السودانية والفضائل العربية القديمة قبل الإسلام إذ أنها غلبت عليها صفات غيرية التحديد وخارجية الاتجاه . ولكن الوقوف على تأثير الإسلام على الفضائل السودانية التقليدية بلا شك مما يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة .

أما الجزء الثالث فقد ضمّن فيه المؤلف نصاً كاملاً للمقابلات التي أجراها مع طلابه الثلاثة من غير تبديل أو تصحيح حتى للأخطاء اللغوية وذلك حرصاً منه على الحفاظ على نصوص المقابلات كما هي تفادياً للتحريف والتبديل الذي قد يؤدي إلى الإخلال بالمعاني والمفاهيم التي أوردها المخبرون والتي اعتمد عليها بصفة أساسية في تحليلاته وتطبيقاته خاصة في الجزء الثاني .

ولابد من الإشارة إلى أنه على الرغم من الصعوبات التي واجهتني في ترجمة هذا الكتاب إلاّ أنني بحمد الله قد بذلت جهدي في تذليلها بالصورة التي تمكن القارىء الكريم من الوصول لفهم المعنى المراد وقد قمت بوضع ترجمات للمصطلحات الفنية برغم كثرة ورودها في الكتاب وإثباتها باللغة الانجليزية كما وجدتها في الأصل . وأرجو أن يعذرني القارىء الكريم إذا وجد بعض الصعوبات في تتبع المعاني والأفكار الفلسفية المطروحة في هذا الكتاب اذ يجب التنبيه على أن مثل هذا الكتاب الفلسفي يحتاج إلى التأني والتأمل في قراءته لبلوغ الفهم الصحيح لما فيه وهذه بالطبع خاصية تتميز بها الكتب الفلسفية عموماً عن غيرها .

وغاية ما أتمناه أن يجد القارىء الكريم وهو يطالع صفحات هذا الكتاب موضوعات فكرية حية وشيقة تشده لمزيد البحث والاطلاع والنقاش العلمي في مجال فلسفة الأخلاق عامة

والأخلاق التقليدية السودانية على وجه الخصوص . ولا شك في أن هذا الكتاب سيكون له أثر عظيم على الحركة الفكرية في بلادنا نسبة لما تناوله من موضوعات فكرية حيوية تصلح للنقد والتحليل والتقييم وتبادل وجهات النظر حول الآراء التي ذهب إليها المؤلف ولارتباطه بموضوع الأخلاق السودانية التقليدية وهو بلا شك موضوع يتصل بالذات السودانية والمجتمع السوداني على وجه الأصالة . وآمل أن أتمكن من تقديم دراسة تحليلية شاملة للآراء التي وردت فيه قريباً بإذن الله الكريم مشاركة مني في دفع عجلة الحركة الفكرية في بلادنا وإثراء للثقافة السودانية والعربية والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل .

د. أحمد علي محمد المهدي

قسم الفلسفة – كلية الآداب

جامعة الخرطوم

بيرقن – سبتمبر ١٩٩٠م

* الأرقام الموجودة بين قوسين وعليها علامة * تشير إلى هوامش الأبواب: (١)* ، وما عداها يشير إلى أرقام المقابلات.

الجزء الأول

مناهج الأخلاق الوصفية

الباب الأول

مجال الأخلاق

إن أخلاق المرء يمكن اعتبارها جزءاً من أيدولوجيته (نهجه الخاص في التفكير) ، ولكن ليس هناك اتفاق عام حول ما إذا كانت أخلاق المرء تنتمي لزوماً إلى أيدولوجيته ، وهذه المشكلة عن مدى حجم أو كم مجال الأخلاق يمكن اعتبارها مشكلة تعريفية . وسوف استعرض [illegible]

النقاش حول منهجية الأخلاق في ضوء تناول قضية مجال الأخلاق :

١- لأن ذلك سيوفر إطاراً عاماً للنقاش المنهجي الذي سيأتي لاحقاً .

٢- لأنه من الواضح أن منهجية المرء إنما تعتمد على الكيفية التي يدرك بها مجال الأخلاق.

١-الأخلاق والأيدولوجية:

إن كلمة ايدولوجية (Ideology) مثل كلمة أخلاق(ethics) لها عدة استعمالات من ناحية المعنى . فقد أعطى قاموس أكسفورد الموجز (Oxford concise dictionary) الشروحات الآتية لمعنى كلمة أيدولوجية : " علم الأفكار ، التأمل الخيالي أو النظري ، طبيعة التفكير التي تختص بها طبقة أو فرد أي الأفكار التي في بنية نظرية ما أو نظام اقتصادي أو سياسي مثل النظام الفاشستي والنازي .

والمعنى الثاني من بين هذه المعاني الثلاثة لا يلائم اهتمامات هذا البحث . أما المعنى الأول فهو شديد الغموض على ما هو عليه ، وأما المعنى الثالث فهو شديد المحدودية . فالبيانات الخاصة بايدولوجية الطبقات والجماعات والمجتمعات والبيئات الثقافية مؤسسة في نظري بطريقة ما على معلومات أو حقائق عن أيدولوجيات أفراد من الناس والعلاقة بين البيانات ذات المرتبة العليا (Higher order Statements) التي عن أيدولوجيات الجماعات والبيانات ذات المرتبة الدنيا التي عن أيدولوجيات الأفراد (individual ideologies) انما تشكل معضلات

نظرية ومنهجية عديدة في حد ذاتها ولكنها تحظى باهتمامنا هنا.

وسوف نقتصر في هذا الكتاب على الاهتمام بالايدولوجيات الخاصة بالأفراد ، وأيدولوجية الفرد ، على وجه التقريب وليس الدقة ، يمكن القول بأنها عبارة عن النهج الفكري الذي يتميز به ولكن بالنظر إلى أهداف البحث الحالية فإنه من غير المستساغ أن نقصر استعمال مفهوم أيدولوجية ، على تفكير الفرد حول الموضوعات السياسية والاقتصادية .

لذلك فإننا نقترح التعريف التالي لمفهوم "الأيدولوجية" : أيدولوجية الفرد في هذا الكتاب تطابق في معناها كل ما يؤمن به الفرد ومعتقداته ومثله ومقاييسه وقيمه ، وبالطبع فإن هذا التعريف ليس دقيقاً لما يكتنفه من الغموض الذي يكتنف بدوره مفهوم الإيمان والاعتقاد والمثل ...إلخ ولكن غموض هذا التعريف لا يعتبر عاملاً سلبياً مادام الهدف منه هو تبيان الأيدلوجية ، كما وأنه ليس من الكياسة أن يبادر الباحث بتقديم تعريف دقيق ومحدود من الوهلة الأولى (٢)

وهذا النوع من التعريف الذي يهدف إلى إعطاء إشارة غير دقيقة عن المجال الذي يهتم به الباحث يعتبر نهجاً عاماً ومتواضعاً عليه . والأمثلة على ذلك يمكن الوقوف عليها في بداية كل مرجع جامعي على وجه التقريب وبالرغم من ذلك فإنه من الغرابة بمكان أن يكون ذلك مهملاً من جانب علماء المنطق الذين تناولوا نظرية التعريف في أبحاثهم . واقترح الإشارة هنا إلى مثل هذه التعريفات بـ "التعريفات البرنامجية (Programmatic definitions) .

وعلم الأيدولوجية (Ideological Science) يمكننا أن نقول الآن بأنه يحوى أي نوع من البحث في أيدولوجيات الأفراد والجماعات . وفي ظل تعريف الأيدولوجية المشار إليها أنفاً فإنه من الواضح أن أخلاق الفرد إنما تنتمي إلى أيدولوجيته وذلك بناء على أي تعريف اعتيادي مألوف لكلمة أخلاق (ethics) ، والأخلاق الوصفية (descrptive ethics) وهي المجال الذي يهتم بوصف وتحليل المعايير والقيم والمثل بالنسبة للأفراد والجماعات وهي جزء من علم الأيدولوجية . ولكن ليس هناك اتفاق عام حول مقدار جزء أيدولوجية الفرد الذي يجب الاشارة إليه بمثابة أخلاقه ، فما هي تلك المثل والمعايير والقيم التي هي مثل أخلاقية ومعايير أخلاقية وقيم أخلاقية ؟ وهذا السؤال هو ما سنتجه إلى مناقشته في بقية هذا الباب .

ولكن في البداية سندلف إلى توقع انحرافات التفسيرات المحتملة . في هذا الكتاب سوف نستعمل كلمة "أخلاق" (ethics) حسب الطريقة التي تستعمل بها خارج الإطار الفلسفي وعلى

وجه الخصوص للإشارة إلى نوع معين من الأنساق المعيارية (System of Norms) والقيم والمثل إلاّ إذا أوضحنا استعمالاً مخالفاً لذلك . وفي فلسفة الأخلاق (Moral philosothy) عادة ما يشار إلى الأخلاق التي بهذا المعنى "بالأخلاق المعيارية " (Normative ethics) وذلك لتجنب الخلط بينها وبين الأخلاق الوصفية (descriptive ethics) والأخلاق الماورائية أو الأخلاق النقدية (Critical ethics) والأخلاق النظرية (theoretical ethics) والأخلاق التحليلية (analytical ethics) فالأخلاق الماورائية تعتبر عادة المجال الذي يتناول مباحث مثل معنى ووظيفة الحكم الأخلاقي (ethical judgement) والمبادىء (principles) والتبريرات (justification) للأحكام الأخلاقية وطبيعة النسق الأخلاقي (ethical system) . والأخلاق الوصفية (descriptive ethics) يمكن تمييزها بأنها المجال الذي يختص بالوصف والتحليل للمعايير الأخلاقية والقيم والمثل التي لدى الأفراد والمجموعات . وفي ضوء هذه التعريفات للأخلاق الماورائية والأخلاق الوصفية نلاحظ أنه يوجد فاصل مميز دقيق بين مجال الأخلاق الماورائية والأخلاق الوصفية . فالمجالين متداخلين جزئياً ولكن الاهتمامات الرئيسية التي في كل منهما تختلف عن بعضهما البعض . فالمسألة الرئيسية التي تتناولها الأخلاق الماورائية هي البحث عن مقاييس السداد (criteria of adequacy) للأنساق الأخلاقية لهذا فإن الأخلاق الماورائية هي بالضرورة مجال تقويمي (evaluative) إذ أن موضوعها هو الاجابة على السؤال : ماذا يتطلب من الشخص حتى يكون نسقه الأخلاقي مقنعاً ؟

والأخلاق الوصفية من جهة أخرى هي مجال غير تقويمي (non - evaluative) وموضوعه هو استقصاء مسح الأنساق الأخلاقية وليس البحث عن الشروط التي ينبغي أن يستوفيها النسق الجديد . وكلما تظهر كلمة "أخلاق" (ethics) في هذا الكتاب غير مقيدة (أو مسبوقة) بكلمة وصفية أو ماورائية (meta) فإنه يجب اعتبارها اختصاراً لعبارتي الأخلاق المعيارية (normative ethics) ومعيارية أخلاقية (normatively ethical) وبعد إيضاح هذه النقطة الاصطلاحية يمكننا الآن أن نعود إلى موضوعنا الرئيسي : ما هي الأخلاق ؟

هناك اتجاه عام لمطابقة مجال الأخلاق مع مجال السلوك الجنسي (وفي بعض الأحيان يوضع تمييز بين الأخلاق (ethics) والخلق (morals) ، كما يوجد اتجاه لاستعمال كلمة خلق في الإشارة إلى المسائل الجنسية . وليس هناك دائماً ما يميز مقصود الكلمتين المراد . وفي هذا الكتاب سوف تستعمل الكلمتان : أخلاق (ethics) وخلق (morals) (ومايستنتج منهما)

من غير تمييز بينهما كلفظين مترادفين . وعلماء الاجتماع يقصرون في بعض الأحيان ميدان الأخلاق على مجال السلوك الانساني الذي تعضده الجزاءات الدينية (٤) . ويمكننا أن نميز فكرتين أساسيتين للفلسفة الأخلاقية في التراث الغربي في مجال الأخلاق : إحداهما الفكرة التي نالت الاحترام والتقدير عبر الزمن وهي أن الأخلاق مبحث (inquiry) عن الحياة الفاضلة أوالخيرة الصالحة أو ما هو فاضل وخير أو صالح بالنسبة للانسان (ارسطو طاليس) . أو بصورة أوسع من ذلك فالأخلاق هي التساؤل أو البحث العام عن ما هو الخير (ج . إ. مور) (G.E. Moore) (٥) وأما الثانية فهي أكثر حصراً ومحدودية لمجال الأخلاق حتى أن النسق الأخلاقي يصبح نسقاً واحداً من بين الأنساق القيمية الأخرى مثل نسق الحكمة والاقتصاد والسياسة (٦)* . والأخلاق (ethics) تؤخذ على أنها تشمل بعض مبادىء العدالة والمساواة والتجرد (disinterestedness) بحيث يصبح المعيار الذي لا يتسم بالسمو والتجرد أو لا يقبل الشمول (universalisable) غير أخلاقي لهذا السبب أي بموجب التعريف (٧) .

وواجبنا أن نختار من بين هاتين الفكرتين ما يناسب أغراض هذا الكتاب . والمطلوب هو التعريف البرنامجي للأخلاق .

ولكن قبل أن نشرع في هذا التعريف فمن الأفضل أن نضع في الاعتبار الشروط التي ينبغي أن يستوفيها التعريف الناجح .

٢-متطلبات تعريف الأخلاق :

إن تعريف الأخلاق ذو الفائدة لأهداف الأخلاق الوصفية لابد أن يستوفى عدة شروط هي :

١- يجب أن يتكون التعريف بوضوح من كلمات عديدة فانتقاء المعلومات يجب أن لا يعتمد فيه على بدهية ما هية الأخلاق ولكن على مقاييس (criteria) واضحة بحيث تكون مراجعتها أمراً متبادلاً ومتاحاً بين الأفراد (intersubjective) .

٢- يجب أن يحوى التعريف بعض الشبه لمفهوم الأخلاق حسب المعنى المقصود به عادة ، والا فإنه يمكن أيضاً للشخص أن يخترع مفهوماً جديداً بصفة كلية . وكما هو واضح فهذا شرط ضعيف يعطي الحرية بالنسبة لمن يقوم بالتعريف . فإذا أخذ شخص نسقاً أخلاقياً معروفاً كمثال للنسق الأخلاقي (الأخلاق الارستطاليسية أو الأخلاق عند عيسي أو أخلاق ج.س.مل (J.S. Mill) فيمكنه أن يختار بعض صفاته (Features) كخصائص لتعريف

الأخلاق ويترك البقية من صفاته جانباً باعتبارها خصائص عرضية (accidental properties) لذلك النسق بعينه وتوجد احتمالات تعريفات كثيرة يمكن للمعرف أن يختار من بينها (بحسب الأوجه التي يحرص الشخص أن ينتقيها) أوجهاً ضرورية . فمثلاً يمكن للشخص أن يؤسس تعريفه للأخلاق (ethics) على أساس محتويات النموذج الأخلاقي (paradigmatic ethics) بحيث أن أي نسق مشابه بصورة كافية لهذا النسق في ذلك المحتوى سوف يعتبر من ناحية التقسيم نسقاً أخلاقياً . أو يمكن للشخص أن يبدأ بنواح أو صفات أخرى من النسق المختار مثل تركيبه ، وظيفته الإجتماعية ، أهميته بالنسبة للفرد ، طرق التبرير التي يستعملها أو مجموعة الكلمات التي يتميز بها (٨)* .

والأمثلة التي توضح هذه الطرق المختلفة للتعريف يمكن للشخص الباحث أن يجدها بسهولة في المناقشات التي دارت مؤخراً حول طبيعة الأخلاق (٩)* .

٣- يجب أن يحدد التعريف مجالاً مهماً للبحث . وهذا الشرط بداهة هو أهم الشروط التي يجب أن يستوفيها التعريف البرنامجي (programmatic definition) وهو مثله مثل الشرطين السابقين ليس شرطاً قوياً بالمعنى الذي يضيق أو يحد التعريفات المحتملة ، فاهتمامات الناس تتباين فما يهمني أنا ربما لا يهمك أنت فالتعريف الذي سوف أتبناه يعكس مقاصدي واهتماماتي وهو بدوره لا يقدح بالشك أو الريبة بأي حال ، في الاهتمامات الأخرى . ولكنه من ناحية الأهمية العملية (مثلاً الاتصال بالمسئولين عن الانفاق المالي) ، نجد أنه من المفيد أن يكون لدينا استعمال مستقر نسبياً لمفهوم يستعمل لتحديد مبحث من المباحث وأفضل طريقة لتأكيد هذا الاستقرار ، من غير الاخلال باهتمامات البحث المشروعة ، هو أن نختار تعريفاً واسعاً أي متسعاً في مداه (wide definition) والكيفية التي يمكن أن يكون بها التعريف البرنامجي واسعاً ، من غير أن يصبح المجال الذي يحدده مفتقداً لقيمته وأهميته هي أنه يجب أن يعتمد على الظروف وليس هناك جدوى من رسم أي قواعد عامة . فالشرط الذي قصد منه تأكيد الاستقرار في استعمال المفهوم يمكن إذن رسمه بصورة غامضة كما يلي :

٤- يجب أن لا يحدد التعريف مجالاً ضيقاً . فتعريف الأخلاق الذي يقصر الأخلاق الوصفية على مباحث الحضارة الغربية مثلاً سيكون بداهة غير ملائم لأغراض هذه الدراسة ، على سبيل المثال . ونضع كشرط متفصل :-

٥- يجب أن يصلح التعريف للتطبيق على الثقافات المختلفة (intercultural) وبالاضافة لذلك فمن الأفضل رسم التعريف بطريقة لا تجعل اختيار المعلومات صعباً لا يطاق . ويجب أن يحمل التعريف ضمانة بفائدته من الناحية العملية في متابعة البحث في الأخلاق الوصفية(١٠).

٦- يجب أن يكون التعريف قابلاً للتطبيق بفعالية (effectively applicable) وهذا أهم شرط من وجهة نظر المنهجية الأخلاقية (ethical methodolgy). ومن السهولة أن تجد أمثلة لتعريفات كثيرة للفضيلة (virtue) وصفة الشخصية (راجع الباب الخامس أدناه) وسوف نتوسع أكثر في شرح العلاقة بين التعريف (definition) والمنهجية في الفصل القادم . وسوف أعود لتناول السؤال ما ورد في تعريفات براندت (Brandt) ولاد (Ladd) للأخلاق (ethics) (أنظر الفصل الخامس «ب» «س» أدناه).

وهذه الشروط التي طرحتها هي التي ينبغي أن يستوفيها تعريف الأخلاق (ethics) ليصبح موافقاً لأهداف الأخلاق الوصفية (descriptive ethics) . وينبغي أن نشير إلى أننا لم نضيف إليها شرطاً حول الدقة (precision) ، إذ أنني أرى أنه من الخطأ الشنيع أن يُطلب في التعريف البرنامجي شرطاً بوجوب تحديده لمجال مبحثه بصورة دقيقة . فالحدود الدقيقة يمكن استنتاجها بصورة مفيدة بعد التوصل إلى قدر كبير من الاستكشافات المبدئية وتكوين النظرية . وتنطبق نفس هذه الشروط مع إجراء التغييرات اللازمة على تعريفات الحقائق الثقافية (cultural entities) التي تستعمل في الأبحاث الثقافية المقارنة مثلاً: مفهوم أيدلوجية وفضيلة.

وقد يطلب البعض ما يبرر متطلبات أو شروط التعريف البرنامج. والإجابة على هذا الطلب ببساطة هي أن الهدف من إنشاء هذه المقاييس هو القيام بشرح أو إيضاح ما هو موجود ضمنياً ولذلك فلا توجد هناك ضرورة لأي تبرير أكثر من ذلك لهذه المتطلبات لأن هذه الشروط توضح بصورة جلية ماذا يُعنى بالتعريف البرنامجي الجيد. فالقارىء لابد له أن يقرر لنفسه عما إذا كان في اعتقاده أن هذه الشروط وافية أو غير وافية.

٣- تعريف الأخلاق :

بعد هذه الأمثلة يمكنني الآن أن أطرح تعريف الأخلاق الذي أريد أن أتبناه بالنسبة

لأهدافي في هذا السياق والذي أدعو الآخرين للنظر فيه وتدبره. إن الأخلاق (بمعنى الأخلاق المعيارية) (Normative Ethics) كما أرى هي البحث عن الحياة الفاضلة (good life) وواجب الأخلاق المعيارية هو أن تحدد ما هو نوع الحياة التي ينبغي للشخص أن يعيشها أو يحياها.

لذا فإن أخلاق الفرد تحتوي على كل تلك المثل العليا والمعايير ومبادىء الصواب والخطأ والحسن والقبح للحياة الفاضلة ووفقاً لهذا التعريف فالسؤال يعتبر أخلاقياً (ethical ques- tion) بحسب صلته بنوع الحياة التي يرى أحد من الناس أنه ينبغي له أن يحياها. وكل شيء يوافق لتصور أحد من الناس للحياة فهو من الناحية الأخلاقية ملائم له. ولكن من الواضح أن بعض الاعتبارات أو الأشياء ستكون أكثر أهمية من غيرها وبعضها الآخر سيكون له مجرد أهمية جانبية سطحية. والأخلاق بهذا المعنى الواسع لا تعنى بأي مجال خاص من مجالات الشئون الإنسانية. فمجال الأخلاق يتطابق مع مجال الحياة الإنسانية ولكنه لا يتطابق معها تماماً.

إن تعريف الأخلاق الوصفية ينتج مباشرة من تعريف الأخلاق (المعيارية) الذي أشرنا له قبل قليل لأن – الأخلاق الوصفية هي وصف وتحليل لأنساق الأخلاق المعيارية . والأخلاق الوصفية في هذا الكتاب إنما تهتم بوصف وتحليل تصورات الحياة .

ويبقى علينا أن نثبت أن التعريف الذي طرحناه يستوفي الشروط الستة التي وضعت في الفصل السابق .

١– لقد أعطيت تعريفاً لفظياً : لذلك فقد استوفى الشرط الأول .

٢– والتعريف الذي طرحته ليس جديداً ، فهو تعريف بحسب التقليد الأرسططاليسي المشار إليه آنفاً . لذا فقد استوفى الشرط الثاني .

٣–٤– وهو تعريف واسع بحيث لا يتعرض لمجازفة عدم استيفائه للشرط الرابع ، ولكن السؤال عما إذا كان هذا التعريف محدداً ومقلصاً لمجال بالغ الاتساع فهو ما لا أعتقده وفكرة التعريف حقيقة موجهة – مثلاً ضد أولئك الفلاسفة الأخلاقيين الذين قصروا مجال – الأخلاق فقط على مسألة متى تكون الأفعال صائبة وخاطئة و يهمل الباحث أننا إذا نظرنا إلى هذه

المسائل في القرائن المعقدة (complex contexts) للتصورات الكلية للحياة فإن ذلك سيساعد على إضفاء حيوية جديدة على مجال فلسفة الأخلاق الذي يتسم بالنزعة الأكاديمية ويتجه في الحاضر لإعطاء انطباع أنيمي (فقير) فالضيق الشديد لميدان الاهتمام كما أرى هو أحد السببين لهذا الانطباع والسبب الثاني هو غلبة وطغيان التصور العقلي وسوف نتناوله في الباب التالي . والحاجة حول فكرة أثر صلاحية الرؤية الواسعة للأخلاق لأكثر من ذلك إنما ستكون مجرد مضيعة للوقت . فالدلالة سوف تكون متضمنة في النتائج - ونجاح البرنامج بصفة كلية هو وحده الذي يمكن أن يحدد ما إذا كان التعريف البرنامجي سديداً أو غير سديد .

٥- إن اتساع التعريف يضمن قابلية تطبيقه عبر الثقافات المختلفة إذ أنه في أي ثقافة يمكن للباحث أن يجد أفكاراً عن نوعية الحياة التي ينبغي للفرد أن يحياها أو يعيشها وماذا يجب على الشخص أن يفعل وماذا يجب عليه ألاّ يفعل وما هو الحسن وما هو القبيح .

٦- وبالأحرى فإن التعريف غير دقيق على ما هو عليه ، فهو يشير إلى مثل ومعايير وقيم وهلمجرا تتصل بطريقة ما بتصور لما تحتوي عليه الحياة الفاضلة . ولكي نجعل هذا التعريف فعالاً من الناحية العملية فإنه يجب علينا أن نحدد الطرق أو المناهج التي تمكن الباحث أن يقرر متى يجب أن يقال أن لفرد ما مثل وأنه يقبل معياراً ما أو يعتقد في قيمة ما . وهذا الواجب يقع في إطار منهجية الأخلاق (ethical methodology) . وسيكون من الخطأ أن نشترط وجوب اعتصار منهجية بأكملها في تعريف ما . ويوجد ميل لوضع شروط مغالية ومبالغ فيها في التعريفات مما يستوجب على الباحث أن يحترز منها (١١) .

والشرط حول الفعالية يجب تفسيره على أنه يتطلب أن يكون التعريف ملائماً مع منهجية صائبة صحيحة لا على أنه يتطلب مسبقاً وجوب وجود المنهجية بأكملها . وهذا يختلف مثلاً عن تعريف الأخلاق في مصطلحات التحليل النفسي (pschoanlytic terms) والتي لا تقود على وجه التقريب إلى منهجية صائبة صحيحة وفوق ذلك ، يبدو أن التعريف الذي طرحناه ربما يمكن أن يكون قابلاً بفعالية للتطبيق بمواصفات ملائمة. أن أحد أهداف الأبواب التالية هو وضع تعريف أكثر فعالية للأخلاق الوصفية أي بالمعنى المطلوب في الشرط السادس . ولذا فلربما فعل القارىء خيراً في رفعه لحكمه على فعالية التعريف المقترح إلى حين .

٤- خصوصية نفوذ الأخلاق:

إن الاعتبارات الأخلاقية في بعض الأحيان تعد أكثر أهمية من غيرها من الاعتبارات مثل اعتبارات الفطانة والجمال والسياسة ولذلك إذا حدث شيء من التضارب أو الصراع بين الاعتبارات الأخلاقية وغير الأخلاقية فإن الاعتبارات الأخلاقية تنال الأولوية على غيرها . وقد يدعى أن قوانين الأخلاق تكون مطاعة وذلك لأنها ببساطة تأمر وتوجه ، كما يقول بعض أصحاب الرأي ، (١٣)* والنظرة الموجزة إلى السؤال : لماذا يجب أن تعطي الأسباب الأخلاقية وزناً أكثر من غيرها ؟ سوف يساعد في إبراز الفرق بين الفكرة المتسعة للأخلاق التي دافعنا عنها في الفصل السابق وبين الفكرة الضيقة لها . فإذا أخذ أو تبنى أحد النظرة الضيقة لمجال الأخلاق واعتبر الأنساق الأخلاقية كأحد أنواع النسق القيمي بنفس القدر من التساوي مع الأنساق الأخرى ، فإن ذلك سوف يستوجب عليه تقديم تبرير لوضعه الأنساق الأخلاقية في موضع بين حافتي الموقد الملتهب (primus interpares) . فالسؤال : لماذا يجب أن يكون الشخص أخلاقياً ؟ سيصير مشكلة معيارية مهمة بناء على هذه النظرة ، ولكن إذا أخذنا مجال الأخلاق على أنه يشمل ذلك الجزء من الأيدلوجية ككل ، والذي بدوره يعنى بالمعايير والقيم ، فسوف لن تكون وجهة النظر الأخلاقية مجرد وجهة نظر واحدة من بين عدة وجهات نظر بل ستكون بموجب التعريف هي وجهة النظر الشاملة ومن هنا فإن السؤال : لماذا تكون أخلاقياً ؟ سينتفي عن أن يكون مشكلة معيارية مهمة على أساس هذه النظرة ، وذلك لأن إقرار النظر إلى المسألة في الإطار والسياق الواسع لمنهج حياة بأكمله وليس من وجهة نظر الاختصاصي الذي نادراً ما يحتاج إلى تبرير وبالأحرى فإن القرار بعدم تبني وجهة النظر الأخلاقية بهذا المعنى العام هو الذي يحتاج إلى تبرير وهذا يعنى أن عبء استجلاب الدليل إنما يقع على كاهل الشخص الاختصاصي وليس على العامل الأخلاقي.(١٤)

٥- مقارنة مع بعض التعريفات الأخرى للأخلاق:

لم يبد الفلاسفة عموماً اهتماماً بالأخلاق الوصفية يمثل اهتمامهم بالأخلاق المعيارية وما وراء الأخلاق وفي العقد الأخير ، أو شيء من ذلك نشرت ثلاثة أبحاث كاملة بواسطة ثلاثة فلاسفة محترفين وهي :

تجارب في الحياة (Expriments in living) لماكبيث (Macheath) والأخلاق الهوبية

(Hopi Ethics) لبراندت (Brandt) ودراسة في الأخلاق النافاهوية (Astudy Navahi Ethics) للاد (Ladd) (١٥) .

والمقارنة بين مناهج هذه الدراسات ومنهجي هذا سوف تساعد على ما اعتقد في إيضاح موقفي وفي نفس الوقت سوف تزجي التقدير والثناء للأعمال التي تعلمت منها الكثير عن منهجية الأخلاق .

(أ) لقد وجدت نفسي موافقاً بالكلية مع نقد ماكبيث للنزعات المعاصرة لدراسة الأخلاق بطريقة ذرية (an atomistic method) (١٦) ومتفقاً مع تأكيده وتركيزه على ضرورة النظر إلى المسائل الأخلاقية في إطار منهج كامل للحياة . لقد دخل ماكبيث على دراسة الأخلاق بروح التقليد الأرسططاليسية أي أن الأخلاق تعني بما هو الأفضل للإنسان (what is good for man) (١٧) .

يقول ماكبيث (إن الأخلاق تعنى بالحياة كلها من غير أن تكون هي ذاتها ذلك الكل . وهي تعني بالحياة كلها بمعنى أن الاعتبارات الأخلاقية يمكن أن تنشأ في أي مستوى من مستوياتها . أي أنَّ الحكم الأخلاقي (moral judgement) في كل مستويات الحياة هو الحكم النهائي ولا يمكننا أن نفهم أو نبرر حكم أخلاقي ما ، من غير أن نأخذ في الحسبان منهج الحياة بأكمله . (١٨) فالآراء التي وردت في الفصلين السابقين لا يمكن تلخيصها بطريقة أفضل من ذلك .

(ب) لقد استعمل براندت (Brandt) "الأخلاق" بمعناها الضيق المحدود فهو لم يرغب في استعمال كلمة "أخلاقي" (ethical) بذلك المعنى الواسع حيث أن أي مسألة حول ما هو مرغوب فيه يمكن تسميتها مسألة أخلاقية وأي اتجاه إيجابي أو سلبي بصفة عامة يرتبط بأهداف ما أو معاملة ما يعتبر اتجاه أخلاقي وقد اقترح استعمال الكلمة (أخلاق) بمعنى تصير بموجبه المعتقدات (beliefs) حول الالتزامات والواجبات والأفعال التي تستحق المدح والتي تستحق الذم وحقوق الإنسان معتقدات أخلاقية . (١٩)* الفكرة الأساسية بالنسبة لبراندت هي فكرة الاتجاه الأخلاقي (ethical attitude) والذي عرفه بأنه استعداد أو ميل للحصول على ردود فعل مؤثرة تكون :

(أ) خالية متجردة من المصلحة أو الغرض بمعنى أنها لا تعتمد سببياً : على أي من رغبات

الفرد الشخصية باستثناء رغبته في أن يفعل بصورة صحيحة أو صائبة وأن يكون هو ذلك الشخص الذي ينبغي له أن يكون ، أو الارتباطات بالنسبة لأفراد من الناس أو الاتجاهات نحو المجموعات الإجتماعية أو المراتب الإجتماعية .

(ب) إحساس بالإلتزام أو بردود الفعل المستخرجة بواسطة الأحكام من الأفعال الاختيارية أو الدوافع أو الصفات الشخصية . (٢٠)* وكما يبدو لي فإن هذا التعريف شديد الضيق أو المحدودية بالنسبة لمقاصد الأخلاق الوصفية وذلك لسببين اثنين هما : أن هذا التعريف يسمح فقط بالاتجاهات الأخلاقية نحو الأفعال والمقاصد والصفات الشخصية ولكنه لا يوفر احتمال الإشارة إلى الاتجاهات مثلاً نحو توزيع السلع والعلاقة بين الدولة والفرد كاتجاهات أخلاقية . فهذا التعريف بالفعل يقصر مجال الأخلاق على الأخلاق الشخصية وذلك على حساب – مثلاً الأخلاق السياسية كما وأنه يستبعد احتمالية الاتجاه الأخلاقي الذي يعتمد سببياً على رغبات الفرد الشخصية . لذلك فإنه يستبعد على أقل تقدير بعض ضروب الأنانية من مجال الأخلاق . لذا فهذا التعريف كما يبدو إنما يعكس النظرة الغربية في الأخلاق نحو الأنساق الأخلاقية الإيثارية والشمولية (altrustic and universalistic systems) ولكن يبدو لنا أنه من غير الصحيح أن يُطرح تعريف للأخلاق يحكم مسبقاً بمسألة معيارية الاستحقاقات النسبية للأنانية والإيثار (egoism and non egoism) . فالتعريفات التي تأتي عن طريق سلب المصلحة أو الغرض والشمولية وهلمجرا تتجه تقريباً لتكون مقنعة للضمير والوجدان فهي تمهد الطريق للتصورات التي طرحها وتبناها المعرف . ولكن إقحام إعلان أو نشر الشخص لآرائه الأخلاقية الخاصة لا مكان لها في الأخلاق الوصفية . فالناقد غير المتأمل يمكنه أيضاً أن يبين أن ما يعنيه معنى رد الفعل عندما لا يكون مصلحياً (أو خالياً من الغرض الشخصي هو تقريباً صيرورة كل ردود الأفعال غير أخلاقية (non - ethical) (وهل توجد هناك أي ردود أفعال ليست معتمدة سببياً بطريقة ما على رغبات أحد الشخصية ؟) ولكن هذا الخلل يمكن معالجته في نظري بسهولة ويسر .

واعتراضي على تعريف برندات للأخلاق إذن هو أنه فشل في استيفاء الشرط الرابع بالنسبة للتعريف البرنامجي للأخلاق . فهو تعريف بالغ الضيق وشديد المحدودية . ويبدو أنه يلائم جيداً بقية الشروط باستثناء الشرط السادس عن الفاعلية تقريباً . ولكي نجعل هذا التعريف قابلاً للتطبيق بفعالية فلابد أن نقصده أو نسنده بمقاييس عملية مثلاً لتمييز الشعور

أو الإحساس بالالتزامات من أنواع الشعور الأخرى والباحث مسبقاً عن احتمال اتخاذ مثل هذه المنهجية ربما ينشأ لديه ظن بأن مدخلاً أقل سيكلوجية سيكون أكثر ملائمة لمجال العمل الأخلاقي .

(ج) أما لاد (Ladd) فإنه خلافاً لماكبيث (Macbeath) وبراندت (Brandt) فقد رسم بوضوح وناقش عدداً من المتطلبات أو الشروط التي لابد أن يستوفيها التعريف الناجح للأخلاق . وفي اعتقادي أنه بإمكان الباحث أن يجد عبارات أو إشارات لمعظم الشروط الستة الموضحة سابقاً في مكان أو آخر في معرض نقاش لاد(Ladd) المطول لمسألة التعريف . (٢١)* وقد قام لاد بعمل إضافتين مهمتين إلى القائمة وهي مما يحتاج إلى شيء من التعليق.

فبالإضافة إلى شروط المطابقة للاستعمال المألوف وقابلية التطبيق بين الثقافات المختلفة والفعالية وهلمجرا . فقد اشترط لاد الشروط التالية :

١- يجب أن يعطينا التعريف الوافي المقنع لمبادىء الأخلاق والخلق والذي يريد أن يميزه عن مبادىء الأخلاق تفسيراً سديداً لفكرة الالتزام الخلقي (moral obligation) .

٢- يجب أن يتناول التعريف الأخلاق من وجهة نظر المخبر (the informant) (٢٢) وسيكون من الأسهل والمستساغ تناول النقطة الثانية أولاً .

ذهب لاد (Ladd) في نقاشه إلى أنه إذا بحث أحد عن إلى أي مدى يقبل شخص من ثقافة أخرى مبادىء أخلاقية مثل مبادئه نفسه ، فيكون بذلك مداناً بالعرقية (ethenocentricism) . ومثل هذا البحث سيعطي بالضرورة فكرة مغلوطة ومشوهة لأخلاق المخبر . وبمقارنة نهجه مع نهج براندت فقد أدعى لاد (Ladd) أن أغلب دراسة براندت (Brandt) للأخلاق الهوبية (Hopi ethics) يحتوى على بحث للثقافة المقارنة بالقدر الذي يقبل فيه الشخص الهوبي مبادئاً مثل مبادئنا ، هذا في حين أنه هو نفسه أي لاد عني بتقديم نسق الأخلاق النافاهوية كما تبدو لأستاذ الأخلاق النافاواهي المخبر (Navaho moralist informant) (٢٤) وهذا تهويل للفرق بين ما قام به براندت ولاد . فهناك ثلاثة نقاط يجب أن نفسرها ونزيل الغموض عنها : الأولى هي أنه إذا كان لباحث ما اهتمام بدراسة الأنساق الأيدولوجية (مثلاً النسق الأخلاقي لمخبر ما) فإنه من الضروري بلاشك أن يتبنى وجهة نظر المخبر ، وإلاّ فإنه اضطراراً سيخطىء بعض الأجزاء التي يعتبرها المخبر نفسه أجزاءاً من النسق موضع السؤال . ولاشك أن لاد

(Ladd) هنا قد كان أكثر اهتماماً بالسمة النظامية للأخلاق من براندت (Brandt) ولكن هذا لا يعني (وهذا يقودنا للنقطة الثاني) أن منهج براندت (Brandt) لم يكن أكثر أو أقل عرقية من منهج لاد (Ladd) فقد اختار براندت صفتين من بعض أنساق الأخلاق الغربية هما تجردها وميلها نحو إعلاء ردود أفعال معينة كصفات تعريفية بالنسبة لأي أخلاق ومن ثم مضى في فحص تلك الصفات كما تحصل في بيئة أخرى ليست ذات ثقافة غربية . وقد اختار لاد (Ladd) نواح أو صفات أخرى لبعض أنساق الأخلاق الغربية – وهي أنها تحوى إرشادات ذات نفوذ خاص وشرعية كصفات تعريفية بالنسبة لأي أخلاق ، ثم اتجه إلى فحص هذه الصفات كما تحصل في ثقافة أخرى ليست غربية، وأي فحص لثقافة من الثقافات بواسطة ثقافة أخرى يستلزم أن يكون عرقياً، بمعنى أن المفاهيم التي يرجع إليها الباحث في دراسته هي بدورها عرقية . والنقطة الثالثة هي أنه بالرغم من أن أي فحص للثقافات المقارنة هو بالضرورة عرقي بهذا المعنى الضعيف الذي فسرناه قبل قليل ، لكنه لا يلزم أن يكون ويجب أن لا يكون – عرقياً بمعنى آخر، وهو المعتاد لتلك الكلمة، وتجنب العرقية بهذا المعنى إنما يعني مثلاً تجنب إقحام الدوافع الشخصية وردود الأفعال تجاه الشخص الذي تحت الفحص إذا لم يوجد دليل يخول للباحث أن يقوم بعمل ذلك . ولتجنب العرقية بذلك المفهوم في البحث الأيبولجي فلا شك إن تبني وجهة نظر المخبر، تعتبر فكرة طيبة ، بمعنى أن نحاول الوصول لمعرفة رؤية المخبر لها . ولكن لا يبدو من الضروري إدخال هذه الجزئية عن المنهجية في مجرد تعريف الأخلاق بالصورة التي يريد فيها لاد بطريقة ما أن يفعل ذلك . (راجع تعليقاتي عن الشروط المبالغة والمغالية للتعريف البرنامجي في الفصل الثالث) فهذا هو إذن اعتراضي الرئيسي على شرط لاد (Ladd) (٢٥)*.

وانتقل الآن للنظر في شرطه الآخر (١) ، حول تعريف الأخلاق . لقد ركز حقيقة على تأكيد أهمية التمييز بصورة واضحة جلية على وجهة نظر المخبر ووجهة نظر الباحث . ومع ذلك يبدو بوضوح أنه عندما يدعي أحد أن جوهر أي نسق أخلاقي يحتوى على عبارات الالتزام الأخلاقي فإنه قد فشل في التمييز بين كيف يضطره إطاره التحليلي (analytical frame work) لينظر في أخلاق المخبر وكيف ينظر المخبر نفسه إليها . ويبدو أن لاد (Ladd) يفسر عبارات الالتزام الأخلاقي بطريقة تجعل مثلاً عبارة الفضيلة ليست عبارة التزام أخلاقي (٢٦) ولكن من السهل أن نتصور نسقاً أخلاقياً تكون فيه عبارة الفضيلة مركزية من حيث الأهمية

من وجهة نظر المخبر . وبمصطلح الباب الرابع أدناه فإن تعريف لاد (Ladd) للأخلاق هو تعبير عن منهج مركزية الفعل (action centered approach) في الأخلاق وهو منهج يعجز عن أداء النظرة العادلة إلى الأنساق الأخلاقية ذات مركزية العامل (agent - centered ap- proach) ويعتبر لاد أن تعريفه للأخلاق له نتائج منهجية ولكني وجدت أنها غير مقبولة . فهو يرى أنه إذا كانت عبارات الالتزام الخلقي مركزية العامل فإنه ينبغي للباحث أن يبدأ بمعرفة الإرشادات الخلقية (moral prescriptions) المقبولة بالنسبة للمخبر في أي فحص أو بحث للأخلاق الوصفية وقد أدعي حقيقة أن الباحث يجب أن يبدأ بمحاولة استخراج عبارات وصفية معينة من جانب المخبر . (٢٧) وسوف أقول إنه على العكس من ذلك لأن منهج مركزية العامل يمكن أن يكون أفضل أو أكثر فائدة من وجهة النظر الدراسية الاستكشافية كما وأنه قد يكون من المفيد أن تستخرج عبارات عامة لنبدأ بها (أنظر الباب الرابع الفصل الخامس أدناه)

٦- الملائمة الأخلاقية والسداد الأخلاقي :

تبقى لنا مصدر آخر من مصادر الخلط أو الارتباك نريد أن نزيله قبل أن نترك مسألة تعريف الأخلاق وهو أنه يوجد اتجاه في نقاشات طبيعة الأخلاق لخلط مفهومين اثنين معينين للمصطلح "أخلاقي" أو "خلقي" وهما : المفهوم الذي تكون فيه كلمة "أخلاقي" (ethical) أو خلقي (moral) تتضاد أو تتناقض مع كلمة غير الأخلاقي (non - ethical) أو غير الخلقي (immoral) وسوف أشير إلى مقاييس ما هو أخلاقي (ethical) بالمفهوم الأول بمقاييس الملائمة الأخلاقية (critèria of ethical relevance) وإلى مقاييس ما هو أخلاقي بالمفهوم الثاني بمقاييس السداد الأخلاقي (criteria of ethical adeguacy) .

فيمكن أن يقال عن مسألة ما أنها ملائمة لشخص ما ، سمه ب ، بالقدر الذي تلائم فيه تصوره للحياة فبالنسبة للشخص الذي يرى الخير للإنسان عن طريق المصلحة العامة، فكل شيء يؤثر في المصلحة العامة سيكون أخلاقياً و بالنسبة للشخص الذي يرى الخير للإنسان بمقياس ديني كالنجاة أو الخلاص الروحي فمجال ما هو ملائم أخلاقياً سوف يشمل كل شيء متصل بهذا العامل ، وهلمجرا ويبدو أن هذه النقطة قد أهملت أحياناً من جانب الكتاب الذين يفترضون أن الأخلاق لا يمكن بحال أن تبنى على الدين وفي الواقع فإن التصورات أو النظريات المختلفة التي تدور حول ما هو ملائم أخلاقياً يمكن أن تشكل عقبة فعالة للاتصال أو التفاهم الناجح حول المسائل الأخلاقية - مثلاً المجموعات الدينية والغرباء عليها . وإزالة هذه

العقبة يتطلب تصوراً عاماً لما هو ملائم أخلاقياً .

فيمكن أن يقال عن مسألة ما أنها تتصف بالملائمة الأخلاقية العامة أو ذات ملائمة أخلاقية عامة بالقدر الذي تتصل فيه بتصور شخص ما للحياة ومقاييس شخص ما للملائمة الأخلاقية وتحديد مجال الأخلاق بالنسبة لذلك الشخص . أما مقاييسه للسداد فلها وظيفة أخرى . فهي تقسم مجاله الأخلاقي إلى جزئين هما السديد وغير السديد. ويمكن للباحث أن يستعمل مبادىء الملائمة التي لدى شخص ما ليقسم مثلاً مبادىء الفعل (principles of action) إلى مبادىء أخلاقية (moral principles) وأخرى لا أخلاقية (non - moral) ولكن لكي يقرر أحد ما هو سديد أو جيد التبرير من بين هذه المبادىء فإنه يتوجب عليه أن يطبق مقاييسه في السديد.[9]

إن مقياس الشمولية (universalisablity) والعمومية (generalisability) والإيثار (disinterestedness) تتخذ في بعض الأحيان كمقاييس للملائمة الأخلاقية أنظر مثلاً تعريف براندت للأخلاق والذي اقتبسناه آنفاً . ولكن إذا كان التعريف الواسع للأخلاق مطمئن أبداً فإن مثل هذه المقاييس كان من الأفضل أو الأجدر اعتبارها مقاييس سدادية مقترحة لكي تمكن الشخص من الإشارة إلى مبادىء الأنانية (egoistic principles) كمبادىء أخلاقية بدلاً عن إلغاء أي نقاش لسداديتها الأخلاقية ابتداءاً، عن طريق إرجاعها إلى مجال خارج الأخلاق (non - ethical) فعندما تستعمل مقاييس السداد كمقاييس للملائمة فإن هذا يعني فتح الباب على مصراعيه للخلط بين اللا أخلاقي (unethical) والخارج عن مجال الأخلاق . (non - ethical)

الباب الثاني

التصور الاستنباطي

يحظى التصور الاستنباطي على شعبية مدهشة في أوساط فلاسفة الأخلاق . وهدف هذا الباب هو البرهنة على عدم إمكانية إثبات هذا الاستنباط في الأخلاق ورسم الاستنتاجات المنهجية والمترتبة على رفض النماذج الاستنباطية .

١-النموذج الاستنباطي :

إن الحجة الأخلاقية وفقاً لتصور واسع الانتشار عن التعليل الأخلاقي (Moral reason-ing) ، تحتوي بالضرورة على تطبيق المعايير الأخلاقية على مواقف معينة فعالم الأخلاق يرسم ويدافع عن معايير معينة . وعندما تكون الحقائق المتعلقة – بحالة معينة ، معروفة تصبح المسألة مجرد تطبيق للمعيار الملائم للحقائق ، ثم استخلاص النتيجة اللائقة عن طريق المحاجة القياسية (Sullogistic reasoning) والمقدمة والتي تصف الحقائق وتوضع تحت المعيار المناسب ، ثم يتلو الاستنتاج بعد ذلك تلقائياً . وسوف أسم هذا الرأي الذي يصف ماذا يحدث في الحجة الأخلاقية النموذج الاستنباطي (Subsumption model) .

وهذا الرأي يؤدي إلى إنقسام دقيق للعمل في الأخلاق . فمبادىء الأخلاق هي مما يُعنى به عالم الأخلاق . وقد انقسمت وجهات النظر حول ماذا كان عالم الأخلاق بوصفه عالم أخلاق يجب أن يعمل كعالم أخلاق بهذا المعنى . فوجهة النظر المتطرفة تقول إنه لا يجب عليه ذلك ، وهذا يجعل من مجالات ما وراء الأخلاق (metaethics) والأخلاق الوصفية المجالات الوحيدة المناسبة لاختبارات فيلسوف الأخلاق . أما بالنسبة لوجهة النظر التي أقل تطرفاً فإن المسائل المعيارية العامة هي أيضاً إنما تنتمي لمجال فلسفة الأخلاق ولكن كلا وجهتي النظر تتفقان في أن تطبيق المبادىء هي عملية ميكانيكية يمكن تركها بأمان لمن أشار إليهم استيفنسون (stevenson) بالاختصاصين وهم أولئك الاختصاصيين الذين تمكنهم معرفتهم المتخصصة

عن علاقات الوسائل والغايات وعن الحقائق من تطبيق المعيار المعطى على مواقف معينة (١)* والنتيجة هي التمييز الصارم بين النظرية الأخلاقية التي تعنى بالمبادىء العامة من جهة والممارسة الأخلاقية والتي تعنى بتطبيق المبادىء العامة من جهة أخرى . وهدف هذا الباب هو تبين أن الاعتقاد في مثل هذا التمييز الصارم لا مبرر له .

والصورة المعروفة لاستعمالات النموذج الاستنباطي (Subsumption model) يمكن أن نجدها في تقليد النفعية (utilitarian tradition) . فالنفعي يصيغ المبادىء الأساسية للأخلاق - مثلاً - الفعل) ومن ثم يقدم حججاً تؤيد تلك المبادىء وبعد إضافة بعض المواصفات وإزاحة الاعتراضات فإنه يترك الأمر للعاملين الأخلاقيين (moral agents) ليطبقوا المعايير على مواقف معينة . فإذا وجد العامل أن الفعل (أ) غالباً ما يزيد في مقدار السعادة فإذن يكون فعله لـ (أ) صائباً صحيحاً كما وأن فعله لـ (أ) خطأ إذا وجده يقود إلى عكس ذلك (٢)* ويمكننا أن نجد مثالاً آخر لاستعمال النموذج الاستنباطي في إعادة لاد(Ladd) لبناء الأخلاق النافاهوية (Navaho Ethics) . إذ يرى لاد أن كل المعايير الأخلاقية النافاهوية يمكن اختصارها أو اختزالها في مبدأ واحد يمكن رسمه بطريقتين :-

- رسم إيجابي: أي عمل كل تلك الأفعال الضرورية لترقية سعادتك أنت في خاصة نفسك .
- رسم سلبي لا تقم بعمل أي فعل يقود إلى تعاستك أنت شخصياً (٣)* .

ويدعي لاد (Ladd) أن كل العبارات الوصفية المفردة والقواعد العملية للأخلاق ذات الاصطلاح النافاوامي مستنبطة أو مستنتجة من هذا المعيار الأساسي بالإضافة إلى الحجج التي يصرح بها المخبر نفسه (٤)* فإذا قال المخبر مثلاً يجب على الإنسان أن لا يسرق لأن ذلك ذلك يقود إلى المشاكل وسيقبض عليه . فالمحلل من ثم يمكنه أن يستحضر المقدمة المفهومة ويعيد تأسيس الحجة كما يلي :

- لا تقوم بعمل أي فعل يقود إلى تعاستك .
- السرقة والقبض عليك فيها متلبساً ستجلب لك التعاسة .
- إذن لا تسرق (٥)* .

إن الافتراضين المبهمين المتلبسين اللذان يقفان من وراء هذا النوع من إعادة الحجة هما : (أ) أن مقدمات الحجة الأخلاقية تستلزم النتيجة باستمرار فالنتيجة لازمة من المقدمات (ب) أن المقدمات التي تشير إلى مواقف معينة هي عبارات حقائق محضة يمكن تركها بكل أمان للاختصاصين . وهذا المثال المأخوذ من لاد (Ladd) ذا دلالة إرشادية لأنه يوضح لنا كيف أن استعمال التصور الاستنباطي في الأخلاق يتجه ليؤدي إلى منهجية معينة . فالافتراضين اللذين يقفان من وراء هذا التصور الاستنباطي يشجعان وجهة النظر القائلة بأن الواجب

الرئيسي لعالم الأخلاق الوصفية هو أن يعيد صياغة المعايير الأساسية لأخلاق المخبر ، وبما أن العلاقة بين تلك المعايير الأساسية وبقية الأنساق الأخلاقية تعتبر علاقة لزوم أو وجوب أو تضمن منطقي فالمطابقة بين ما يقوم به المحلل الوصفي تصبح من البداهة بحيث أنها غالباً ما تظل غير ملاحظة . ومن ثم فالطريق ممهد لتفسير الأنساق الأخلاقية كأنساق استنباطية تلعب فيها المعايير الأساسية دور البدهيات والقواعد المستنبطة المستنتجة دور النظريات أو الفرضيات .

إن التصور الاستنباطي في الأخلاق قد رسمه ووصفه براندت (Brandt) بوضوح في فقرة تستحق أن نقتبسها بكاملها وهي :-

تحتوى " النظرية " المعيارية من الناحية المثالية على مجموعة من المبادىء العامة مشابهة للمبادىء الأولية – البدهيات في النسق الهندسي أي أنها تحتوي من الناحية المثالية على مجموعة من المبادىء العامة الصادقة أو الشرعية الموجزة والبسيطة بقدر الامكان وذلك لتتلائم مع الكمال المطلوب بمعنى ان تلك المبادىء عندما تقرن بعبارات صادقة من خارج مجال الأخلاق فسوف تتضمن منطقياً كل عبارة أخلاقية صادقة أو صحيحة .

وهذا التصور بالنسبة للنسق يجب أن يكون مرشدنا . (٦)* والنتيجة المهمة المترتبة على فكرة الاستنباط الأخلاقي هي أن مقاييس السداد للأنساق الأخلاقية ستكون متطابقة مع قواعد الأنساق البدهية الأخرى . (٧)* وبما أن هذا التصور الاستنباطي يؤدي إلى هذه النتيجة فيمكن اعتباره ناقص الأدلة اللازمة بالنسبة للتصور الاستنباطي . ذلك لأن مجرد الاختبار السطحي غير الدقيق للخصائص التي ينبغي أن يحويها النسق الأخلاقي لكي يؤدي وظائفه : يكفي لبيان عدم إثبات ملائمته للأنساق البدهية. فالنسق الأخلاقي السديد لابد – مثلاً أن يكون ذا مرونة كافية لكي يطبق على أنواع المواقف الجديدة غير المنظورة ولكي يكون النسق ذا المرونة كذلك يجب أن يكون مفتوحاً إلى حد ما . و من الصعوبة بمكان الاعتقاد بأن التصور الاستنباطي قد حاز شهرة أو شعبية كبيرة كهذه إذا لم تكن هذه الصفة قد أهملت كثيراً . والآن يجب أن نتعرض لبحث صفة الانفتاح بصورة أكثر تفصيلاً .

٢- الشكل المفتوح للأخلاق :

إن المقارنة بين القانون والأخلاق ستكون مفيدة وتنويرية في هذه المرحلة فالتصور

الاستنباطي طالما قد استبعد في الفقه التشريعي (jurisprudence) مؤخراً . ففي أوائل العشرينات تحدث روسكو باوند (Roscoe Pound) عن أسطورة الكمال المنطقي للنسق القانوني وميكانيكية العصمة المنطقية للعملية المنطقية التي تستنتج بواسطتها ، وتطبيق القوانين المتضمنة في المواد القانونية المعطاة . وقد أكد على أنه من الضروري لكي يؤدي القانون دوره الصحيح أن يترك مجالاً واسعاً لحرية التصرف في التطبيق (٨)* أو باستعمال مفهوم فردرش وايزمان (Friedich Waismann) المفيد (٩)* . فالقانون يجب إلى حد ما أن يكون له تركيب مفتوح (open texture) . (١٠)* ويمكن أن يقال عن مفهوم ما أنه ذا تركيب مفتوح عندما لا توجد مجموعة شروط ثابتة ، وضرورية وكافية للتطبيق الصحيح لهذا المفهوم ومعظم مفاهيمنا العامة (general terms) لها تركيب مفتوح بهذا المعنى . مثلاً : هل من الضروري أن يكون لك حد معين من الطول على الأقل لكي يشار إليك كرجل ؟ فمعنى كلمة " رجل " كما في الاستعمال المعتاد ليس محدداً بصورة كافية بحيث تمكن الشخص من تقديم إجابة صحيحة لهذا السؤال ولكن هناك حالات نموذجية لا يمكن فيها أن نتردد في تطبيق المفهوم " رجل " ، غير أن اللغة المعتادة مرنة بصفة كافية تسمح لنا بتطبيق هذا المفهوم على كل الحالات غير المنظورة عندما تظهر لنا . ومن جهة أخرى فإن المفاهيم الرياضية لا تملك مثل هذه المرونة فالمفاهيم الرياضية " مستطيل " " واثنين " (كما تستعمل في الرياضيات) لها تركيب مغلق : فاستخدامها تحكمه مجموعة ثابتة ومحددة من القواعد التي لا تسمح بحرية التصرف في التطبيق .

والتركيب المفتوح قد قمنا بتعريفه حتى الآن بالنسبة للمفاهيم . أما الجمل مثل القواعد القانونية (legal rules) أو القواعد الأخلاقية فيمكن قياساً القول بأنها مفتوحة التركيب عندما تستعمل بصفة جوهرية مفهوماً مفتوح التركيب ولا تذكر مثلاً فقط في اقتباس) .

وهناك سببان يوضحان لماذا يجب أن يكون للمفاهيم القانونية والقواعد القانونية تركيب مفتوح لضمان الأداء الصحيح للقانون :

(أ) أن المشرع لا يمكنه التنبوء بكل الحالات المستقبلية التي ربما تحتاج أن يضعها تحت القانون . ويجب عليه إلى حد ما إذن أن يترك معناها غير محدد.

(ب) وإذا حاول أحد أن يجعل القانون شاملاً لكل الاحتمالات فمن المؤكد أنه لن يدع

فراغات غير مرغوب فيها فحسب بل سيصبح القانون معقد بصورة تجعله غير عملي. إن معرفتنا بما سيحدث في المستقبل ليست فقط محدودة بل أهدافنا بدورها هي أيضاً جزئياً غير محددة. ونحن لا نقرر مقدماً ماذا سوف نفعل في كل أنواع المواقف المحتملة . ومقاييس الانتباه المعقولة على سبيل المثال إنما يقصد بها تأمين الناس ضد الضرر ، ولكن ليس من الملائم أن نحدد مسبقاً وبصورة دقيقة ما هي أنواع الظروف (أو الأحوال التي تؤدي إلى ضرر جوهري لشخص ما (١١)* .

وعالم الأخلاق إنما هو بوضوح في نفس الحال أو الأشكال الذي فيه المُشرِّع . إذ لا يمكنه أن يخبر الناس إلا وعلى وجه التحديد ماذا ينبغي لهم أن يفعلوا في كل أنواع الظروف أو الحالات ، لأن مقاصيده الى حد ما يجب أن تكون غير محددة. فالتك [illegible] أخلاقيين ومن هذه الجهة فهو في نفس موقف القاضي في المحكمة إذ أن قراراته تجعل القواعد أكثر تحديداً وبالطبع فإن هناك حالات واضحة وروتينية لا تقبل الجدل ، إذ ليس فيها مشكلة حول تطبيق القواعد . ولكن تطبيق القاعدة على أي موقف مشكل غريب يعني أن نقرر إعطاء القاعدة تفسيراً معيناً. و عندما يقوم العامل الأخلاقي بعمل هذا القرار يكون قد قام بعمل قرار أخلاقي والتصور الاستنباطي يغفل أهمية الحكم الجيد في الأخلاق . والأخلاق الآلية إنما هي خاطئة مثلها مثل فقه التشريع الآلي (mechanical jurisprudence) فالشكلية أو الصورية هي عيب في كلا المجالين .

٣- نتائج منهجية :

إن دور التركيب المفتوح في الأخلاق له انعكاسات مهمة بالنسبة لكل من الأخلاق الوصفية والمعيارية . فالبحث عن المعايير الأساسية لم يعد معتبراً الواجب الرئيسي بالنسبة للمحلل الوصفي : إذ أن من واجبه أن يطرح كل النسق الأخلاقي للمعايير العامة والخاصة لأن المعايير العامة لا يمكن فهمها بدقة بمعزل عن المعايير الخاصة التي تساعد في جعل معانيها أكثر تحديداً ، كما وأنه لا يكفي أن نقف على المعايير العامة والخاصة بل لابد للباحث أن يدرس أمثلة لتطبيق المعايير لأنها إنما تصبح أكثر تحديداً في المعنى عن طريق تطبيقاتها لهذا فإن تطبيق الأخلاق لا يمكن فصله عن مهمة القيام بعمل الجوانب النظرية للنسق

الأخلاقي ومعرفة القواعد الأخلاقية العامة لشخص ما لا تجعل من تجميع المعرفة عن أحكامه الأخلاقية الجزئية أمراً فائضاً عن الحاجة مثلما أن معرفة اللوائح القانونية من كتب القانون لا تستبعد أو تلغي الحاجة لدراسة حالات السوابق القضائية ويمكن تقوية هذه الاستنتاجات بالنظر إلى نتائج جانبين آخرين من جوانب الخطاب الأخلاقي وهما :

(أ) أهمية قياس التمثيل (reasoning by analogy) .

(ب) حقيقة أن بعض المفاهيم القاطعة المهمة في الأخلاق المعيارية تغلب عليها المعاني العاطفية .

(أ) إن التصور الاستنباطي يفترض أن الإدراك الاستنباطي الأخلاقي يحتوي بالضرورة على تطبيق القواعد على مواقف جزئية ولكن يبدو من المعقول أن نفترض أن كثيراً من الاستنباط الأخلاقي إنما يقترب أكثر من حيث النسق للاستنباط القانوني من اللوائح . (١٢)* ويهمل التصور الاستنباطي دور الأمثلة في الأخلاق . ويمكن أن نقول بوجود الأمثلة الجيدة للاستنباط من السوابق (reasoning from precdents) في الأخلاق المسيحية والإسلامية وهي إلى حد كبير مبنية على قياس التمثيل من أحداث جزئية . وتنقل الأخلاق العرفية إلى الناشئين عن طريق القواعد والأمثلة وتعتبر محاولة إعادة بناء مثل هذا النسق الأخلاقي ليصبح بمثابة جسم للقواعد (body of rules) مثل محاولة اعادة بناء قانون الأحوال القضائية (case law) ليكون نظاماً للوائح (system of statutes)، ربما يكون ذلك محتملاً ، لكنه سوف يعطي فكرة غير صحيحة عن النظام القائم فإذا أراد أحداً أن يعطي وصفاً صحيحاً لأخلاق شخص ما ، فإن احدى الأشياء التي يريد أن يتعرف عليها هي القدر الذي يستعمل فيه القواعد في استنباطه الأخلاقي (ethical reasoning) والقدر الذي يستمر فيه في قياسه التمثيلي من السوابق . ان المنهج الجزئي للأخلاق (prticularistic approath) المشار إليه هنا هو بالطبع حتماً ضروري في البحث في أخلاق موضحة أو معبر عنها بالأمثلة وكما يؤكد هارت (Hart) فإن الاستنباط من اللوائح يشترك في معظم مساحة الاختيار التي يوفرها للفرد الاستنباط من الأمثلة لأن أكثر الاستنباط من القواعد هو في الحقيقة ذا طبيعة تمثيلية تتعلق بالطريقة التي تكتسب بها المفاهيم العامة معناها الاعتيادي . والشروط الواضحة لتطبيق المفاهيم لا تتوفر عادة في الحياة اليومية ، فهي توجد فقط في قرائن خاصة مثل العلم

والقانون حيث أن المفاهيم تعطي معانيها بتلك الطريقة . اما خارج هذه القرائن المتخصصة فإن تطبيق مفهوم ما إنما يكون على أساس تطبيقات سابقة تعتبر معيارية. والحديث عن قواعد المعنى يميل إلى أنه مضلل لهذا السبب نفسه : لأن الذين يستعملون اللغة لا يدركون عادة بصورة واعدة أي قواعد من هذا القبيل . لذلك يجب ممارسة قدر كبير من الحرص والاهتمام عندما يحاول أحد أن يقيم قواعد للمعنى من التطبيقات . فهذه هي الطريقة التي تكتسب بها كثيراً من الأنساق الأخلاقية (وليس كلها) معانيها . والأحرى بالباحث أن لا ينظر إلى القواعد العامة التي تحكم تطبيقات تلك المفاهيم بل من الأفضل أن يقوم بعمل دراسة لأبعادها التطبيقية . فإذا أراد أحد أن يعرف مثلاً ماذا يعني شخص ما ، بمفهوم الخطيئة أو الرفاهية فمن الأفضل بالنسبة له أن يعرف ما هي الأشياء التي طبق عليها تلك الكلمات . (١٣)* وأن يتركها هكذا من غير أن يحاول أن يلخص النتائج في شكل مجموعة من الشروط الضرورية والكافية للاستعمال الصحيح للكلمات .

إن أولئك الفلاسفة الذين افتتنوا بالقرائن الرياضية والعلمية يميلون إلى إهمال أو تقليل هذه المباينات والفروق بين المفاهيم المفتوحة والمغلقة ويبدو أن المعنى غير الناضج والفج الذي يتلخص في مبحث المضمون والمدلول (doctrine of connotation and denotation) (١٤)* هو أحد أسباب شيوع التصور الاستنباطي في الأخلاق .

(ب) وثمة سبب آخر لتأييد المنهج الجزئي في الأخلاق وهو أن كثيراً من التعبيرات الهامة في الأخلاق يغلب عليها المعنى العاطفي فالمفاهيم مثل السعادة والرفاهية والنحس يمكن تطبيقها عملياً على أي موقف إنساني يكون للشخص الاتجاه المناسب نحوه مثلاً إذا قيل لك أن المعيار الأساسي في أخلاق شخص ما وهو تحصيل السعادة لا يكون خبرياً (uninformative) حتى يتم بيان أنواع المواقف التي يرغب الشخص أن يدرجها تحت المعيار . ولا يكون للمعنى الوصفي المحدد تلك المعاني الدقيقة التي تتصف بها المفاهيم الأمبريقية والقانونية لأنها ذات تركيب مفتوح . إذ أن مفاهيمنا مثل السعادة والرفاهية والنحس إنما تكون لها وظيفة إجمالية ، حيث أن المعايير الأساسية التي تستخدم مثل هذه المفاهيم تقترب إلى حد بعيد من نفس الوظيفة التي يعالجها عنوان الباب . ولكن عنوان الباب في حد ذاته لا يغني عن محتواه إذ لا يشكل باباً بمفرده .

كما وأن المعيار الأساسي لا يشكل نسقاً أخلاقياً . فالتصريح بالمعايير الأساسية لأخلاق ما ليست بديلاً عن طرح النسق كله والذي يساعد بدوره في تفسير المعايير الأساسية (١٥)*.

٤- ملاحظة حول التمييز الغائي الدونتولوجي

إن التركيب المفتوح للأخلاق له نتائج هامة للتمييز بين الأنساق الغائية والدونتولوجية في الأخلاق . وهذا التميز كثيراً ما يعتبر مبيناً للخط الفاصل والأساسي في الأخلاق وسوف أقدم بعض الأسباب التي تبعث على الشك في أنه يقوم بذلك . فالتمييز الغائي الدونتولوجي يبدو لي أنه هامشي إما لأنه : (أ) يفسر بطريقة تجعل كل الأنساق الأخلاقية غائية أو بخلاف ذلك :

(ب) يبدو من المعقول أن نفترض أن كل الأنساق الأخلاقية هي ديونتولوجية (deontological) صراحة أو في خفاء .

(أ) هناك تفسيرات مختلفة لما يحتوى عليه الفرق بين الغائي والدونتولوجي . ولكن الفكرة الرئيسية هي أنه إذا كان النسق الأخلاقي كما هو عليه بحيث ان الصفة الأخلاقية للأفعال تعتمد كلية على نتائج هذه الأفعال فالنسق يكون غائياً وإلا فهو ديونتولوجيا (١٦)*. وأول نقطة جديرة بالملاحظة حول هذا التمييز هي أنه إذا كان مفهوم نتيجة مأخوذاً بمعنى شامل جداً فإنه يترتب على ذلك أن كل أنساق الأخلاق ستكون غائية بصورة هامشية فمثلاً : إذا أخذت الأفعال التي تعبر عن كمال أو استقامة أو نزاهة الشخصية على أنها مجدية ذاتياً ، وإذا كانت قيمة هذه الأفعال كما هي تعتبر نتيجة للأفعال بحيث أن إحداث أو فعل الفعل يأتي بالقيمة للوجود ، فسيكون الطريق إذن مفتوحاً لتفسير أي نسق أخلاقي كنسق غائي . وعموماً إذا كانت القيمة التي استجلبت فقط بالموافقة لمعيار ما، تُعتبر كنتيجة للقيام بعمل الفعل المعني ، فلن تكون إذن هناك أي أنساق أخلاقية ديؤنتولوجية . ولكي يكون للتمييز بين الأنساق الغائية والديؤنتولوجية فائدة أو أهمية مطلقاً ، يجب أن لا يوضع مفهوم نتيجة ليشير بخفاء إلى كل العوامل التي في مواقف الشخص موضع المثال ، والتي يمكن اعتبارها ملائمة أخلاقياً على وجه الاحتمال ، ولكن يجب قصره (أي مفهوم نتيجة) على تلك النتائج التي يمكن القول بمعقولية أنها كانت بسبب الفعل . وكلما تمّ القيام بالفعل فان الباحث (أوالشخص) يمكنه دائماً أن يجد معاييراً قد استوفيت بأداء الفعل . ولكن يصعب أن يقال أن استيفاء المعايير إنما حدث بسبب أداء الفعل . هذا بالرغم من أنه يمكن القول بمعنى فضفاض أن استيفاء

المعايير هو نتيجة لأداء الفعل .

(ب) وعند تفادي ذلك المعنى الفضفاض لكلمة "نتيجة" (Consequence) ، فإنه توجد هناك أسباب للاعتقاد بأنه لن يفلح أي أحد في أن يكون غائياً بصورة متسقة أو مناسبة ، وأن أي أخلاق معقولة يجب أن تكون دؤنتولوجية وهذا مما يجعل التمييز الغائي – الديونتولوجي سخيفاً وواهياً وهامشياً فالقيمة الأخلاقية لأي فعل من ناحية صحتها أو بطلانها أو إلزاميتها إنما تعتمد وفقاً لوجهة نظر الأخلاق الغائية مطلقاً على قيمة نتائج الفعل وهذا يستلزم بالطبع أن إمكانية قياس قيمة نتائج أي فعل يمكن تقديرها دائماً بمعزل عن القيمة الأخلاقية للفعل ، وهذا الافتراض يصح في بعض الأنساق الأخلاقية – مثل نسق نفعية اللذة البنثامية (Benthams's hedonistic utilitarianism) لافتراضها أن اللذة يمكن قياسها . ولكن النفعية الكمية (quantitative utilitarianism) ليست محبوبة جداً هذه الأيام . (١٧)* وبسبب أنه لم توجد بعد مناهج عامة لقياس الخير وفي غياب مناهج قياس الخير ، فإنه يبدو من المعقول أن الغائيين المقبولين في بعض الأحيان يتأثرون بالأفكار الموجودة من قبل عن الصواب والخطأ عندما يقومون بتقديراتهم لكميات الخير التي تؤدي إليها الأفعال المعنية . وأريد هنا أن أنبه إلى أن نتائج فعل ما في بعض الأحيان إنما يصرح بأنها أفضل من نتائج الخيارات المتاحة لأن الفعل المعني معروف مسبقاً بأنه صائب وإلا فكيف يمكن للغائيين أن يكونوا شديدي التأكد من أن كثيراً من الأفعال – على الأقل التي يعتقد أنها صائبة ، سوف تظهر لتؤدي لنتائج أفضل من مثيلاتها المتاحة عندما تبتكر في المستقبل غير المحدد طرقاً لقياس خيريتها؟ فالصعوبة بالنسبة للشخص الغائي تكمن في استبقاء الاعتبارات غير الملائمة للقيمة الأخلاقية للأفعال عند النظر في قيمة نتائجها ومهما كان الاعتقاد في خيرية أحد الأشياء في ذاتها مثلاً اللذة فمن المحتمل أن يسهل نسبياً وضع مثل هذه الاعتبارات غير الملائمة تحت المراقبة أو الضبط . ولكن كلما كثرت أنواع ما يعتقد الشخص بوجوده في مجال الخير الذاتي . كلما ازدادت صعوبة ضبطها أو مراقبتها وإذا كانت المحصلة هي مجموعاً متسقاً بحيث أنه في نهاية التحليل يكون الشيء الوحيد الذي يمكن اعتباره خيِّراً في ذاته هو منهج حياة كامل فإن أقصى احتمال لفصل المسائل التي تدور حول قيمة النتائج عن تلك التي تدور حول قيمة الأفعال سيتلاشى . وهذا هو في الواقع ما يحدث عندما يفسر مفهوم السعادة والمفاهيم المشابهة له والتي تستعمل في معايير أساسية كمفاهيم أساسية مظلية تعطي إشارة

اجتماعية لمنهج حياة بأكمله . وبمجرد أن تدرك الصفة المنطقية للمعايير الأساسية في الأنساق الأخلاقية على ما هي عليه فإن من المعقول أن نفترض أن حتى أولئك الفلاسفة الذين أقروا بأنهم غائيين قد كانوا في الواقع دؤنتولوجيين في الخفاء ولذلك فأن التمييز بين الأخلاق الغائية والأخلاق الدؤنتولوجية سيصير بلا أهمية تذكر . ولهذا السبب فسوف لن أستفيد من استعمال هذا التمييز في مجمل الأخلاق الماورائية في هذا الكتاب (وفي الباب الرابع) سوف أقدم تمييزاً بين الأنساق الأخلاقية ذات مركزية الفعل (action centered) والأنساق الأخلاقية ذات مركزية النتيجة (result centered) وهو تمييز مشابه للتمييز الغائي – الديؤنتولوجي ولكنه يتفادى الاعتراضات التي رفعت ضده .

الباب الثالث

دراسة الأيديولوجيات

إن طبيعة وأهداف الدراسات الأيديولوجية عادة ما يساء فهمها. وفي هذا الباب سوف نناقش بعض القضايا المنهجية العامة ونقدم عدداً من التمييزات لأجل توضيح بعض مصادر سوء الفهم الشائعة.

١- وصف تصور الحياة :

إن فكرة علم الأيديولوجية يقابل في بعض الأحيان بالريبة والشك. فمن جهة يوجد الرأي القائل أن القيام بعمل مسح للأيديولوجيات هو عمل بالغ الصعوبة: فالناس يغيرون أو يبدلون آراءهم وإذا سألتهم فسرعان ما يتصنعون شيئاً ويخفون اعتقاداتهم ودوافعهم الحقيقية وهلمجرا. وباختصار فإن المجال كله في حالة اضطراب لا يمكن وصفه. ومن جهة أخرى يواجه الشخص في بعض الأحيان الرأي القائل بأن القيام بمسح الأيديولوجيات أمر سهل وبسيط: فأي تجربة شخصية مكتسبة بدقة خلال فترة طويلة من الزمان ستعطيك بأي كيفية صورة سديد (صحيحة) عن معايير وقيم واعتقادات واتجاهات قوم آخرين.

وكلا هذين الرأيين يشكلان نقاط قيمة على الرغم من أنها في صورةٍ مغالية مبالغ فيها. ودراسة الأيديولوجيات معقدة ولكنها غير مستحيلة التعقيد. فالتجربة على وجه التأكيد ضرورية ولكنها ليست كافية. إذ يجب على الباحث أيضاً أن يستطيع تحديد الدليل الذي بني عليه تفسيره. وسوف نناقش مسألة الدليل مؤخراً في هذا الباب. أما الآن فدعنا ننظر في بعض تعقيدات البحث الأيديولوجي:

(أ) ففي المقام الأول نجد أن مسح أخلاق فردٍ ما (من غير التطرق للحديث عن كل أيديولوجيته) هو مهمة معقدة نسبة لتعقد واختلاط محتويات النسق الأخلاقي. وقد عُرِّف تصور الفرد للحياة) على أنه عبارة عن المحصلة الكلية لكل مُثله العليا ومعاييره وأفكاره وآرائه ومفاهيمه في الصواب والخطأ والحسن والقبيح وهلمجرا. والدراسة الشاملة أو التي تستوعب أخلاق شخصٍ ما يجب أن تحتوى على أبواب عن تصوراته الشخصية وتصوراته الاجتماعية وآرائه عن الحقوق والواجبات والذم والمدح والثواب والعقاب والمسئولية وحرية الإرادة وآرائه عن قيمة أنواع محددة من الأفعال والأشياء والمواقف وهلمجرا. كما ويجب أيضاً أن تشمل

دراسة عن الأجزاء الأخرى من أيديولوجيته مادام أنها ملائمة لتبرير اعتقاداته الأخلاقية لأن تصورات الشخص الأخلاقية تعتمد مطلقاً على اعتقاداته حول نظام العالم والتركيب المفتوح للأخلاق يزيد من هذا التعقيد. فأي وصف للنسق الأخلاقي يهدف إلى إعطاء (تقديم) أكثر من الخطوط العريضة للنسق يجب (لابد له) أن يشمل تفاصيلاً لتطبيقات المعايير العامة على مواقف محددة (راجع الباب الثاني - فصل ٢ - ٥٥).

(ب) وفي المقام الثاني نجد أن اعتقادات الفرد الأخلاقية نادراً ما تشكل نسقاً ثابتاً لا يتغير. إذ أن التزاماته المعيارية تميل إلى التباين أو الاختلاف من عدة زوايا. وسوف يكون من المفيد أن أقدم عدداً من المراتب (scales) التي يمكن وضع صفات النسق الأخلاقي فيها. فصفات النسق الأخلاقي تتفاوت (أو تختلف) من ناحية (١) الوضوح (٢) الاستقرار (٣) درجة تكاملها مع شخصية الفرد (٤) التفوق الأهمية (٥) المركزية (٦) الفاعلية العملية والصورة التي يحصل عليها الباحث عن أخلاق الشخص إنما تعتمد إلى حدٍ بعيد على مواقف الباحث تجاه هذه العوامل.

(١) إن بعض التزامات الفرد المعيارية هي في غاية الوضوح وبعض آخر يمكن استخراجها بسهولة، ولكن لا يستطيع أحدٌ أن يجد جرماً واسعاً لعبارات التزامية كاملة الوضوح في حديث معظم الناس. إن التزامات الشخص المعيارية عادة يجب إعادة إنشائها أو صياغتها من حديثه الأخلاقي العفوي ونوعية الشكل الذي يجده الباحث في مادة التزامات المخبِر، يعتمد على ما إذا كان الباحث قد وضع فقط في الاعتبار التزاماته الصريحة أو الضمنية أيضاً. فوصف الأخلاق المؤسس أو القائم بصفة كلية على رسم عبارات صريحة مباشرة أو مستخلصة سوف يعطي في معظم الأحوال صورة غير صريحة وسديدة عن أخلاق المخبر. وفي رأي أن استعمال الدليل غير المباشر عند توفره، سيسهل كثيراً مهمة باحث الأخلاق الوصفية إلى حد كبير، ومع ذلك فإن استعمال الدليل غير المباشر في الأخلاق الوصفية هو مسألة جدلية مما يستوجب أن نناقشه بشيء من التفصيل (أنظر الفصل الرابع أدناه).

(٢) ان بعض الالتزامات يتم تبنيها مؤقتاً ثم تترك أو تستبعد مرة أخرى. والبعض الآخر لها درجةٌ عالية من الثبات والاستقرار. فإذا ركز المحلل على الالتزامات ذات الدرجة العالية من الثبات فسوف يجد نمطاً واحداً من أخلاق المخبر. وإذا تمعن أيضاً في النسيج الطافح

والمتغير لوجهات النظر الأخلاقية غير الثابتة فسوف يحصل على صورة أخرى لأخلاق المخبِر (ويوجد ميل في البحث الأيديولوجي لإهمال الصفات أو النواحي غير الثابتة وسوف نتناوله بالتعليق (في النقطة السادسة وفي الفصل القادم).

(٣) إن الالتزامات تتفاوت بالنظر إلي درجة توافقها وتكاملها مع الصفات الراسخة في شخصية الفرد. فالالتزامات ضعيفة التكامل تميل إلى عدم الثبات ولكن هذا مما ليس بالضرورة، إذ أن وجهات النظر حول موضوعات غير مهمة بالنسبة للفرد مثلاً يمكن أن تكون عالية الثبات حتي وإن كان لها درجة تكامل ضعيفة. (١)*. ومرةً أخرى فإن استنتاجات الباحث سوف تعتمد على كيفية تعامله مع الالتزامات ضعيفة التكامل وماهية المقاييس التي استعملها للتمييز بين الالتزامات عالية وضعيفة التكامل.

(٤) إن المسائل المعيارية التي تُظهر أهمية خاصة لسبب أو آخر بالنسبة للفرد يمكن تسميتها بالمسائل المهمة أو الظاهرة والمشهورة في أخلاقه والمسائل التي تبدو سطحية لدى بعض الناس قد تُظهر أهمية غير متوقعة لدى البعض الآخر.

(٥) يجب على الباحث أن يميز الصفات ذات الأهمية الموضوعية أو الصفات الجوهرية من بين الصفات ذاتية الأهمية أي الصفات المهمة للنسق الأخلاقي وصفة النسق الأخلاقي يمكن أن يقال عنها أنها موضوعية الأهمية بالقدر الذي يراها فيه المشاهد الخبير المحايد أنها جوهرية للنسق الأخلاقي. وعملياً فالمسائل المهمة البارزة هي إشارات (clues) مهمة للمسائل الجوهرية في النسق الأخلاقي. وعلى سبيل المثال، فمعاملة حيوان معين أو ارتداء جلابيب معينة ربما تكون مسائل مهمة بارزة بالنسبة للفرد ومع ذلك فهي في ذاتها سطحية بالنسبة لنهجه في الحياة . وفي مثل هذه الحالة فإن افتراض وجود بعض المعايير الباطنية المتصلة بالمسائل السطحية الأكثر جوهرية بالنسبة لأخلاقه، هو افتراض صحيح.

(٦) وأخيراً، فإن الصفات الأخلاقية للفرد تتفاوت بحسب فعاليتها العملية، أي أنها فعّالة تقريباً في تحديد تصرفه. (٢)* ويفترض في بعض الأحيان أن المعايير والتصورات غير الفعّالة عملياً يمكن إهمالها في الأخلاق. مثلاً – يقول هير(Hare) أن أفضل طريقة لاكتشاف المبادىء الأخلاقية لشخص ما هي عن طريق دراسة ماذا فعل، على أساس أن وظيفة المبادىء الأخلاقية هي توجيه التصرف وأن الشخص الذي يعتقد حقيقة في مبدء أخلاقي إنما يفعل

وفقاً لذلك المبدأ. (٣)* يقول هير(Hare) : "أعتقد أنه إذا واظب رجل باستمرار في خرق مبدء أخلاقي يقره فإن هذا يجعلنا نميل للقول بأن إقراراته غير أمينة"، (٤)* وهذا إتجاه ينبغي مناهضته. فهذا الاقتباس الذي نقلناه من هير (Hare) يمكن بسهولة أن يعطينا انطباعاً بأن السبب الوحيد الذي يجعل الناس لا يتبعون مبادئهم الأخلاقية التي يقرونها هو أنهم غير أمناء. ويبدو لي أن هذا إتجاه أخلاقي بالمفهوم أو المعنى السيء. فهناك عدة أسباب بجانب عدم الأمانة توضح لماذا يخرق الناس مبادئهم الواضحة. (٥)* فربما تكون مبادئهم غير ثابتة بالرغم من تكرارها على الدوام! أو ربما تكون ثابة ولكنها ضعيفة التكامل مما يستلزم أن تتنافس هذه المبادىء مع الميول المتضاربة . وربما يكون لدى الناس مبادىء متضاربة متناقضة! وربما يكونوا مخطئين حول الحقائق ولم يجدوا فرصة لتطبيق المبادىء! وربما يفسرون المواقف بطريقة تختلف عن تلك التي يفسرها بها الباحث الأخلاقي (من غير أن يرتكب أي خطأ في الحقائق) لذلك فإن المبادىء التي تبدو ملائمة بالنسبة للمشاهد، لا تكون قابلةً للتطبيق من ناحية رسمها أو تشكيلها للمواقف وربما يصبرون عن انتقاداتهم بطريقة غير صحيحة (من غير أن يكون لديهم مقاصد غير أمينة! وربما يفسرون مبادئهم ذاتها بصورة تختلف عن تفسير الشخص المشاهد لها. فالاتجاه الأخلاقي الذي يهمل (أو يتقاضى عن) هذه الاحتمالات يقود عملياً إلى سوء فهم خطير خاصة في الاتصال بين الثقافات. إذن فهناك عدة أسباب توضح لماذا لا تُترجم المبادىء الأخلاقية دائماً إلى تصرف. فالمبادىء الأخلاقية هي مرشد أو موجه للتصرف وليست منتجة له (٦)*.

ولذلك فإنه من الخطأ الفادح أن نهمل المعايير العملية عديمة الفاعلية (operationally in-efficient norms) في الأخلاق. فالشخص حتى إذا اعتبرناه في معية أفضل مقاصده – مع عدم ذكر الأخريات – ربما يعجز عن العيش بحسب مقاييسه المثلى.

ويجدر بنا أن نلاحظ أيضاً أن ظواهراً مثل تأنيب أو تبكيت الضمير والشعور بالذنب والعار والخيبة أو الإخفاق والإحباط يمكن فقط تفسيرها بالإشارة إلى معايير غير كافية عملياً (operationally insufficient norms) . وربما تكون حقيقة بقاء المعيار ليس كاف للفاعلية هي السبب في تأنيب الضمير أو الشعور بالذنب أو الإحباط وهلمجرا. وإغفال (أو إهمال) المعايير عاجزة الفعالية عملياً، إنما يعني افتراض أن الطريقة المهمة الوحيدة التي يمكن للمعيار أن يظهر بها نفسه في سلوك الشخص هو التصرف الصريح الظاهر وهذا لا يعدو أن

يكون سوى علم نفس سيء (bad psychology) . ونختم باب هذا النقاش، فنقول أن الفكرة القائلة بأن أفضل طريقة للوصول لمعرفة مبادىء الشخص الأخلاقية هي عن طريق ملاحظة سلوكه الظاهر الصريح، إنما تنهار بصورة كاملة في حالة النواهي (prohibitions).

فالنهي ذو الفاعلية العملية إنما هو معيار حيث أن الفرد صاحب هذا المعيار يمتنع عن أنوا ع أو أشكال معينة من السلوك. والاستدلال أو الاستنتاج من غياب أنوا ع أو أشكال معينة من السلوك، بأن هذا السلوك ينهي عنه معيار معين، فيه شيء من المجازفة.

٢- ثلاثة أنــواع من البحث الأيديولوجي :

لقد قدم عالمٌ مشهورٌ من علماء الاجتماع الوصف الجيد التالي عن صلة مجال علمه بالأخلاق:

إن ما يقوم به عالم الاجتماع في دراسته للأنساق الأخلاقية هو أن يختبر في مجتمعات معينة أفكار الصواب والخطأ التي يتمسكون بها وظروفها الاجتماعية. فهو يقوم بدراسة المصطلحات التي تعبر عنها، ومداها التطبيقي بالنسبة لأنواع الأفعال المختلفة. كما ويدرس أيضاً الدرجة التي توضع بها هذه الأفكار في القواعد والقَدْر الذي تعمل فيه هذه القواعد والأفكار عموماً كجزاءات مؤثرة في التصرف. كما ويبحث عن المصدر الذي تنسب إليه هذه الأفكار الأخلاقية. وهو يهتم أيضاً بالنظر إلى القدر الذي يمكن فيه اعتبار هذه الأفكار الأخلاقية والقواعد الأخلاقية والتصرف المتصل بها كنسق - أي درجة الملائمة والاتساق التي يمكن أن تُرى بينهما. وأكثر من ذلك فهو يدرس النسق الأخلاقي للمجتمع إذا أمكن تسميته كذلك - في ضوء علاقاته الاجتماعية المتبادلة محاولاً أن يرى في النظام الاجتماعي كله تلك العناصر التي ترتبط بصفة خاصة بالنسق الأخلاقي. وفي كل هذا فهو لا يُعنى فقط بالأوجه المباشرة ولكنه يعني أيضاً بالقدر الذي يمكن فيه أن تتطابق الأفكار الأخلاقية فيما بين سلسلة من المجتمعات، وبناء على ذلك احتمال أن يكون لها بعض الشرعية العامة (general validi- ty) (٧)*.

لقد سمحت لنفسي أن اقتبس بشيء من التفصيل من فيرث (Firth) لأنه كما يبدو لي قد أعطى ملخصاً جيداً عن كيف يتناول عالم الاجتماع مجال الأخلاق. ومن المهم أن نلاحظ أنه لا توجد هنا آثار للتصور الاستنباطي إذ أنه بدلاً عن ذلك نجد تعبيراً واضحاً للمنهج الجزئي

الذي قدمناه ودافعنا عنه في الباب الثاني عاليه. ولهذا السبب فإن أفضل التقارير الاجتماعية عن الأنساق الأخلاقية الخاصة بالشعوب الأجنبية هي ترياق مفيد ضد الصور بالغة البساطة التي يضعها الفلاسفة. ومن ناحية أخرى فإن عالم الاجتماع يقذف بالشبكة بتوسع شديد. فهو لا يهتم بالأنساق الأخلاقية لأجلها في ذاتها فحسب بل أيضاً بكل أنواع وأشكال العلاقات بين الأنساق الأخلاقية والأنساق الأخرى.

وسوف يكون من المفيد أن نقدم بعض التمييزات بين الأنواع المختلفة للبحث الأيديولوجي في هذه المرحلة:

(أ) الأبحاث الشكلية الملائمة والمعاصرة التي تنتقى فيها الأنساق الأخلاقية (أو الأنساق الأيديولوجية) الأخرى منفصلة لوحدها بقصد الدراسة المكثفة.

(ب) الدراسات التاريخية، والتحليلات السببية - مثلاً دراسات العلاقات بين الأنساق الأخلاقية والأنساق الأخرى (مثل الأنساق الاجتماعية. وأنساق الشخصية.

(ج) مركب (أ) و (ب)، والدراسات المعاصرة والقديمة المختلطة والدراسات المورفولوجية والوظيفية الموحدة (٨)*.

إن معظم البحث الأيديولوجي تقريباً هو من النوع الثاني - (ب) ومن النوع الثالث - (ج) وهذا له ما يبرره، لأنه فقط بدراسة الأنساق الأخلاقية والأيديولوجية الأخرى في قرائنها يمكن للباحث أن يحصل على الفهم الكامل لها. ومع ذلك فإن أحد مضار أو إجحافات المناهج الواسعة أو العريضة للأخلاق هو أن المسائل المتصلة بالبحث المورفولوجي عادة ما يتم التعليق عليها بصورة سريعة متعجلة. ولكن تقديم الدراسة المورفولوجية المفصلة ذات التوثيق الجيد بالنسبة للنسق الأخلاقي للفرد هي مهمة بالغة التعقيد. كما وأن تقديم الدراسة المفصلة ذات التوثيق الجيد عن شكل ومحتوى النسق الأخلاقي بالنسبة للمجتمع ككل هي مهمة لا نهائية التعقيدات. والدراسات السببية والوظيفية الخاصة بالأنساق الأخلاقية لا تزال أكثر تعقيداً ليس فقط بسبب أن هذا النوع من الدراسات جيدة التوثيق تتضمنية أي تستلزم نتائج الدراسات المورفولوجية. وبدراسات الفعالية العملية للمعايير الاخلاقية - مثلاً أو الأبحاث السببية تفترض أن طبيعة المعايير الأخلاقية معروفة مسبقاً. وهذه النقطة ربما تبدو بينة بداهة بمجرد أن تُذكَر ومع ذلك فهي تستحق أن تذكر في مناخ البحث الحالي الذي يؤكد العلاقات

السببية والوظيفية. والفشل في استحسان التمييز بين الدراسات المورفولوجية والسببية – الوظيفية يحتمل أن يكون – على سبيل المثال – أحد الأسباب التي توضح تشكك علماء الاجتماع في بعض الأحيان في قيمة المعاينات كوسيلة للبحث الأيديولوجي ولذا فإن أحد الباحثين المشددين على ضرورة أن تكون "كل حقيقة اجتماعية تسجل مؤيدة بالوثائق المادية"، يقول بأن "عالم الاجتماع ربما أو فعلاً يكتب في نوتة مذكراته "عليك أن لا ترتكب الزنا" ولكنه لا يمكنه أن يتفهم الاتجاه القَبَلي الكلي نحو أمانة أو صدق الزوجية (marital fidelity) إلى أن يتردد على المحكمة المحلية ويحلل نسبة الطلاق والزواج وأفضل من ذلك أن يستمع في حالات واقعية إلى التعليقات المثيرة عن كوخٍ إلى آخر. ومثل هذا القول ربما يبدو بيناً ولكن يجب أن نتذكر أن معظم الدراسات التي عن المجتمعات الإفريقية الراهنة إنما هي مؤسسة على قصص مملاةٍ لعالم الاجتماع من أمام باب العُشة أو الخيمة" (٩)* وهذا يشبه قذف الطفل مع ماء الحمام. فالفعالية العملية لمعيار عن الزنا حقيقة لا يمكن دراستها عادة من أمام باب العشة أو الخيمة، كما وأن رجال القبائل ليس لهم دراية جيدة بالتحليلات السببية والوظيفية. ولكن لا ينتج من ذلك: أن المعاينات ليست ذات قيمة بالنسبة للبحث المورفولوجي ولا أن الناس الذين في حالة محنة عاطفية هم مخبرين أفضل مما لو كانوا في ساعات الهدوء والتأمل.

وهذا الاقتباس مثل سابقه الذي أخذناه من كلام هير يصور لنا ميلاً عاماً نحو عدم أخذ المخبر بجدية. (١٠)* وكما قال آرين نابيس (Arne Naess) فالمحليين يميلون إلى إهمال التصريحات الأيديولوجية الواضحة بوصفها "مجرد كلام أو حديث، ومراوغة وادعاءات غير أمينة، ومجرد دعاية بمعنى الاستهجان." (١١)* ولكن فشل أو عجز المخبرين في أن يكونوا أمناء وجادين ليس سبباً لإهمال أحاديثهم الأيديولوجية. وكما يكشف نقاش الاتجاه أو الميل الأخلاقي فالأبحاث المورفولوجية المفصلة كثيراً ما تكون ضرورية في تقرير جدِّية المخبر وأمانته.

٣- التصورات والسلوك:

إن كثيراً من الفلاسفة واللغويين وعلماء الاجتماع كانوا ولا زالوا متفائلين بخصوص احتمالات استنتاج أو استنباط المعاني والقيم والمعايير والاعتقادات من السلوك الحقيقي الواقعي. ولكن التطورات الأخيرة في فلسفة المعنى والبحث الأيديولوجي وخاصة دراسة بروفسير نيس (Naess) ورفقائه ("مدرسة أوسلو"). فإن تحليلاتهم المضنية عن الصعوبات

المتضمنة قد أضعفت – في رأيٍ – أساس مثل هذا التفاؤل. (١٢)* وقد حاولت في الفصلين السابقين مرة بعد أخرى أن أوضح أن التصورات لا يمكن أن تستقرأ أو تطالع من الحقائق (facts) والسبب في ذلك هو أنه لا توجد مطابقة تامة (أي مطابقة المثل للمثل) بين التصورات وأشكال التصرف . إذ أن نفس شكل التصرف يمكن أن يُغطى بعدة معايير أو مطلقاً بدون أي معيار. فالمعيار أو التصور عملياً ربما يكون فعالاً أو غير فعّال. وبدلاً من التوسع في هذه النقاط إلى أبعد من ذلك فسوف أقدم مثالين مبسطين من الاتصال بين الثقافات وأمل أن يوضحان أن ملاحظة السلوك الظاهر غير اللفظي ليس كافياً بالنسبة للبحث الأيديولوجي.

المثال الأول :

لقد وجدت مُعلّمة أوربية في بلدٍ إفريقي أن تلميذاتها سيئات الخُلق فلامتهن وشتمتهن ووبختهن على ذلك. فبدأت التلميذات يصرخن. وقد فسرت المعلمة هذا السلوك كعلامة على نضج التلميذات: إذ وجدت أنهن لا يحتملن الانتقاد، غير أن التلميذات حقيقةً لم يتأثرن بالانتقاد كما هو عليه. فلم يشعرن بالخجل من سلوكهن بل شعرن بالإساءة. وقد فسّرْنَ ملاحظات المعلمة بأنها ليس شيئاً من التوبيخ الشخصي ولكنها هجومٌ على شرف كل أسَرهِنّ. فالنتيجة هي أن آباءهن وأقاربهن الآخرين لم يحسنوا تربيتهن. فلا يوجد قدر من الملاحظة للسلوك الظاهري يمكن أن يكفي لإزالة سوء التفاهم الملازم لهذا الموقف – وتلك المعلمة يمكن أن تعيش في هذا البلد الأجنبي لخمسة سنوات أو خمسة عشرة سنة أو خمسة وعشرون سنة من غير أن تصل لفهم تلميذاتها على الإطلاق.

المثال الثاني :

ترك موظف عمله لعدة ساعات ليستضيف أحد أقربائه. وقد استنتج الخبير الأجنبي الذي يشرف على العمل أن هذا العامل الذي يتهرب من العمل تلهياً ليس شخصاً مسئولاً، غير أن هذا العامل يرى أن من واجبه أن يستقبل أقربائه بصورة لائقة. وفي صراعه بين واجب أداء العمل بدقة وواجبه تجاه أقربائه قدّر أن الواجب الأخير أكثر إلحاحاً من الأول. فلا يمكن إزالة سوء التفاهم ببساطة هنا بواسطة ملاحظات أخرى لسلوك العامل. وإذا أدعى الخبير الأجنبي هذا، الخبرة الطويلة في ذلك البلد فإننا نحتاج فقط لأن نبين له أن خبرته هذه محدودة بأنواع الأدلة التي لا تكفي للحصول على الفهم اللائق لمثل هذا الموقف.

٤- الدليل اللفظي وغير اللفظي :

إن المعايير والتصورات لا يمكن الاطلاع عليها بطريقة ساذجة أو سهلة من خلال تعامل أو تصرف الناس الظاهري. ولكن سيكون من الخطأ أن نستنتج من ذلك، كما فعل لاد (Ladd) في دراسته للأخلاق النافاهوية (Navaho ethics)، أن الدليل السلوكي غير اللفظي غير ملائم في الدراسة المورفولوجية للأخلاق الوصفية . يقول لاد (Ladd) : "إن الأيديولوجيات يمكن دراستها فقط من خلال الحديث الواضح من جانب المخبر" (١٣)* ومضى لاد ليعرف الحديث الأخلاقي بطريقة تجعل الدرجة العالية نسبياً من التفكير الواضح شرطاً ضرورياً للحديث الأخلاقي. (١٤)* وأنه كما ذكر مستعد لقبول النتيجة التي تترتب على هذه المقدمات، ومعنى ذلك هو أن الحديث الأخلاقي نادراً ما نجده بين الناس العاديين أو العامة: "إن المدرك فقط هو الذي يستطيع أن يميز بوضوح بين الإرشادات الأخلاقية وغير الأخلاقية" ..إلخ. (١٥)* ولكن إذا كان الطريق الوحيد لدراسة أو فحص أخلاق الناس هو من خلال حديثهم وأكثر من ذلك، إذا كان معظم الناس لا ينتجون حديثاً أخلاقياً على وجه العموم، يترتب على ذلك عدم وجود سبيل لدراسة أو فحص أخلاق الناس العاديين أو العامة. وهذه النتيجة كافية لنقض وإبطال موقف لاد (Ladd). فربما كان من الصعوبة أن نعطي مسحاً لأخلاق الناس العاديين ولكن من المؤكد أن ذلك ليس أمراً مستحيلاً.

والخطأ في منهج لاد(Ladd) للأخلاق هو عقلانيته ويبدو أنها تعتمد على العجز أو الفشل في تقدير قيمة: (أ) الفرق بين امتلاك ما هو الأخلاقي وبين كون الشخص مدركاً حقيقةً أن المعيار الذي يملكه هو معيار أخلاقي، (ب) الفرق بين قبول المعيار وحالة الإدراك الواعي بالمعيار.

(أ) يبدو أن لاد يعتقد أن المقدرة على التمييز بوضوح بين المعايير الأخلاقية وغير الأخلاقية هي شرط ضروري لامتلاك هذه المعايير. ويبدو أنه من المناسب لمقاصد الأخلاق الوصفية أن يكون هناك تعريفاً "للأخلاق" (ethics) يُمكِّن الباحث أن يقول أن المخبر له معيار أخلاقي على الرغم من أن المخبر نفسه لا يستطيع أن يقول ذلك.

(ب) إن أفضل طريقة لفحص وعي الشخص المعياري (أي إدراكه للمعايير. والقيم وأيديولوجيته الواضحة) هي من خلال حديثه. ولكن يوجد معنى مهم يمكن به أن يقال أن لأحد

معيار من غير أن يكون هو نفسه بالضرورة مدركاً له بوضوح. وهذا هو الفهم الذي يمكن به أن يتحدث عالم الاجتماع مثلاً عن "معايير علاقة الأجير والمؤجر" والتي يمكن لشخص إفريقي من الريف أن يضبط نفسه عليها عندما يحتل وظيفة في مصنع في المنطقة الحضرية، أو عن المعايير التي تحكم العلاقة بين الزوج وزوجته، أو عن المعايير التي يتضمنها شوط فعلٍ أو نظامٍ ما (١٦)* وعلماء اللغة مثل غيرهم من علماء الاجتماع أيضاً يبحثون في المعايير بهذا المعنى. وقد حاول علماء المعاني مثلاً أن يرسموا المعايير التي يلتزم بها المتكلم عندما يضع نفسه في أنواع المواقف الخطابية المختلفة. فإذا وضع الشخص نفسه في موقف إنشاء عبارات فهو إذن واقع تحت طائلة الالتزام بموافقة المعايير التي تحكم نوع ذلك الموقف الخطابي. ولكن كما يتضح من الصعوبات المتعلقة برسم معايير إنشاء العبارات أو التصريحات فإنه لا يوجد عادة إدراك كبير واضح بمثل هذه المعايير. ولكن مع ذلك نلاحظ ما يخالف هذا الفهم مما يوضح أن بعض المعايير معروفة مسلمٌ بها ومتضمنة. (١٧)* والمعيار بهذا المفهوم ليس فقط مجرد نظام اطرادي (regularity) مقبول يفرض نفسه علينا، أي ليس نظاماً ينبغي للشخص أن يوافقه. وإحدى الطرق التي يمكننا أن نعرف بها ما إذا كانت العادة لا تعتبر أيضاً معيارية إنما تكون بدراسة ماذا يحصل عند حدوث انحرافات عن النموذج المطرد. فإذا كانت هذه الانحرافات تتبعها عقوباتٍ من نوع ما مثل علامات عدم القبول أو الاستهجان فإن الباحث حينئذٍ يمكنه أن يستنتج أن هذا النظام الاطرادي معياري بالنسبة للشخص المعني.

والتمييز بين دراسات وعي الناس بالمعايير المقبولة لديهم لها بعض الأهمية بالنسبة للمنهجية الأخلاقية الأخلاقي ملائمٌ بالنسبة لكلا نوعي هذه الدراسات، بل هو النوع الوحيد من الأدلة الذي يوافق مباشرة لدراسات الوعي المعياري (والدليل السلوكي غير اللفظي يمكن بالطبع أن يكون ذا قيمة توجيهية إرشادية أو تخمينية (heuristic value) بالنسبة للباحث. ولكن إقامة أو تأسيس كل دراسات المعايير المقبولة كليةً على الدليل اللفظي سيكون عائقاً خطيراً للدراسة الناجحة في الأخلاق الوصفية. فكلما كان المخبر غير واضح أي عاجزاً عن التعبير اللفظي كلما كان من الضروري أن نبحث في خلفيات العلاقات الاجتماعية والممارسات التي انبنت عليها إشارته. وهذا لا يعني أن العبارات التي عن المعايير والقيم تتلو منطقياً من العبارات التي عن السلوك الحقيقي. فالمعنى الوحيد الذي تكون فيه المعاير والقيم مضمنة في التعامل الظاهر هو أن ما يفعله الناس حقيقةً يعطي إشارة واضحة لما يقبله الناس من

معايير.

والنهج السائد في العلوم الاجتماعية في تأسيس دراسات أخلاق الناس على الأدلة اللفظية وغير اللفظية يبدو إذن أنه صائب على وجه العموم. ولكني أريد مع ذلك أيضاً أن أعطي مسوغاً لأجل مزيد من الدراسات المحدودة المؤسسة فقط على الدليل اللفظي من الطراز الذي تمثله دراسة لاد (Ladd) عن الوعي الأخلاقي للرجل النافاواهي (Navaho man) . فدراسة نماذج أو أنماط التفكير مهمة مثل دراسة نماذج أو أنماط السلوك ويجب أن تكون ذات قيمة عملية مثلاً بالنسبة للتربويين في المدارس والجامعات وفي إرشاد وتوجيه الكبار وليس فقط في الاتصال بين الثقافات. فإن غياب المعرفة الصحيحة عن المستقبلين هو أحد الأسباب الرئيسية التي توضح لماذا أن برامج المساعدات المعدة جيداً قد برهنت على أنها أقل نجاحاً مما كان مأمولاً.

الباب الرابع

أخلاق الفضائل

لقد جاءت أخلاق الفضيلة في التقليد الأوربي مرتبطة بدقة بالحياة الباطنية للعاملين الأخلاقيين أكثر منها بحياتهم الظاهرية. وقد برهنت هذه الفكرة على أنها ضيقة جداً ومحصورة بالنسبة لمقاصد البحث بين الثقافات المختلفة. فالأوربي الذي يتناول أخلاق الفضائل والرذائل في ثقافة مختلفة مغايرة لثقافته عليه أن يحرر نفسه من جملة من المفاهيم المسبقة والهدف من هذا الباب هو إزالة الإشكالات والتعقيدات عن بعض وجوه أخلاق الفضيلة التي لم تكن منفصلة ومميزة بوضوح في التقليد الأرسطاليسي - المسيحي والتي كان ينبغي أن تكون منفصلة ومميزة في الأخلاق الوصفية وذلك لتفادي التفسيرات ذات مركزية العنصر للأنساق الأخلاقية غير الأوربية (١)*.

١- القواعد المثالية وقواعد الواجب :

لقد قدم ج. أ. مور (G. E. Moore) مرة تمييزاً بين القواعد الأخلاقية التي تمدح أو تدين شيئاً يقع مباشرة في حيز إرادتنا من جهة وكل القواعد الأخلاقية الأخرى من جهة أخرى. وقد أطلق علي النوع الأول من أنواع القواعد " قواعد الواجب ".

وأطلق على الثاني " القواعد المثالية ". (ideal rules) (٢)* فقولك " عليك أن لا تسرق ستعتبر تقريباً مثالاً واضحاً لقاعدة الواجب عند معظم الناس لأنه يفترض عموماً أن الشخص يمكن أن يتفادى السرقة إذا كان يرغب حقيقة في ذلك.

ومن جهة أخرى فالقاعدة المسيحية التي تقول " أحبب أعداءك " إنما تنصح بشيء لا يمكن للشخص أن يقرر فعله فقط هكذا، وربما لا يتوصل إليه في كثير من الحالات ولهذا فإن هذه القاعدة إنما تقرر في الذهن أن تلقن مثالاً أعلى قد يكون من الصعوبة بمكان بلوغ مستواه في الحياة. فهذه القاعدة إنما هي قاعدة مثالية.

وقد اعتقد مور (Moore) أن هذا التمييز بين القواعد المثالية وقواعد الواجب إنما هو في كل ما يتعلق بالمقاصد والأغراض مطابق للتمييز بين " أخلاق الكينونة " و" أخلاق الفعل . قال مور: سوف يتضح لنا أن هذا التمييز الذي أقوم به يتطابق عموماً في كل الأحوال مع

التمييز الذي يعبّر عنه عادة بالتمييز بين القواعد التي تخبرك بما ينبغي لك أن تكون والقواعد التي لا تخبرك إلا بما ينبغي لك أن تفعل، أو التمييز بين القواعد التي تعنى بحياتك الباطنة - بأفكارك ومشاعرك - وتلك التي تعنى فقط بأفعالك الخارجية الظاهرة. فالقواعد التي تعنى بما ينبغي لك أن تكون أو بحياتك الباطنة يغلب عليها في كل الأحوال أنها "قواعد مثالية" بينما تلك التي تعنى بما ينبغي لك أن تفعل أو بأفعالك الخارجية الظاهرة هي عموماً وعلى أقل تقدير قواعد الواجب (٣)*.

إن أخلاق الفضيلة قد طبقت بهذا المفهوم - في بعض الأحيان - وأخلاق الكينونة قد طبقت مع ذلك الجزء من الأخلاق الذي يحتوي على القواعد المثالية بمفهوم مور (Moore). وقد أوضح ڤون رايت (Von Wright) في كتابه "المعيار والفعل" (Norm and Action) أن بعض المعايير تعنى مباشرة بأشياء ينبغي أو يمكن أو يجب ألاتكون أكثر منها بالأفعال) . وقد تبنى فون رايت (Von Wright) مصطلح مور (Moore) "قواعد مثالية" بالنسبة لمثل هذه المعايير. وقد ذكر عدداً من عبارات الفضيلة كأمثلة للعبارات التي توضح القواعد المثالية. "فالقواعد المثالية يشار إليها على سبيل المثال - عندما نقول أن ذلك الرجل ينبغي أن يكون كريماً، صادقاً، عفيفاً وأيضاً عندما نقول أن الجندي في الجيش ينبغي أن يكون شجاعاً، جسوراً ومنضبطاً، وهلمجرا. (٤)*

وهذا بالطبع صحيح من الناحية النحوية لأن أخلاق الكينونة عادة ما يعبر عنها بعبارات تحوي الفعل ، " يكون " في بعض صوره، أكثر منها بعبارات من أفعال الحركة (activity Verbs) . وعبارات الفضيلة في اللغة الإنجليزية تستعمل فيها الكلمات كائن (is) ، وكائنون. (are) وكان. (was) وكانوا (were) ... وهكذا. ولكن ترتيب الكلمات في اللغة العربية يقوم بنفس وظيفة الرابطة (copula) في اللغة الإنجليزية. ومع ذلك فمن المهم أن نضع جانباً - فيما يتعلق بمقاصد الأخلاق الوصفية - عدداً من التمييزات التي تتجه إلى التلاشي أو الانتفاء عندما نتحدث عن أخلاق الكينونة وأخلاق الفعل. وبناء على مقاصدنا الراهنة يجب الإصرار على أن التمييزات التي رأى مور أنها على أقل تقدير عموماً متطابقة، لا يلزم أن تتطابق. فالتمييز بين القواعد المثالية وقواعد الواجب يجب ان لا يخلط بينه وبين (أ) التمييز بين التصورات والأفكار داخلية التوجه (inward - oriented conception) وخارجية

التوجه (outward - oriented conception) أو (ب) التمييز بين الأنساق ذات مركزية العامل (agent - centered systems) وذات مركزية الأفعال (action - centered systems) . ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن أياً من هذه التمييزات لا يتطابق مثلاً مع (ج) التمييز بين العقوبات أو الجزاءات الداخلية الباطنة والخارجية الظاهرة (external sanctions) أو التمييز بين أنساق الأخلاق التي تسود فيها عقدة الذنب (guilt - dominated systems) والتي تسود فيها عقدة الشعور بالعار (shame - dominated systems) . ففي التقليد الأرسطاليسي - المسيحي في الأخلاق نجد أن كل هذه التمييزات مجتمعة تميل عموماً للتطابق مع بعضها البعض على أقل تقدير . أي أن معظم الأنساق الأخلاقية المعروفة في الغرب والتي سادت فيها القواعد المثالية قد أصبحت أيضاً داخلية الاتجاه ومركزية - العامل وغلبية عقدة الذنب (guilt - dominated) .

وهكذا فقد جاءت أخلاق الفضيلة التي تحتوي على القواعد المثالية قريبة الصلة - على الأقل في المفهوم النحوي الذي أشرنا له قبل قليل - مع فكرة الأخلاق داخلية الاتجاه ومركزية العامل وذات غلبية عقدة الذنب (٥)* . ولابد لنا الآن أن نمضي إلى تفصيل وتوضيح هذه الأفكار .

٢- فكرة الفضيلة داخلية الاتجاه وخارجية الاتجاه :

ترتبط الفضيلة - وفقاً لاحدى نظريات الفضيلة بالضرورة مع المشاعر والأفكار والمعتقدات والمقاصد والاتجاهات والميول. وعلى وجه الاختصار فالفضيلة مرتبطة مع ما أشار إليه مور (Moore) بالحياة الداخلية أي الباطنة أكثر منها بالأفعال الخارجية الظاهرة. وسوف أطلق على ذلك فكرة الاتجاه الداخلي أو الباطني للفضيلة (inward conception of virtue) . وأما النسق الأخلاقي الذي تلعب فيه مثل الفكرة هذه دوراً رئيسياً فسوف أطلق عليه النسق الأخلاقي داخلي الاتجاه (inward oriented system of ethics) . فالأخلاق المسيحية بتركيزها على الروح الصائبة (right spirit) يمكن أن توضع كمثال للنسق الأخلاقي الذي يشار إليه عادة بوضوح كنسق داخلي (باطني) الاتجاه . والبوذية والابقورية (epicureanism) والرواقية (stoicism) هي بدورها أمثلة للأنساق الأخلاقية شديدة الاتجاه الداخلي (الباطني) .

ولكن وفقاً لنظرية أخرى للفضيلة فان تعبيرات الفضيلة ليست مرتبطة بالضرورة بأخلاق الاتجاه الداخلي للمشاعر أو الميول . وهذه الفكرة للفضيلة نجدها في كتاب سدجفك مناهج الأخلاق (Methods of Ethics) يقول سدجفك (Sidgwick) أن الفضائل هي أقسام الواجب. فأسماء الفضائل الخاصة تعمل كمقدمات عامة لأنواع التصرف الصائب (٦)*. وأسماء الفضيلة يمكن استعمالها مثل تعبيرات مقدمة الباب ، أي مُجْمَلات لمجموعة الواجبات

والواجبات التي تشير إليها ربما تكون من كل الأنواع الخارجية والداخلية - على السواء . وعندما يستعمل الشخص تعبير الفضيلة ليشير فقط إلى الأفعال الخارجية الظاهرة من غير الاشارة إلى أخلاق الأفكار والمشاعر فسوف نقول أن لديه فكرة توجه خارجي للفضيلة المعنية (outward conception) وسوف أقول أن النسق الأخلاقي الذي تلعب فيه مثل هذه الفكرة دوراً رئيسياً هو نسق أخلاقي خارجي الاتجاه (outward - oriented ethical system) . كما وأن الأنساق الأخلاقية في التقليد النفعي (utilitarian tradition) هي كلها ذات اتجاه خارجي قوى .

ومن المناسب أن نشير إلى الفضائل والرذائل كميزات شريطة أن تؤخذ "ميزة" ، وجوباً بمعنىً غير ملتزم لتعني ليس شيئاً أكثر من نوع أو خاصية أو صفة. (٧)* (وأما السؤال عما إذا كانت الفضائل والرذائل هي ميزات بأي معنى قوى - مثل ميزات الشخصية بالمعنى الذي يستعمل به بعض علماء النفس هذا المصطلح - فهذا السؤال سيظل مفتوحاً
للنقاش - انظر الباب الخامس) . وتظهر الميزة في أنواع معينة من الموقف ويمكن تسميتها بميزة المواقف (trait - situation) . أما كيف تظهر الميزة فهذا يعتمد على نوع الموقف الذي فيه العامل. فالأنواع المختلفة لميزة الموقف تتطلب ميزة أفعال مختلفة (different trait - ac- tion) . فالمجاملة في البيت ليست مثل المجاملة في الكنيسة . ونفس هذه الميزة ربما تتطلب مرة أخرى أفعالاً مختلفة من أفراد مختلفين .

فالمجاملة بالنسبة للطفل ليست هي مثل المجاملة بالنسبة للشخص الناضج (٨)* .

ويمكن الآن أن نضع فكرة هذا الفصل بصورة أكثر دقة . فهناك عدة طرق يمكن أن تظهر بها الميزة. وميزة الأفعال ليست هي النوع الوحيد لمظهر الميزة . فأخلاق الفضيلة ذات الاتجاه الخارجي يمكن القول أنها أخلاق تضع تركيزاً وتأكيداً على الميزة الظاهرية للأفعال في حين

أن الأخلاق ذات الاتجاه الداخلي تركز وتؤكد على أنواع أخرى من المظاهر وبصورة أدق من ذلك: إذا اعتَبَر شخص ما، سمِّه ب، إن الظهور المنتظم لميزة الأفعال شرط كافٍ لنسبة الميزة الملائمة لفاعل الأفعال، فحينئذٍ سوف أقول أن ب يملك تصوراً خارجي الاتجاه للميزة. وعلى العموم، إذا كان ب يعتبر أن أداء ميزة الأفعال شرطاً كافياً لنسبة الفضائل (والرذائل) فإن ب حينئذٍ يملك تصوراً خارجي الاتجاه لفكرة الفضيلة (وفكرة الرذيلة). والنسق الذي يلعب فيه هذا التصور دوراً رئيسياً يكون نسقاً أخلاقياً خارجي الاتجاه وإذا كان ب لا يملك تصوراً خارجي الاتجاه للفضيلة فحينئذٍ سيقال بأنه يملك تصوراً داخلي الاتجاه.

ويبدو أن ج. إ. مور كان يملك تصوراً داخلي الاتجاه لفكرة الفضيلة. ولكنه من الخطأ بمكان أن نفترض أن أي أخلاق للفضيلة، يجب أن تكون نسقاً أخلاقياً داخلي الاتجاه إذ أنه توجد فيها كلاً المظاهر الخارجية والداخلية للفضائل والرذائل. ولغة الفضائل محايدة بالنسبة إلى أهمية المشاعر والأفكار في الأخلاق.

إن معظم عبارات الفضيلة كما يبدو صحيحاً تعبر على وجه العموم عن قواعد المثل العيا بمفهوم مور لأن فضائلنا ورذائلنا بوجه عام ليست تحت سيطرتنا أو إمرتنا بنفس القدر الذي تكون فيه أفعالنا الخاصة، وهذا بدوره يسرى مفعوله جيداً على كلا تصوُّري الفضيلة - داخلي وخارجي الاتجاه، لأننا لا نملك نفس السيطرة على مشاعرنا واتجاهاتنا وميولنا وعاداتنا بمثل ما نملكها على معظم أفعالنا الخاصة. ولكن ليس هناك حدود دقيقة بين قواعد المثل العليا وقواعد الواجب، فكثيراً ما يتطلب اكتساب ميول ما أو عادة ما، تدريباً أكثر من أداء فعلٍ ما. غير أنه يمكن أن نفكر في حالات مناقضة لذلك. وبلفظ دقيق ينبغي للباحث أن لا يقول أن معظم عبارات الفضيلة تُعبِّر عن قواعد مثل عليا ولكنه أن يقول أن كثيراً من عبارات الفضيلة أو معظمها تُعبِّر عن قواعد أكثر مثالية عن كثيرٍ من القواعد الأخلاقية أو معظمها. إذ أن كثيراً من عبارات الفضيلة عظيمة المثالية كما هو الحال بالنسبة لكثيرٍ من قواعد الواجب (٩)* .

٣- أنساق الأخلاق ذات مركزية العامل وذات مركزية الفعل:

لقد حظي الموقف التالي من بين العديد من المواق الأخلاقية بالاهتمام الخاص بوصفه نوعاً نموذجياً للموقف الأخلاقي: شخص مفرد يؤدي فعلاً واحداً يقود بدوره إلى نتائج معينة. وقد كُرِّس نقاشٌ مستفيضٌ لمسألة العلاقات بين النوعية الأخلاقية للعناصر التي في النموذج، مثلاً

هل تعتمد القيمة الأخلاقية بالنسبة للفعل كلية على نتائجه ؟ يمكن للباحث أن يميز بين نظريات أسس القيمة الأخلاقية ذات مركزية العامل ومركزية الفعل ومركزية النتيجة وفقاً للعنصر الذي يعتبر محل اهتمام القيمة الأخلاقية . ويمكن أن يوضع هيوم (Hume) كمثال واضح للقائلين بنظرية مركزية العامل (agent centered theory) بالنسبة للقيمة الأخلاقية : حيث أنه يقول " ان الأفعال هي موضوعات ميولنا الأخلاقية لأنها دلالات على الشخصية الداخلية (الباطنة) والعواطف والمحبة . (١٠)* . أما النفعيين (utilitarians) والغائيين الآخرين (teleologists) فهم بوضوح مثالاً للقائلين بنظرية مركزية النتيجة (result oriented theory) بالنسبة للقيمة الأخلاقية ولكن و . د . روس (W.D.Ross) والديونتولوجيين (deontologists) هم أكثر تمسكاً بمركزة الفعل من هيوم (Hume) والنفعيين (١١)* ولذا يمكن استعمال العناصر التي في موقف النموذج الأخلاقي لتقسيم أو ترتيب النظريات ذات الاهتمام بالقيمة الأخلاقية ومع ذلك يمكن للباحث أن يضع استعمالاً أكثر شمولاً لمفاهيم مركزية العامل، ومركزية الفعل لتمييز ميول في داخل أنساق أخلاقية بكاملها . فهذه هي الكيفية التي أقصد أن استعمل بها هذه المصطلحات .

وسوف أعني بالنسق الأخلاقي مركزي العامل وهو ذلك النسق الأخلاقي الذي يضع مكانة بارزة للفاعل (moral agent) أكثر منه للأفعال ونتائجها . وسوف أعني بالنسق الأخلاقي مركزي الفعل : ذلك النسق الأخلاقي الذي تعلو فيه اعتبارات الأفعال ونتائجها بقدر أكبر. (ويمكن بالطبع أن يقدم الباحث أيضاً تمييزاً دقيقاً بين النظريات ذات مركزية النتيجة والنظريات ذات مركزية الفعل بمفهوم ضيق ولكن ذلك لا يبدو ضرورياً في هذا السياق) . فمن الواضح أن هذين النوعين من الأنساق الأخلاقية ليسا على طرفي نقيض (not mutually ex- clusive) إذ أن النسق الأخلاقي يمكن أو بالأحرى يجب أن يعطي اهتماماً عظيماً بالعاملين (agents) والأفعال على السواء (ونتائج هذه الأفعال) . كما وأنه أيضاً يمكن القول بأن هذه المصطلحات ليست دقيقة جداً ونعترف أنها - كما قدمت - حرى بها أن تكون غير دقيقة .

ولكنها بالرغم من ذلك تبدو مفسرة وموضحة لتشخيص الطرق التي تناول بها فلاسفة الأخلاق مادتهم .

وقد اهتمت فلسفة الأخلاق الحديثة اهتماماً عظيماً بالتمييز بين الأفعال الصائبة والخاطئة وبفكرة الشيء الحسن الا أن هذا ليس هو النهج الذي يمكننا أن نسميه المنهج التقليدي للأخلاق . فأفلاطون وأرسطوطاليس وهيوم – على سبيل ذكر بعض التقليديين – لم يناقشوا النوعية الأخلاقية للأفعال ونتائجها – بصورة مباشرة . فليس لدى أرسطوطاليس مثلاً نقاشاً مباشراً للفرق بين الصواب والخطأ؛ بل يجد الباحث بدلاً عن ذلك – نقاشاً حول ماذا يعني بالنسبة للإنسان أن يكون حسناً أخلاقياً، وبعد تحديد ذلك يبدو أنه رأي عدم وجود مشكلة خاصة حول الأفعال : فالفعل الصواب هو الفعل الذي يقوم بفعله الإنسان الصالح أو الخير والإنسان العاقل أو ذو الحكمة العملية. (١٢)* والأخلاق الهيومية (Hume's ethics) هي بدورها مثال آخر للنسق الأخلاقي مركزي العامل فكتابة : بحث يتعلق بقواعد الأخلاق ليس تحليلاً للفرق بين الأفعال الصائبة والخاطئة أو الفرق بين النتائج الحسنة والسيئة ولكنه مبحث في الفرق بين الفضائل والرذائل (virtues and vices) . أما مسائل الصواب والخطأ فقد تمَّ تناولها ضمنياً (١٣)* .

أما التناول الحديث للأخلاق متمثلاً في كتاب مور (Moore) قواعد الأخلاق (Principa Ethica) الصادر في عام ١٩٠٣م فقد قلب النهج السابق . فالاهتمام الواضح فيه قد أعطى بصفة رئيسية للفرق بين التصرف الصائب والخاطيء والنتائج الحسنة والسيئة وقد تناول فيه أخلاق الفضيلة فقط بصورة عابرة أو ضمنية . غير أن التصرف قد حكم عليه بصفة أساسية بحسب علاقته بالعامل. فمكانة العامل تؤخذ هنا على أنها معتمدة على تصرفه .

إن منهج الأخلاق مركزي العامل قد جاء لأسباب ما وثيق الارتباط بالأنساق داخلية الاتجاه لذلك فإن التمييز بين الأنساق مركزية العامل ومركزية الفعل لم يكن مفصولاً بوضوح من التمييز بين أنساق الأخلاق داخلية الاتجاه وخارجية الاتجاه وهو يختلف عنه مطلقاً وربما يكون ذلك بسبب أن الأنساق داخلية الاتجاه هي أيضاً تميل بدورها إلى الأنساق مركزية العامل. إذ أنه عندما يتناول الباحث حياة العاملين الداخلية يصبح تفادي الإشارة الواضحة اليهم أمر صعب ، غير أنه يسهل عليه جداً تفادي الاشارة الواضحة إليهم عندما يكون اهتمامه الرئيسي بالأفعال الظاهرة ونتائجها . ولكن من الخطأ أن نفترض أن كل أنساق الأخلاق مركزية العامل هي أيضاً داخلية الاتجاه . فعلى سبيل المثال سيكون تفسيرنا محرفاً

وسيء التحريف إذا فسرنا أخلاق الفضيلة الشعبية السودانية على أساس الاتجاهات المسيحية وكأنها تُعنى بأوجه الحياة الأخلاقية الداخلية أكثر منها بالمظاهر الخارجية . وسوف أحاول أن أوضح ذلك في القسم الثاني من هذا الكتاب .

٤- الأنساق الأخلاقية ذات التحديد الذاتي وتحديد الغير :

إن مصطلح الجزاءات (Sanctions) قد كان يستخدم في فلسفة العلوم الاجتماعية للإشارة لكل أنواع آليات الضبط - (Control mechanism) التي تضمن الإذعان للمعايير الأخلاقية والقانونية المعطاة (١٤)* . مثل التهديدات بأنواع العقوبات المختلفة مثل نار جهنم ، إشانة السمعة ، الخسارة الاقتصادية ، وخز الضمير ، توقع مختلف أنواع الثواب مثل الحياة الخالدة ، الطمأنينة ، المدح والرفعة وهلمجرا . وقد حظي نوعان من العقوبات باهتمام خاص وهما : العار والذنب. ومنذ أن قدمت روث بنيدكت (Ruth Bendict) تمييزها الشامل بين "ثقافات العار" (shame culture) "وثقافات الذنب" (guilt culture) في عام ١٩٤٦م (١٥)* أصبحت فكرتا العار والذنب موضوع نقاش مستفيض وحظيت على قدر لا بأس به من التحليل والنقد . والتمييزات التي قدمناها في بداية هذا الباب لا تطابق أياً من التمييزات التي أقيمت بين أنواع العقوبات المختلفة ، ولكن يوجد إغراء بتخليط التمييز بين الأنساق الأخلاقية داخلية الاتجاه وخارجية الاتجاه مع التمييز الأنساق الأخلاقية سلطوية العار (shame dominated) وسلطوية الذنب (guilt dominated) ، أو مع التمييز بين الذي يقام في بعض الأحيان بين العقوبات الداخلية والخارجية (١٦)* ولا شك أن الخلط الذي يوجد داخل مجال العقوبات يدعو للتخليط بين الاتجاه الداخلي من جهة وسلطوية الذنب من الجهة الأخرى . ولذا فإني أقترح تقديم تمييز بين الأنساق الأخلاقية ذاتية التحديد (self - determined) وغيرية التحديد (other - determined) . وهذا التمييز نقصد به شرح وإيضاح أحد وجوه تمييز الذنب والعار الذي يلائم على وجه الخصوص مقاصد البحث الحالي . وآمل أن يكون ذلك واضحاً بصورة تكفي لاستبعاد أي ميل أو اتجاه لتخليطه على سبيل المثال مع التمييز بين الأنساق الأخلاقية داخلية الاتجاه وخارجية الاتجاه .

فإذا كان شخص ما يملك نسقاً أخلاقياً تتحدد فيه منزلة العامل الأخلاقية كلية بواسطة ذات أفعاله واتجاهاته ومعتقداته ودوافعه وهلمجرا ، فسوف أقول أن منزلة العامل الأخلاقية

ذاتية التحديد(self - determined) . وأما إذا كان نسق العامل الأخلاقي بحيث أن منزلة العامل الأخلاقية تعتمد – على الأقل جزئياً – على معتقدات الناس الآخرين وأفعالهم واتجاهاتهم فسوف أقول أن منزلة العامل الأخلاقية غيرية التحديد (other - determined) ومن المفيد أن نوسع أو نعمم التمييز لينطبق على الأنساق الأخلاقية كلها بحيث ان النسق الأخلاقي الذي تكون فيه منزلة العامل الأخلاقية ذاتية التحديد سيقال أنه نسق ذاتي التحديد. والنسق الأخلاقي الذي تكون فيه منزلة العامل الأخلاقية غيرية التحديد سيقال أنه نسق غيري التحديد (وسوف أعد الأنساق الأخلاقية التي تعتبر أن منزلة العامل الأخلاقية معتمدة على أقوال الله وأفعاله واتجاهاته « أو ميوله » إلخ .... كأنساق ذاتية التحديد).

وهذا التمييز مثل غيره من التمييزات المقدمة في هذا الباب إنما هو تمييز بالدرجة أكثر منه بالنوع . فالأنساق الأخلاقية بكل وضوح ربما تكون تقريباً ذاتية التحديد أو غيرية التحديد . ويمكن أن توجد الأمثلة الواضحة لغيرية التحديد في الأخلاق الشعبية العربية مثلاً في قصص ألف ليلة وليلة (Arabian Nights). واستناداً على القصص المأخوذة من حاضر الكويت والمملكة العربية السعودية التي وردت في كتاب دكسون – عرب الصحراء (The Arabs of the Desert) فإنه يبدو أن تلك الناحية من الأخلاق العربية لم تتغير كثيراً منذ القرون الوسطى . والاقتباسات التالية تدل بوضوح على أخلاق غيرية التحديد : " ويلاه لقد تشاكست مع القاضي وفي لحظة الغضب قتلته ولكن إذا أعنتني أنت يا صديقي لنتخلص خفية من الجثة فلن يطلع أحد على ذلك وسوف نسلم جميعاً " . (١٧)* وهذه قصة أخرى ربما تكون أكثر وضوحاً من السابقة : " وكان لا يستطيع احتمال الرجل الذي فعل الأشياء بوقاحة ، وكُشِفَ أمره، فلا غفران عنده لمثل هذا الرجل" (١٨)* .

ان التمييز بين أنساق الأخلاق ذاتية التحديد وغيرية التحديد شديد الارتباط بالتمييز بين العقوبات الداخلية والخارجية (internal and external sanctions) لأنه إذا كان هدف العامل هو تحسين منزلته الأخلاقية فالأنساق ذاتية التحديد وغيرية التحديد سوف تتجه لتوظيف واستعمال أنواع العقوبات الخارجية – بمعنى ردود الأفعال الحقيقية أو المتوقعة من الآخرين من الناس ولذلك لن تكون ملائمة للعامل ما دام يملك نسقاً أخلاقياً ذاتي التحديد .

وهذا التمييز (بين الأنساق ذاتية التحديد وغيرية التحديد) هو أيضاً بدوره شديد

الاتصال بالتمييز بين العار والذنب. فإذا كان النسق الأخلاقي بحيث أن منزلة العامل الأخلاقية فيه ذاتية التحديد فإنه يبدو حينئذ - وفقاً للاستعمال المعتاد - أنه يشير إلى القلق الاضطراب الأخلاقي الذي مرّ به العامل بوصفه مذنباً عندما خرق معايير النسق . أما بالنسبة للشخص الذي حول الأخلاق غيرية التحديد إلى أخلاق داخلية من جهة أخرى ، فإن القلق أو الاضطراب الأخلاقي الذي يمر به عندما يناقض أحد معاييره الأخلاقية يعتمد على توقعاته لردود أفعال الآخرين من الناس . وسيكون من المعقول أن نشير لمثل هذه التوقعات بتوقعات العار (١٩)* .

فالشخص الذي لديه أخلاقاً غيرية التحديد يعاني قلقاً واضطراباً بالنظر إلى منزلته المنحطة في نظر الآخرين . أما الشخص الذي لديه أخلاقاً ذاتية التحديد فهو يعاني قلقاً واضطراباً بالنظر إلى منزلته المنحطة في نظره هو نفسه .

٥- الفوائد الاستكشافية للمنهج مركزي العامل في الأخلاق :

إن أحد السمات التي تستحق الملاحظة في تطور فلسفة الأخلاق في المائة سنة الأخيرة هي التبدل والانتقال من مستوى الحديث عن الشخصية (character) إلى مستوى الحديث عن مظاهر الشخصية (manifestation of character) وقد كان أحد أسباب هذا التبدل في بؤرة الاهتمام هو أن الحديث عن الفضائل والرذائل قد وُجِدَ غير كاف أو مقنع لشدة غموضه والانتقال من المنهج مركزي العامل الذي يهتم بالحديث عن الشخصية إلى المنهج مركزي الفعل الذي يهتم بمظاهر الشخصية يمكن ملاحظته بوضوح في كتاب سدجفيك (Sidgwick) مناهج الأخلاق (Methods of Ethics) الذي طبع أولاً في عام ١٨٧٤م . إذ أن جزءاً كبيراً من هذا الكتاب هو عبارة عن مقال في الأخلاق الوصفية ، حيث حاول سدجفك ان يرسم فيه الأخلاق العامة في مجتمعه . ومغزى عمله هذا هو أنه قام به في شكل استعراض للتصورات الشعبية للفضائل والرذائل . غير أن سدجفك قد وجد أن المعنى المعتاد أو العامي ليس واضحاً فيما يتعلق بالمبادىء الأولية ولذلك فقد طرح مقياس النفعية في الصواب والخطأ لتوضيح الأخلاق العامة. وهذا المنهج الجديد قد وقع - على وجه التأكيد - في كثير من أغلاط الإهمال والغفلة ولكنه في نفس الوقت جاء ليقود للاهمال النسبي لدور العامل في الحياة الأخلاقية . ومهما كان الحال، يبدو أن المعلومات التي عن آراء الناس ، تعطي إدراكاً لجوهر حياتهم الأخلاقية أكثر

من المعلومات التي عن ماهية الأفعال الخاصة التي ينبغي للمرء أن يفعلها – كما توصل إلى ذلك ريتشارد براندت في تحليله للأخلاق الهوبية (Hopi ethics) (٢٠)* . لماذا يكون الابتداء بالمثل العليا للشخصية أي تصورات الفضائل والرذائل ، أكثر وضوحاً من الإرشادات الجزئية للقيام بالأفعال أعتقد أنها بالفعل هي نفس الصفة التي قادت سدجقك بعيداً عن أخلاق الفضيلة : وهي عدم تَحَدُّدِها أو تَعيُّنِها. فالحديث بالمفاهيم العامة عن الفضائل والرذائل يميل إلى أنه أكثر عدم تحديدٍ في المعني من الحديث عن التصرف الظاهر. وهذا ما يجعلها أكثر ملائمة للدلالة على الخطوط العريضة للنسق الأخلاقي . فأسماء الفضائل تعمل كمقدمات لأنواع التصرف الصائب. والفضائل هي شعب أو أقسام الواجب كما ذكر سدجقك . (٢١)* ويما أن كل فضيلة ورذيلة تتفرع إلى أوامر ونواهي خاصة ، (٢٢)* ، فإن لها فوائد استكشافية وتفسيرية (heurist and expository) عند تناول أخلاق ما بواسطة مُثُلِها أو تصوراتها الشخصية .

ولنفس السبب فإن لغة الفضائل والرذائل تلعب دوراً بارزاً ومهماً في التوجيه الأخلاقي فالشارات ، المهنية وشارات مدارس الأطفال والكشافة عادة ما تحمل خليطاً من مفاهيم الفضائل والواجب .

كتب و . أ . هـ . ليكي (W. E. H. Lecky) مرة يقول " إن تاريخ الأخلاق هو بالضرورة تاريخ التغيرات والتبدلات التي حدثت ليس في تصورنا لما هو صواب وما هو خطأ بل في المكانة النسبية والأهمية التي نوليها للفضائل والرذائل المختلفة (٢٣)* وربما يكون في ذلك شيء من المبالغة ولكنني أميل إلى موافقة ليكي (Lecky) في أن أفضل مفتاح للبيئة الأخلاقية، لمجتمع ما هو تصوراتها الشخصية، أي نوع التصور الأخلاقي الذي يوجد في عقول الناس . (٢٤)* .

فنوع التصور الأخلاقي ما هو إلاّ صورة أو نسخة طبق الأصل للحياة الأخلاقية .

الباب الخامس

تحليل الفضائل

لقد بدأنا في الباب السابق في تطوير تصور للفضيلة يتناسب مع مقاصد دراسة الثقافة المقارنة. ويمكننا الآن بعد هذه المقدمات أن نطرح تعريفاً واضحاً لمفهوم فضيلة من شأنه أن يحدد مجال البحث الذي أشرنا إليه بـ " أخلاق الفضيلة "(كما في الفصل الأول) . وسنقارن هذا التعريف مع تعريف "فضيلة" بوصفها صفة الشخصية، (كما في الفصل الثاني) أما ملائمة علم النفس لأخلاق الفضيلة فسوف نقوم باختباره باختصار في الفصل الثالث . وسوف نعلق أخيراً على فلسفة المعنى بالنسبة لمصطلحات الفضيلة . كما ونستعرض بعض النتائج العملية لمرونة مفهوم الفضيلة بالنسبة لدراسة أخلاق الفضيلة (أنظر الفصل الرابع والخامس).

مفهوم الفضيلة :

إن السبب في حاجتنا لتعريف تصور الفضيلة في السياق الحالي هو أننا نريد أن نحدد مجال بحثنا . فنحن نريد إجابة على السؤال : ما هو مقدار الجزء الذي تحتله أخلاق الفضيلة من مجال الأخلاق ؟ ونوع التعريف الذي نحتاجه إذن هو تعريف جامع لمجاله أو تعريف برنامجي " للفضيلة " ويمعنى آخر فإننا نحتاج إلى تعريف واضح يحوي بعض الشبه لمعنى " الفضيلة" المعتاد وفي نفس الوقت يحدد مجال بحث مهم وغير شديد الضيق وأيضاً يكون قابلاً للتطبيق بفعالية في مبحث الثقافة المقارنة (راجع الباب الأول) .

أما بالنسبة لشرط المشابهة للاستعمال المعتاد فإنه تُترك حرية كبيرة للمعرف وذلك لأن الصفحات الثلاثة الأولى التي خصصت في قاموس أكسفورد الإنجليزي (Oxford English Dictionary) تشرح بطريقة كافية أن " فضيلة" (virtue) هي كلمة مطاطة مرنة تستعمل بطرق واسعة التنوع . وبما أننا نهتم هنا بمفهوم "فضيلة" وليس بمفهوم الفضيلة عموماً (١)* فإن الاستعمالات الآتية للفضيلة التي رتبت في القاموس هي ذات أهمية خاصة في السياق الحالي :

٣- مع a - أي الصفة و .PL - أي الجمع : تفوق أخلاقي معين ، ظهور خاص (special

(manifestation لتأثير المبادىء الأخلاقية في الحياة أو التصرف .

٥- السمو (أو الرفعة) (superiority) أو التفوق (excellence) مقدرة فائقة ، جدارة (merit) ، أو امتياز، في ناحية ما .

١١- مع a - أي الصفة و .PL - أي الجمع : قدرة خاصة واقتدار أو فاعلية (efficay) أو خاصية حسنة متأصلة في أو متعلقة بشيء ... (٢)*

وبناء على ملاحظاتي الخاصة لاستعمال كلمة " فضيلة " في جريدة الأبزيرفر -The Obe) (server وجريدة رجل الدولة الجديد (The New States Man) وغيرهما فإن المعنى الشائع والعام لكلمة " فضيلة " في اللغة الإنجليزية هو ما أشار إليه قاموس اكسفورد الإنجليزي في ٥ وفي ١١ عاليه : فقد جاءت كلمة فضيلة لتعني ليس شيئاً غير : صفة حسنة -good fea) (ture أو خاصية حسنة (good quality) . أو سمة أو ميزة حسنة (good trait) . ففضيلة الشيء وفقاً لهذا الاستعمال - هي ما هو حسن فيه أو ما يجعله حسناً . وفضيلة الانبذة الفرنسية زهيدة الثمن على سبيل المثال هي ما هو حسن فيها - وفقاً لكتابة الخبير في جريدة الأبزيرفر (The Observer) . وفضائل الجنرال العظيم هي الصفات أو الخصائص التي جعلته جنرالاً عظيماً ، وهلمجرا .

أما المعنى الأخلاقي لـ "فضيلة" المشار إليه في ٣ أعلاه فيبدو أنه نادر هذه الأيام . فكلمة فضيلة كمفهوم أخلاقي قد أُفسِدَت عما كانت عليه ، باستعمالها في قرائن أخلاقية. فقد استوعبت قدراً عظيماً من البيئة الأخلاقية المتصلة بزمان قد مضي حتى أنه أصبح من الصعب استعمالها بصورة جادة فيما بعد . فهي كلمة أقدم أسلوباً من أن تستعمل في الأخلاق . ولكن مع ذلك فهي كلمة مفيدة وبتسويرها بنوع الاحتياطات المذكورة في الباب الحالي والأبواب السابقة يجب أن يكون في استطاعتنا أن نخلصها مما هو غير مرغوب فيه من القرائن المصاحبة لها .

ولقد وجدنا أنه من الأنسب أن نشير إلى الفضائل بوصفها "ميزات" أو صفات في معني غير محدد (أنظر الباب الرابع، الفصل الثاني) . وقد تناولنا مصطلحات الفضيلة بحيث تقوم مقام أقسام الواجب أو منظومات التصرف والشخصية (أنظر نفس المرجع السابق) ، ولذلك إذا أظهر أي شخص التصرف والشخصية الملائمين بدرجة كافية ، فحينئذ تنسب إليه الصفة

أو الميزة المطابقة . وعندئذ فهذه الطريقة لاستعمال المصطلح "فضيلة" يتفق جداً مع الاتجاه المعاصر لاستعمال المصطلح "فضيلة" لتشير إلى أي خاصية حسنة في شيء أو إنسان ولذلك فقد قررنا أن نُضمِّن هذه الصفة لمعنى "فضيلة" في تعريف الفضيلة الذي تبنيناه حسب مقاصد هذا الكتاب.

تعريف : سوف تعنى كلمة فضيلة في هذا الكتاب صفة خيرة، خاصة خيرة سمة خيرة .

ففضائل الإنسان السوداني الصالح وفقاً لهذا التعريف هي الخواص أو السمات أو الصفات التي لابد للشخص أن يملكها حتى يكون سودانياً صالحاً وفضائل الأب الصالح هي السمات التي تجعل الرجل أباً صالحاً وهلمجرا .

ويمكن تعريف أخلاق الفضيلة لفرد ما بأنها ذلك الجزء من أيدولوجيته الذي يحتوى على تصوراته لما يجب عليه أن يكون مثله لكي يصير رجلاً صالحاً ، أو امرأة صالحة أو مواطناً صالحاً ، أو رجل قبيلة صالح ، أو صديقاً صالحاً أو ميكانيكياً صالحاً ، وهلمجرا . وتشمل أخلاق الفضيلة وفقاً لهذا التعريف كل فضائل الناس بكل طاقاتهم وأدوارهم .

وهذا التعريف الذي طرحناه لكلمة فضيلة كما يبدو لي يستوفي كل الشروط التي توافق جيداً التعريف البرنامجي . وهو يوافق جيداً الكيفية التي تستعمل بها "فضيلة" في عصرنا

(المترجم . كلمة (good) الإنجليزية تعنى فى اللغة العربية عدة معان في هذا السياق مثل خيِّر ، فاضل ، حسن ، جيد ، طيب . . . إلخ وهى معاني مساوية لبعضها البعض لهذا سوف نستعملها كمترادفات لمعنى كلمة (good) حسب المقام) . هذا وهو أيضاً يحدد مجال بحث مهم – لكنه مهمل جداً – وأنه قابل للتطبيق بفعالية وأيضاً فى مقارنة الثقافات .

٢– الفضيلة هي ميزة الشخصية :

إن الطريقة التي قدمنا بها فكرة الفضيلة آنفاً تجعل تقرير ما إذا كانت لأسماء الخاصة للفضيلة تقوم مقام ميزات من نوع خاص مسألة تجريبية – مثلاً هل تقوم أسماء فضيلة مقام ميزات الشخصية في معنى ما ؟ ومع ذلك فكثير من الناس يميلون ميلاً قوياً لاعتبار القول : الفضيلة هي ميزة "الشخصية" . قولاً صادقاً منطقياً. وبمعنى آخر فهم يريدون تعريف "

الفضيلة "بواسطة ميزات الشخصية ويعتبر براندت مثلاً لذلك ، حيث يقول ويمكن أن نعرف " الفضيلة" بأنها ميزة شخصية مرغوبة و " الرذيلة "ميزة شخصية غير مرغوبة (٣)* .

وقد عرف براندت ميزة الشخصية بأنها اتجاه أو ميل استجابة محتملة من الشخص كله وهي : (١) - إما رصيد اجتماعي أو مسئولية ضمان اجتماعية أو ٦- في إطار ضبطنا الاختياري والإرادي على أقل تقدير بمعنى أننا يمكن أن نسلك أو نفعل كما لو أننا نملكها إذا كانت رغباتنا أو حظوظنا كما يجب أن تكون ؟ (٤)* ولكن القصور الوحيد في هذا التعريف لكلمة "فضيلة " هو أنه غير ملائم للاستعمال في البحث التجريبي . فكيف يقرر الباحث مثلاً ما إذا كان تصور المخبر "للشجاعة" هو أنها بالنسبة له تقوم مقام اتجاه استجابة محتملة نسبياً للشخص كله ؟ إن جعل تصور الفضيلة معتمداً على افتراضات عن حرية الإرادة - وهو أمر شائع تقريباً - لا يقود فقط للخلط والارتباك بل يهدد بجعل أخلاق الفضيلة مجالاً للبحث أقل أهمية مما يمكن أن يكون ، ذلك لأنه من المحتمل جداً أن يجد الباحث تصورات عن الرجل الصالح لا تتصل مطلقاً بأي فرضية عن الإرادة الحرة أو مقترنة مع أفكار الإرادة الحرة. ومما يؤسف له أن أخلاق الفضيلة قد قيدت بهذه الطريقة بمسائل تدور حول التهرب والمسئولية والعقاب والذم والثواب . (٥)* . وبما أن تصورنا الواسع للفضيلة ليس مقيداً فهو يساهم من هذه الناحية في قابلية تطبيقها بفعالية في البحث الأيديولوجي .

وإذا كان الباحث يرغب في الحصول على تعريف بديل بالنسبة لميزة الشخصية يتجنب افتراضات حرية الارادة فمن الطبيعي أن يقبل على المراجع التي تتناول سيكلوجية الشخصية والتي تحوي عادة فصولاً عن الميزات والشخصية . غير أن ضوابط ميزات الشخصية التي توجد في علم النفس المعاصر تبدو مع ذلك غير ملائمة لمقاصد الأخلاق الوصفية، وهذا إنما يعود إلى سببين اثنين هما :

١- إنها تعجز عن استيفاء شرط وجوب إمكانية تطبيقها بفعالية في البحث الميداني .

٢- وهي تذهب بنا بعيداً عن مجال الأيديولوجية إلى ميدان السلوك الأخلاقي. وقد عرف أحد علماء النفس الميزة الشخصية بأنها استعداد نفسي محتمل يردع البواعث وفقاً لقاعدة مطردة . (٦)* ومن المحتمل أن يضاف هذا التعريف إلى منهجية قد تجعله قابلاً للتطبيق بفعالية خارج المعمل النفسي. ومن المسلم به جدلياً أن احتمالات عدم جدواه بالنسبة للعالم

النفسي الذي يعمل تحت الظروف أو الشروط العملية هي نفسها بالنسبة لعالم الأخلاق الوصفية الذي يقوم بعمل ميداني عن أخلاق المخبر . وأما بالنسبة للاعتراض الثاني فيجب أن يكون واضحاً وبصفة مباشرة أن الاستعدادات أو الميول النفسية لا تردع البواعث – فمثلاً هي غير ملائمة للبحث الأيديولوجي المتعلق بتصورات شخص ما عن الرجل الصالح أو الأب الصالح ، والأستاذ الصالح . وهلمجرا . والعلاقات بين البحث الأيديولوجي وعلم النفس ، على كل حال ، تتجه إلى إثارة الحيرة والتخليط . لهذا فهي تستحق أن نفرد لها فصلاً خاصاً لمحاولة إيضاحها .

٣- البحث الأيديولوجي وعلم النفس :

إن إحدى طرق بيان التمييز بين الأخلاق وعلم النفس هي أن نقول أن الأخلاق تعني بالمسائل المعيارية أو القيمية أما علم النفس فهو يعني بمسائل الحقيقة فالأخلاق تهتم بتناول القيم وعلم النفس يهتم بتناول الحقائق. ولكن القول بأن الأخلاق تهتم بتناول القيم إنما هو قول يُهمِّش الفرق الهام بين الطرق التي تتعامل بها الأخلاق الوصفية والمعيارية مع القيم . فالأخلاق المعيارية هي العلم الذي يحاول أن يجيب على المسائل المعيارية والأخلاق الوصفية – من جهة أخرى – هي ليست مجالاً قيمياً أو معيارياً على الإطلاق بل هي مجال حقائق ومجال دراستها هو الأخلاق المعيارية . والتمييز بين الحقائق والقيم لا يمكن اذن أن يستعمل لتمييز الأخلاق الوصفية عن علم النفس . إذ أن كلاهما (أي الأخلاق الوصفية وعلم النفس) علم حقائق .

ويمكن للباحث أن يُضَمِّن البحث الأيديولوجي كله في علم النفس إذا رغب في ذلك . لأنه في البحث الأيديولوجي إنما يفحص أفكار الناس ومعتقداتهم واتجاهاتهم ومعاييرهم وتصوراتهم (أو مثلهم العليا) وهلمجرا . وسيكون من الطبيعي أن نقول أن هذه الأبحاث تنتمي إلى علم النفس بمفهوم واسع . وكثيراً ما يفهم أو يؤخذ علم النفس بمعنى ضيق جداً . ولهذا السبب فإن البحث الأيديولوجي لا يقع في إطار علم النفس . والتركيز والتأكيد على السلوك في علم النفس الحديث يمكن ملاحظته بوضوح أيضاً في مجال النفس والشخصية. وبقدر ما أن لفلاسفة الأخلاق اهتمام بالمسائل الأخلاقية فإن اهتمامهم الرئيسي إنما هو بالسلوك الأخلاقي وليس بالأفكار الأخلاقية. وحقيقة ذلك جلية وواضحة أبداً من تعريفات ميزات الشخصية المتداولة في مراجع علم النفس والتي وُضِعَتْ لتكون ملائمة لدراسات السلوك

الأخلاقي . فالفرق بين البحث الأيديولوجي وعلم النفس كما تزاول أو تمارس هذه العلوم حالياً انما هو إذن فرق في التركيز أو مركز الاهتمام أكثر منه في مادة الموضوع.

ويمكن أن يستعمل التمييز بين الدراسات المورفولوجية والسببية - الوظيفية (انظر الباب الثالث - الفصل الثاني) لإيضاح هذه النقطة بطريقة أخرى . فالفحص المورفولوجي للنسق الأيديولوجي مثل أخلاق الفضيلة يتناول بالدراسة محتويات وشكل النسق بمعزل عن الأنساق الأخرى . وأما في الدراسة السببية أو الوظيفية . فالنسق محل الدراسة انما يرتبط بعوامل خارجية مثل أنساق السلوك أو الذات (systems of behaviour or personality) والدراسة المورفولوجية المحضة للأيدولوجيات إنما هي مهمة العالم المتخصص في الأيديولوجية (مثلاً عالم الأخلاق الوصفية) . وأما ممثلي العلوم الأخرى (مثل المؤرخين وعلماء الاجتماع وعلماء النفس فهم يتجهون إلى تناول الموضوع بطريقة أوسع فيدرسون الأيديولوجية بالنسبة إلى عوامل أخرى . وعلى سبيل المثال فدراسة السلوك الأخلاقي إنما هي بوضوح دراسة من النوع الثاني - أي جزء من البحث السببي - الوظيفي . والنقطة المهمة التي تستدعي الملاحظة هي أن أي جزئية من البحث السببي - الوظيفي إنما تعني بالعلاقات بين الأيديولوجيات وعوامل أخرى . أما دراسات السلوك الأخلاقي مثلاً فإنما تعني بمسألة : إلى أي حد يطابق الأشخاص الذين تحت الدراسة مقاييس معينة، ربما تكون أو لا تكون مقاييسهم هم أنفسهم . وبما أن هدف الدراسة هو معرفة الحد الذي يوافق فيه هؤلاء الأشخاص مقاييسهم التي يُقرّونها ، فإنها سوف تكون دراسة للفعالية العملية لمقاييسهم . (انظر الباب الثالث ، الفصل الأول) . ومن الواضح ان أي دراسة للفعالية العملية تفترض نتائج البحث المورفولوجي. ولما كان الفحص يهدف إلى معرفة الحد أو المدى الذي يوافق فيه مقاييسهم المعطاة، والتي ربما يجعلونها أو لا يجعلونها داخلية بالنسبة لهم، فإن الفحص للمرة الأخرى يفترض شيئاً من الدراسة المورفولوجية ، والمقياس المعطى يجب أن يكون - على أقل تقدير صريحاً وواضحاً في رسمه . ويبدو أن بعض الخلط قد يظهر في دراسات السلوك الأخلاقي وذلك بسبب الفصل أو القصور في رسم المقاييس المطلوبة بوضوح ، وبسبب الفشل في التمييز بين دراسات الفعالية العملية لمقاييس الفرد نفسه ودراسات الموافقة لمقاييس أخرى (مثلاً تلك المقاييس التي يتمنى المجتمع للفرد أن يوافقها) . (٧)* .

وخلاصة ذلك هي أن علماء النفس يميلون لدراسة العبارات الأخلاقية والأيديولوجية الأخرى

من وجهة نظر سببية – وظيفية. في حين أن الفحص الأيديولوجي المحض يقام به من وجهة النظر المورفولوجية . فمراجع علم النفس التي تتناول نظرية الميزة والشخصية والذات هي إلى حد كبير غير ملائمة للدراسات المورفولوجية في الأخلاق الوصفية وذلك بسبب تركيزها على السلوك.

٤- لغة الفضائل و الرذائل:

ليس هناك تسمية قياسية في مجال الفضائل والرذائل . إذ أن لغة الفضائل والرذائل غنية وثرّة . فاللغة الإنجليزية قد نشر عنها أنها تحوي ١٧٩٥٣ تعبيراً يصف السلوك الشخصي أو الذات . (٨)* (٩)* وهذه التعابير ليست كلها تعابير فضيلة (virtue terms) . (١٠)* أما اللغات الأخرى فربما تكون أقل وفرة في هذه الناحية ولكن ليس هناك سبب لتوقع أي نقص في تعابير الفضيلة في أي من لغات العالم الكبرى .

وتعابير الفضيلة هي مثلها مثل كلمة حسن (good) تستعمل في كل من الوصف والتقييم ولكنها باستثناء كلمة "حسن" لا يمكن أن تستعمل تقييمية محضة للتعبير عن الاستحسان العام فهي على الدوام تحمل شيئاً من المحتوى الوصفي، إذ لها مدى تطبيقياً أقل بكثير من كلمة حسن (good) . ولكن من الخطأ أن نفترض أنه لا يوجد تنوع على الإطلاق في المعنى الوصفي لتعابير الفضيلة . فمقاييس الأمانة والشجاعة والعدالة ليست متساوية بالنسبة لكل الناس في كل المجتمعات المختلفة أو بالنسبة لكل الناس في المجتمع الواحد . أو بالنسبة لنفس الشخص في أوقات مختلفة . فتوجد حالات جوهرية يتفق أغلبية الناس فيها أن كلمة "أمانة" بلا شك تنطبق عليها ولكن يضم مختلف الناس إلى هذا المعنى الجوهري حالات أخرى بطرق مختلفة . لذا فإن المجموع كله المشار إليه بـ "الأمانة" لا يكون متساوياً على وجه الدقة بالنسبة لكل الأفراد . فالأطفال يشيرون تقريباً إلى موضوع مختلف عن الكبار عندما يستعملون كلمة "أمانة" وإذا كان الطفل متناقضاً في آرائه عن الأمانة أو في درجاته التي أحرزها في اختبار الأمانة فربما يكون السبب في ذلك هو أن الشخص الذي يعمل وفق تصور آخر للأمانة يختلف بدوره من تصور الطفل الذي يقوم بفحصه . لذلك فما يبدو متناقضاً من وجهة نظر الشخص القائم بالفحص إنما هو متسق تماماً من وجهة نظر الطفل . (١١)* .

إن عدم الاستقرار والثبات في المعنى بالنسبة لكل تعبير فضيلة بالإضافة إلى استفاضة

وكثرة التعابير يجعل للفرد حرية واسعة في استعمالها . فيمكن أن تصاغ تعابير الفضيلة ضمن حدود واسعة لتناسب ذات مقاصد الشخص من غير خرق لحدود الاستعمال الصحيح .

وفيما يلي إليك مثالاً تنويرياً لكيفية حدوث مثل هذه الصياغة (١٢)* : أراد أعضاء أحد كليات البنات في الولايات المتحدة أن يضعوا شعاراً أخلاقياً (code of ethics) لطالباتهم . ومن بين ١٥٠٠ تعبير اختارت الكلية ٢٢٢ اسماً تشير إلى ما يمكن اعتباره خصائص حسنة بالنسبة للنساء ثم خفضت الـ ٢٢٢ اسماً إلى ٣١ عائلة (مجموعة) من الميزات المتقاربة . ثم اختيرت ميزة واحدة من كل عائلة من الميزات بطريقة تحكمية لتكون ميزة رئيسية لعائلتها . فقد أخذ "اللطف" (courtesy) مثلاً على أنه يشمل الرأفة (graciousness) ، التربية الحسنة (good breading) ، التأدب (manerliness) ، الرقة (gentleness) ، التهذيب (refinement) ، الكياسة (politeness) الظُّرف (gentility) ، الأنوثة (ladylikeness) . وقد اختار أعضاء الكلية من قائمة الميزات الرئيسية أهم عشرة ميزات بمعالجة إحصائية حسب ترتيبهم لأهميتها النسبية . وقد كانت النتيجة هي شعار أخلاقي يتألف من عشرة كلمات وهو العدد المفضل في الشعارات الأخلاقية وأهم عشرة خصائص رأي أعضاء الكلية أنه ينبغي لطالبة الكلية أن تحوزها هي : الحيوية (cheerfulness) اللطافة (courtesy) الانضباط (discipline) الجرأة (forcefulness) ، الصحة (healthfulness) ، الأمانة (honesty) ، الحب (love) ، الروح العلمية (scholarliness) ، المعاملة (service) ، التدين (spirituality) ، وبما أن نصوص الفضيلة تقبل مثل هذا النوع من المعالجة من غير تعدٍ على ما يعد لائقاً لغوياً فإن هذا يجب أن يكون تحذيراً بأن لا نتوقع قدراً كبيراً من التساوي في استعمال مثل هذه النصوص كما ويؤكد أهمية الدراسات التفصيلية للحالات في مجال الفضائل .

٥- استنتاجات عملية :

إن احتمال التباينات أوالاختلافات في مجموعات التصرف والشخصية (cluster of con- duct and character) المشار إليها بنصوص الفضيلة تصبح ذات أهمية خاصة في دراسات الثقافة المقارنة ويجب أن يكون هناك بعض الشبه في اللغة الأجنبية والمجموعة المشار إليها بنص في اللغة الانجليزية لكي يعتبر النص الأجنبي ترجمة للنص الانجليزي . وسيكون أدعى للدهشة إذا كانت المجموعة المشار إليها بالنص الأجنبي متطابقة مع المجموعة المشار إليها في النص الانجليزي (كما استعمله الباحث مثلاً) . وسيكون مجافياً للحكمة أن تعلن أنه لا توجد

ترجمة للنص الانجليزي في اللغة الاجنبية – فهذا مما يقلل من درجة استقرار أو ثبات معنى النص في اللغة الانجليزية .

أفضل طريقة لتجنب مخاطر الترجمة هي أن نستعمل على الدوام النصوص المحلية كمصطلحات فنية حتى في المعاينات التي تجرى مثلاً باللغة الانجليزية . وإذا كان لابد من استعمال الترجمات الانجليزية – ويسهل في بعض الأحيان استعمالها – فإنه يجب على الباحث حينئذ أن يوافق على ترجمات قياسية حتى يتجنب – مثلاً استخدام مخبرين مختلفين مع الخلط الناتج عن ذلك . ويمكن ترجمة بعض النصوص بسهولة نسبية ولكن كلما عظم اختلاف مجموعة التصرف والشخصية (cluster of conduct and character) المشار إليها بالمصطلح المحلي عن المجموعات المشار إليها بالنصوص الانجليزية كلما كانت الترجمة أكثر تفصيلاً .

ويمكن للباحث على وجه التقريب أن يجد نصوصاً في معظم اللغات الأخر تتطابق جيداً مع الكلمة الانجليزية (courage) أي الشجاعة . ولكن يجب على الباحث أن لا يستغرب إذا وجد شيئاً يعتبره هو شخصياً لا يرتبط بالشجاعة غير أنه مضمن في المجموعة التي تبدو على وجه العموم مطابقة لما نطلق عليه (courage) – الشجاعة ، أو إذا وجد مضمن فيها (أي المجموعة) سلوكاً نطلق عليه نحن (cowardly) – جباناً ، أو إذا وجد فيها سلوكاً نرى أنه مثالاً للشجاعة ولكنه غير مضمن في تصور المخبر للشجاعة .

فالتناقض بين آراء المحلل والمخبر عن الشجاعة ربما يكون ناشئاً عن التخليط أو عدم الأمانة من جانب المخبر . ولكنه قد يكون ناجماً أيضاً عن الاختلاف في التصور نفسه. فإذا قال مخبر لأحد المحللين أن الهروب عندما يجابه الشخص أنواعاً معينة من الخطر ليس علامة على الجبن ، فهذا القول ينبغي أن لا يفسر على أنه اعتذار واهن ضعيف أو تبرير لسلوك غير جدير . ذلك لأنه في هذه الحالة توجد من البداية قضية أو مشكلة تتعلق بالاختلاف في تصور الشجاعة نفسه . إذ أن تصور المخبر للشجاعة مثلاً قد يتضمن الرأي القائل بأنه يجب على الشخص أن لا يعرض نفسه للخطر في غير ما ضرورة ، والموقف الذي يميل بالمحلل إلى الاعتقاد بأن الرجل الشجاع يجب عليه أن يصمد فيه ويجابه الخطر ، قد يعتبره المخبر موقفاً لا يتخلف عن الهرب فيه إلا أرعن . (راجع ٧٧ والتعليقات في الباب السابع) . ولكي نتبين أو نكتشف هذه الاختلافات بين التصورات المختلفة للشجاعة والفضائل الأخرى فمن الضروري

أن ندخل في تطبيق المصطلحات العامة لندرس أمثلة وقصص وحالات، ومن غير ذلك فإن البحث يمكن أن يظل إلى الأبد في المستوى المريح للموافقات الخادعة مثل : " من المؤكد أنك توافق أن الشجاعة فضيلة؟ آه " نعم أعتقد أنه يجب على الشخص أن يكون شجاعاً وهلمجرا .

الجزء الثانى

الأخلاق السودانية التقليدية

الباب السادس

تخطيطالبحث

١- مقدمة :

لم توجد بعد ثقافة سودانية متجانسة أو قومية سودانية واحدة ومقياس تعدد وتباين الأعراق والثقافات التي تشكل وتميز السودان حقيقة هو الإحصاء السكاني الأول الذي أجري في السودان في عام ١٩٥٥/٥٦ فقد رصدت الاستعدادات والاحتياطات لعدد ١١٥ لغة و٥٩٧ قبيلة جمعت في ٥٦ مجموعة قبلية . (١)* وقد رتب الإحصاء السكاني سكان السودان كالآتي:-

٣٩٪ من العرب (٢)* و٣٠٪ " من الجنوبيين " و١٢٪ من أهل الغرب و٦٪ " نوبة " و٣٪ من " النوبيين " والبقية وهم ٣٪ " أجانب وعناصر مختلفة . (٣)* فالانقسام الثقافي الرئيسي إنما ينصرف بين الجزء العربي ذي الأغلبية المسلمة في شمال البلاد والجزء الزنجي غير المسلم في الجنوب (٤)* .

وقد وجد المراقبون من أهل الدراية أحياناً أن الشمال متجانس ثقافياً (٥)* على وجه العموم . ولكن إلي أي حد يكون ذلك صحيحاً من الناحية الأيديولوجية فهذا مما يتطلب البحث .

وأيديولوجيات السودانيين في الواقع هي أرض بكر ومهملة - فالدراسات هي أرضية توضح وجوهاً معينة للأخلاق وصورة العالم بالنسبة لقبائل محددة يمكن أن نجدها في الأعمال الأنثروبولوجية مثل دراسات ا‌ڤانس برتشارد (Evans Pritchard) الشهيرة عن النوير والزاندي (Azande) وقد كتب رواد الاستكشاف ورجال الخدمة المدنية ملاحظات تعطى مؤشرات للبحث ولكن لم يتمّ حتى الآن في السودان أي بحث مكثف ومفصل بالنسبة للأخلاق الوصفية . وفي حالة عدم وجود أي بحث سابق في هذا المجال - كما هو الحال الآن - فان أفضل طريقة لدراسة موضوع الآراء الأخلاقية في السودان - كما يبدو لنا - تتمثل في القيام بعمل عدد مفصل من دراسة الحالات التي يمكن أن تجرى على أساسها أبحاث مكثفة (مثلاً ذات طبيعة إحصائية) .

والبحث الحالي هذا يتعلق ببعض جزئيات الإنسان الأخلاقية لقليل من الأفراد إنما نقصد به الدراسة الاستكشافية التي تهدف للوصول إلى فرضيات يمكن اختبارها في أبحاث أخرى.

وبالنسبة لفيلسوف الأخلاق نجد أن الأنساق الأخلاقية المتعلقة بالأفراد المنتقين إنما يكون لها أيضاً أهمية ضمنية ملازمة بغض النظر عما تمثله كنماذج لرؤى أخلاقية محتملة ولكنها غير معروفة بالنسبة لكثير منا .

٢- المخبرون :-

لقد كان من الطبيعي بالنسبة لي بوصفي استاذاً لكرسى الأخلاق بجامعة الخرطوم أن أتخذ بعض من طلابي كمخبرين - فقد قمت في اكتوبر ١٩٦٣م بإدناء ثلاثة من طلاب المرحلة العليا ، الذين كنت قد درستهم لأكثر من عامين وسألتهم عما اذا كانوا يرغبون في التعاون معي في بحث عن الفضائل السودانية التقليدية . وكان أن وافق هؤلاء الطلاب على المشاركة في المشروع . وسوف أشير إليهم بالأسماء المستعارة التالية : علي ، عثمان وإبراهيم . وقد عقدنا سوياً عدداً من المداولات عن الفضائل السودانية التقليدية في الفترة من أكتوبر ١٩٦٣م وحتى فبراير ١٩٦٤م .

إن فائدة اختيار الطلاب الجامعيين كمخبرين تتمثل في أن المقابلات يمكننا إجراؤها باللغة الانجليزية ، ولما كان هؤلاء الطلاب ثلاثتهم من طلاب الفلسفة فقد أفادني ذلك فائدة أخرى وهي الحصول على مخبرين ، من ذوي الصراحة والوضوح والاهتمام نسبياً ، يمكنني أن أحثهم في طلب المعلومات حتى في حالة ترددهم في تتبع موضوع معين . وقد حدث ذلك عند التطرق للمسائل السياسية ، اذ أنه من المعلوم جيداً أن السودان في ذلك الوقت كان تحكمه عصبة عسكرية لا تسمح إلاّ بقدر ضئيل من حرية التعبير والنظم الديمقراطية الأخرى . وقد يقود الانتقاد العلني للحكومة بكل بساطة إلى السجن كما أدرك أحد المخبرين من خلال تجربته الشخصية . ولما كان هؤلاء المخبرين قد تطوعوا لي بكثير من المعلومات عن أسرارهم الخاصة وفوق ذلك سمحوا لي بتسجيل المداولات على الأشرطة - فهذا دليل على مقدار حسن نواياهم واهتمامهم بالمشروع وإني أكنّ لهم عميق الامتنان على ذلك . وأشك في إمكانية حصولي على مخبرين آخرين كان من الممكن أن يكونوا أكثر تعاوناً منهم وفي مثل هذه الظروف .

وهؤلاء المخبرين الذين وقع عليهم الاختيار هم ثلاثتهم من ضفتي النيل في أواسط السـودان:-

علي من عطبرة وينتمي إلى قبيلة البديرية -٢وعثمان من قرية في منطقة وادي شعير (مديرية النيل الأزرق) وينتمي مثل والديه إلى قبيلة كنانة . وثلاثتهم تتراوح أعمارهم خمسة وعشرين عاماً على وجه التقريب . وقد حصلوا على التعليم الحكومي المعتاد (الابتدائي ، الأوسط ، والعالي في اثنى عشر سنة) قبل التحقاهم بالجامعة .

كما وأن ثلاثتهم قد دخل مدارس القرآن (مدارس الخلاوى) (٦)* لفترات قصيرة أو طويلة . فقد دخل علي الخلوة ما بين الخامسة والسابعة من عمره وقضى فيها إبراهيم بعض الوقت إلى أن فارقها إلى المدارس المتوسطة أما عثمان فقد واصل دراسته فيها حتى بعد المرحلة الثانوية . وثلاثتهم يتصفون بالميول الدينية . وعندما أدعوهم إلى منزلي كان اثنين منهم على الأقل دائماً يخرجون عند مغيب الشمس لأداء فريضة المغرب ولما سألتهم عما اذا كانوا من الإخوان المسلمين ، (٧)* أجاب علي بالنفي وعثمان بالايجاب وأما إبراهيم فقد احتج قائلاً بأنه من الاتجاه الإسلامي (وهو حزب في اتحاد الطلاب بجامعة الخرطوم مطابق بالفعل للأخوان المسلمين ، ويجب أن لا نخلط بينه وبين التنظيم القومي السياسي الذي ظهر في خريف عام ١٩٦٤م) .

هذا ولم يملا أياً منهم أي سطر يستفسر عن الاهتمامات - السياسية في الاستبيان الذي قدمته إليهم .

ولم يكن من بين المخبرين هؤلاء من يمثل جماعة النشاط الشيوعي في الاتحاد ("الديمقراطيين") . وكان يمكن أن يكون من المفيد جداً لو أننا عرفنا إلى أي حد ترتبط انتماءات الطلاب السياسية (الأخوان المسلمون والشيوعيون كانا الحزبين الرئيسيين) بأرائهم الأخلاقية .

أما خلفية المخبرين فهي من عدة نواح تعتبر نموذج لأغلبية الطلاب في جامعة الخرطوم في منتصف الستينات . وقد كشف مسح للمعلومات بالنسبة لكل طلاب الجامعة الذين أدرجوا في قائمة المتقدمين لامتحانات مارس ١٩٦٦م أن ٧٥٪ من الطلاب جاءوا أصلاً من المديريات الوسطى النيلية الثلاثة كما تبين أن ٧٨٪ من طلاب السنة الأولى تتراوح - أعمارهم بين

عشرين عاماً أو أقل وأن الأغلبية الساحقة من الطلاب قد تمّ اختيارهم من المدارس الحكومية (٨)* وقد أوضح المسح الطلابي في عام ١٩٦٢/٦٣ أن ٢٦٪ من آباء الطلاب هم من المزارعين كما هو الحال بالنسبة لاثنين من آباء المخبرين (أما والد المخبر الثالث فهو موظف بالسكك الحديدية) و١٨٪ منهم من التجار وأصحاب البقالات وأما نسبة بقية المجموعات الحرفية الأخرى فهي ضئيلة . (٩)* وقد أجاب ٨٦٪ من الطلاب في ذلك المسح بأنهم يؤمنون بالله وصرح ٣٢٪ منهم بأنهم يؤدون الصلاة بانتظام وأبان ٦٤٪ بأنهم يصومون شهر رمضان (قارن آراء المخبرين عن الصوم فى ٨٨ و ٨٩ و ١٤١ وما بعدها) . وبالطبع فإنه لا يترتب على ذلك أن هؤلاء المخبرين الذين اخترناهم يمثلون كل الطلاب بأى مفهوم إحصائي . وسوف أعود لمسألة التمثيل قبل نهاية الجزء الثانى من الباب ١٠ .

٢- المقابلات :

لقد قمت في نهاية الفترة الدراسية الأولى للسنة الأكاديمية ٦٣/١٩٦٤م ، أي في نهاية شهر أكتوبر ١٩٦٣م ، بمقابلة كل واحد من المخبرين الثلاثة كل على حده لمدة ساعة ونصف الساعة وذلك حول آرائهم عن أكثر الفضائل أهمية . وقد تلى ذلك سمناراً مشتركاً . واتضح لنا أن جهاز التسجيل ذو أهمية بالغة كعامل مساعد بالنسبة للبحث . وبعد عودتي من عطلة شهر نوفمبر شرعنا في تسجيل سلسلة من اللقاءات في شهر ديسمبر ١٩٦٣م وفبراير ١٩٦٤م وقد تمّ تسجيل ثماني جلسات استغرقت عشرة ساعات ونصف الساعة . وكان ذلك بمشاركة أحد المخبرين أو اثنين منهم أو ثلاثتهم في كل مرة . وقد شارك علي في ست جلسات وعثمان في خمسة جلسات أما إبراهيم فقد شارك في جلستين مشتركتين من المقابلات . وهذا يعنى أن المخبرين الرئيسيين هما علي وعثمان . وقد كان إبراهيم عموماً أقل اهتماماً من المخبرين الآخرين . اذ أنه هو الوحيد من بينهم الذي أعطاني انطباعاً بأنّه إنما يحاول متعمداً أن يعرض السودانيين وأخلاقهم بطريقة خلابة تبهر المحقق الأجنبي .

وقد قمت بكتابة المقابلات من الأشرطة بأسرع فرصة ممكنة بعد كل جلسة حتى أتمكن من تأسيس الجلسات القادمة على النقاط التي تظهر خلال المناقشات وتستحق المتابعة .

كما وأن المقابلات قد سارت بصورة طليقة وحرة نوعاً ما ومررنا على عدد كبير من الموضوعات التي يبدو أنها يمكن أن توضح أخلاق الفضيلة بالنسبة للمخبرين . وبطبيعة الحال

كانت بعض المحاولات أكثر جدوى من البعض الآخر . وقد أعدنا كتابة معظم المقابلات في الجزء الثالث من هذا الكتاب . غير أننا تركنا كثيراً من الإخفاقات والانحرافات غير الملائمة .

إن تحليل الفضائل السودانية التقليدية في الأبواب التالية قد تأسس على المقابلات المنقولة علاوة على ثلاثة مقالات قصيرة كتبها المخبرون وتتعلق بموضوعات المقابلات. وقد قسمت المقابلات إلى فقرات مرقمة بقصد تسهيل الإشارة إليها .

وقد طرحت بعض المسائل (مثلاً في ٥٨ ، ٦٦) نتيجة لنقاط برزت خلال مقابلتين مع طالبتين تنتمي إحداهن للطائفة - الاغريقية والأخرى للطائفة البروتستانتية الصغيرة بالخرطوم . وقد كشفت هاتين المقابلتين عدداً من إساءات الفهم المفيدة والهامة لآراء السودانيين التقليدية - كما وأنها ساعدت في إيضاح فكرة أن مجتمعات الأجناس المختلفة في العاصمة المثلثة (الخرطوم، الخرطوم بحرى ، وأم درمان) هي إلى حد كبير عبارة عن طوائف مغلقة لها تقاليدها وأيديولوجياتها الخاصة التي تحتاج إلى بحث أو فحص منفصل وهناك بعض المسائل القليلة الأخرى طرحت في مقالات قصيرة كتبتها طالبات في مدرسة ثانوية وكانت زوجتي قد أشرفت على وضعها وجمعها وبالإضافة إلى ذلك توجد بعض المواد المكتوبة من جانب المخبرين وبعض طلاب الجامعة الآخرين (قارن الباب ١٠ فصل ٢)

أما الظروف الخارجية التي تمت تحتها المقابلات فهي مما يحتاج إلى بعض التعليقات . ففي الفترة الدراسية الأولى للسنة الأكاديمية ٦٣/١٩٦٤م - أصبح معلوماً أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة قد قرر إجراء بعض التغييرات في لائحة الجامعة لعام ١٩٥٦م وذلك بقصد تحجيم الاستقلال الذي كانت تتمتع به الجامعة إلى الآن .

وقد أدى ذلك إلى قلق واضطراب محسوس في أوساط الاساتذة والطلاب في الجامعة وقد هدد الأساتذة بالاستقالة . وعندما حضر الطلاب من عطلة نوفمبر ، دخل كلهم باستثناء قلة من الطلاب الأجانب في إضراب استمر لمدة شهر تقريباً . ونسبة لذلك فان المقابلات التي تمت في شهر ديسمبر ١٩٦٣م لم يكن من الممكن أن تُضَمَّن في سلسلة السمنارات العادية كما خططنا لها في البداية . وعوضاً عن ذلك فقد تطوع المخبرين بالحضور إلى منزلي لعدة مرات . وقد كان تغيب إبراهيم عن معظم المقابلات تقريباً إنما هو بسبب ارتباطه الفعال بنشاطات اتحاد الطلاب خلال فترة هذه الأزمة . وهذه الأحداث قد شكلت خلفية لبعض

المناقشات (أنظر ١٦ ، ٧٩ ، ٨٠) .

٤/ الهدف والمنهجية :

ان هدف هذا البحث هو أولاً دراسة بعض أوجه نموذج واحد من الأنساق الأخلاقية بصورة مفصلة ، وثانياً إيجاد أساس لدراسة مكثفة للأخلاق السودانية . وتنتمي هذه الدراسة إلى النوع الأول من البحث الأيديولوجي الموضح في الفصل الثاني من الباب الثالث .

وهي على وجه التحديد دراسة مورفولوجية معاصرة . ولهذا فإنني هنا لست مهتماً التي يقرونها إنما يحتاج لدراسة من نوع آخر .

ويمصطلح الباب الثالث فهي تحتاج لدراسة للفعالية العملية لآراء المخبرين الأخلاقية . وهي بذلك تشكل جزءاً من البحث السببي الوظيفي . (causal - functional research) وهذا التمييز بين البحث المورفولوجي الدقيق في الأيديولوجيات ونوع البحث السببي الوظيفي لابد أن يساعد في استبعاد أحد إساءات الفهم الشائعة عن قيمة المناهج النظرية (Ann chair - mthods) في الأخلاق الوصفية . وبالطبع فإن وضع المقابلة ليس ملائماً مثلاً لدراسة الفعالية العملية (Operational efficay) ولكن بالنسبة للتخطيط المورفولوجي للأيديولوجية فهو مناسب جداً كما قلت في الجزء الأول من هذا الكتاب والذي نحيل القارىء إليه فيما يتعلق بالوصف المفصل للمنهجية التي استعملت في هذه الدراسة .

وهناك مصدرين محتملين لإساءة الفهم أو الخلط نفضل أن نتناولهما قبل أن نبدأ في التعليق على نصوص المقابلات :-

أ- من الممكن أن يقال أن المقابلة المصطنعة (artificial interview) تساعد في إعطاء صورة محرفة ممسوخة عن أخلاق المخبرين . وعلي وجه الخصوص يمكن أن يقال أن علاقة الأستاذ بالطالب ستضع المشروع اضطراراً على الأساس الخاطيء منذ البداية . وأن الطلاب سيحاولون عرض آرائهم بما يظنون أنه أفضل صورة من وجهة نظر توقعات أستاذهم . وهذا بالطبع وارد جداً . فقد يحاول الطلاب مثلاً عرض - ترجمة غربية لاعتقاداتهم على أمل أن يظهروا في صورة مناسبة ومحببة وقد أوضحت من قبل الأسباب التي دعتني للاعتقاد بأن المخبرين الأساسيين الاثنين - على وعثمان لم يحاول أياً منهما أن يفعل ذلك متعمداً . (أنظر

الفصل ٢) وقد أعطياني انطباعاً خلال كل المقابلات بأنهما مهتمان وبصورة جادة في تقديم أبلغ صورة صحيحة عن أرائهم . والسؤال عما اذا كان أى تشويه من هذا النوع قد حدث أو لم يحدث إنما هو ، على كل حال ، سؤال عن ثبات آراء المخبرين الأخلاقية (راجع الباب ٣ الفصل ١) ودراسة درجة ثبات الآراء الأخلاقية هي أحد واجبات الأخلاق الوصفية ولكنها تقع خارج إطار الدراسة المعاصرة الدقيقة . ولما كان الحديث مع المخبرين قد استغرق أكثر من ثلاثة أشهر فإن نصوص المقابلات يمكن أن تعطيني بعض الدلائل لدرجة الثبات في أنساق المخبرين ، ودراسة ثبات أخلاق المخبرين خلال فترة طويلة إنما تحتاج لمتابعة هذا البحث الحالي لمرحلة متأخرة .

ب- كما وأن اختيار اللغة الانجليزية كلغة للمقابلات قد يحتاج أيضاً إلى بعض التعليقات . وهناك ادعاء في بعض الأحيان يقول بأن المحلل ينبغي له أن يكون طليقاً ماهراً في اللغة التي يتحدث بها المخبرين حتى يستطيع أن يجرى تحليلاته اللازمة من هذا النوع .

ومن البديهى أن تكون هناك فوائد عملية عظيمة في معرفة اللغة التي تنتمى إليها الكلمة أو النص الذي يهتم به الباحث : إذ أن المقابلات يمكن إجراؤها في سهولة من غير حواجز لغوية بالنسبة للشخص القائم بالمقابلة والشخص موضوع المقابلة ثم أن المعرفة العامة المتصلة بإجادة اللغة سوف تطرح جميع أنواع الإشارات والإرشادات بالنسبة للمحلل ولكن ليس من الضرورى بأى حال إجراء التحليل سواء كان لفكرة أخلاقية أو غير أخلاقية بالاستعانة بنفس اللغة التي يستعملها المخبر عادة للتعبير عن الفكرة ، فالأفكار عادة يعبر عنها بلغة ما ولكن ليس هناك صلة ضرورية بين أي فكرة من الأفكار وأي لغة من اللغات . والأفكار التي تشكل هذا البحث تمثل خصائص ذاتية (Personal qualities) نظراً لقيمتها المعتبرة ولكى يتمكن الباحث من القيام بتحليل مثل هذه الأفكار فإنه يتوجب عليه أن يحصل على إجابات لأسئلة معينة مثل : لمن ينسب هذا المخبر هذه الخاصية أو الصفة ولماذا ؟ وإلى من يرفض هذا المخبر أن ينسبها ولماذا ؟ وهل هناك شيء يمكن للشخص أن يقوم بفعله ليكتسب هذه الصفة، وإن كان ذلك ممكناً فما هو ذلك الشيء ؟ وهل يمكن للشخص أن يكتسب مزيداً منها؟ وهل يمكن أن يفقدها وماذا يجب عليه أن يفعل في هذه الحالة ؟ وهلمجرا . وإذا كانت هذه هي الأسئلة التي ترفع في حال أن الباحث يريد أن يتعرف على معنى " الكرامة " (dignity) على سبيل المثال - فمن البديهى اذن أن لايهم كثيراً بأى لغة من اللغات تجرى المساءلة ، مادامت اللغة

مفهومة بصورة كافية وجيدة لكل من الشخص القائم بالمقابلة والشخص موضوع المقابلة . إن أحد الأسباب التي من وراء التركيز على الطلاقة في اللغة المحلية كما يبدو لنا - هو اعتماد زائد على استبصار المعانى (السيمانطيقا الحدسية) (intuition in semantics) ويفترض في بعض الأحيان أنه اذا كان الشخص يعرف لغة ما بصورة كافية فإنه بطريقة ما يستطيع أن " يدرك " المعنى الذي يتعلق بكلمة معينة ولكن هذا فهم خاطيء . وبالطبع فإن أحد فوائد الطريقة المتبعة في هذا الكتاب هي أن اجراءات المعاني الخاصة بالمحلل قد وضعت تحت مراقبة أفضل مما هي عليه في المعتاد . ولما كان المحلل له معرفة ضئيلة باللغة المعنية فهذا سيضطره ليتساءل بوضوح عن معلومات كان من الممكن - لولا ذلك - أن يسلم بها بصورة خاطئة تقريباً .

وهكذا فقد تمّ اجراء استكشاف مفاهيم المخبرين الأخلاقية باللغة الإنجليزية، وبما أن المخبرين قد استعملوا كلمات عربية للتعبير عن أفكارهم أو مفاهيمهم الأخلاقية فالكلمات العربية أو ترجماتها القياسية التي تبنيناها لأغراض هذه الدراسة (١٠)* قد استخدمت في كل الكتاب كاصطلاحات فنية ونأمل أن يضعف بهذه الطريقة احتمال أثر تشويه اللغة الأجنبية الوسيطة . أما مسألة إلى أي حد تحقق هذا الأمل فهذا مما لا يتقرر إلاّ بمزيد البحث .

٥/ دراسة أخلاق الفضيلة لدى المخبرين :-

لقد عرَّفنا أخلاق الفضيلة بالنسبة للفرد بأنها تلك الجزئية من أيديولوجيته التي تحتوى على تصوراته لما يجب أن يكون عليه الشخص ليصير رجلاً فاضلاً (good man) أو امرأة فاضلة أو أباً فاضلاً وهلمجرا (الباب ٢، فصل ١) . وبناء على ذلك فإن أخلاق الفضيلة بالنسبة للفرد هي المجموع الكلي لتصوراته لما يجب أن يكون عليه الشخص ليصير رجلاً فاضلاً في الأدوار المختلفة التي يلعبها في الحياة . " فالفضيلة " هي ميزة أو صفة أو خاصية تساهم في الفضل في مثل هذا الدور . والمعنى العام للفضيلة في اللغة الإنجليزية المعاصرة هو الصفة الفاضلة الحسنة، "الميزة الفاضلة" الحسنة (راجع الباب ٥ ، فصل ١) والكلمة المقابلة لها في اللغة العربية وهي فضيلة - كما يبدوا - فقط بالمفهوم الضيق لـ :-

أ- حسن الخلق (moral goodness) أو السمو الأخلاقي عموماً .

ب- صفة تساهم في حسن الخلق أو السمو الأخلاقي . فالبحث الكامل لأخلاق فضيلة

الفرد يجب إذن أن يحتوي على مسح شامل لكل آرائه عن الفضل (goodness) والسمو في كل الأدوار الاجتماعية التي تميزها صراحة أو ضمنياً . إن كثيراً من الفضائل (والرذائل) مقيدة مثلاً بالجنس والعمر أو مرتبطة بالمكانة لذلك فإن الدراسة الكاملة لها تتطلب بحثاً على نطاق واسع في البنيات الاجتماعية التي يدعي الشخص الانتماء إليها (١١)* إن البنيات الاجتماعية التى يدعى المرء الانتماء إليها أحرى من تلك التي ينتمى إليها بالفعل ، هي التى تتلائم بصورة مباشرة مع دراسة أيديولوجيته، (راجع الباب الثالث أعلاه). أما الدراسة الحالية فإن هدفها أكثر تحديداً من ذلك أي أنها تهدف لدراسة الجزء البارز والمركزى من أخلاق الفضيلة لدى المخبرين ، والذي يتعلق عموماً بما يجب أن يكون عليه الشخص لكي - يصير رجلاً فاضلاً .

وقد كان هنالك سببان لانتقاء هذه الجزيئة من أخلاق المخبرين لتكون موضوعاً للدراسة الاستكشافية للأخلاق السودانية :

أ/ لقد وجدت خلال النقاش في قاعة الدرس أنه يبدو أن هنالك بعض التصورات الثابتة للسوداني الفاضل (good sudanese) التي أدهشتني بوصفها شيء مهم ويستحق البحث الدقيق .

ب/ الفوائد الاستكشافية لمنهج مركزية العامل في الأخلاق عبر التصورات العامة للرجل الفاضل (أنظر الباب ٤ ، فصل ٥) . إن نموذج السوداني الفاضل (أنظر الباب ٤ ، فصل ٥) كما يتصوره المخبرون يشكل العمود الفقري للمداولات التي أجريناها . وقد برزت حول هذا الموضوع الرئيسي عدة مسائل مرتبطة ببعضها تقريباً وألقت ضوءاً بطريقة أو أخرى على أخلاق المخبرين . أما المقابلات فهي نوعاً ما غير مرتبة وذات طبيعة غير رسمية أي بلا تكلف . والسبب في ذلك إنما هو رغبتنا في عبور هذه الأرض البوار غير المطروقة آملين أن لا نضيع المعالم الطبغرافية الهامة .

إن المكونات الرئيسية لأخلاق الفضيلة السودانية التقليدية كما يراها المخبرون هي أفكار الشجاعة (courage) الكرم (generosity) الضيافة (hospitality) وجملة أفكار عظيمة التداخل عن الشرف (honour) والكرامة (dignity) واحترام النفس (self - respect) لقد قال معظمهم : أن السوداني الفاضل هو الرجل الكريم ، الشجاع الشريف الذي يحترم نفسه

وهلمجرا (٨٤، علي) . (أرقام الفقرات تشير إلى الفصول التي قسمنابها الجزء الثالث)فالسوداني الفاضل طبقاً للآراء التقليدية كما طرحها لي المخبرون بالإضافة إلي آرائهم الخاصة هو إذن ذلك الرجل الذي يمثل هذه الفضائل بدرجة عالية .

ولكن هنالك اختلافات في التفصيل والتركيز بين المخبرين الثلاثة . فقد تناول على في مقال عن الفضائل العربية التقليدية الكرم والشجاعة والكرامة ومجموعة الشرف واحترام النفس وادعى أن " الشرف سواء أكان شخصياً أو قبلياً إنما يأتي فوق كل الفضائل " وقد أسس أخلاق الفضيلة بالنسبة لشخصه على نفس هذا النموذج مع كثير من التعديلات في التفاصيل ولكنه أيضاً يعطي الأمانة مكانة هامة في نسقه الخاص (٨٤) . وكان يميل للاعتقاد بأن الفضائل الأخرى مثل التعاون والصبر وقوة الشخصية يمكن أن تضمن في الفضائل الأساسية (٩٩ - ١٠٠ - ١٠٢) .

أما عثمان فقد اعتبر أن الشجاعة والشرف هما أعظم الفضائل التقليدية أهمية وأما الكرم والكرامة واحترام النفس والتفضل (courtesy) والمجاملة (amiability) وهلمجرا فهي في نظره فضائل جانبية (ancillary virtues) (١٤٦) .

وقد تناول إبراهيم في مقاله عن الفضائل السودانية ما أسماه الكرامة (ويبدو أنه بالأحرى يعني بها الشرف وليس الكرامة) (١٢)* واحترام النفس والشجاعة والكرم والضيافة والتعاون وأدعي أن احترام النفس يكاد أن يأتي في رأس القائمة ... لأنه يكتسب بعد استيفاء الفضائل الأخرى مثل الشجاعة والكرم ... إلخ) " ومضى يقول بأنه بالنسبة للشخص السوداني يجب أن تكون السيادة لحفظ الكرامة " " وأن كرامة الشخص واحترام نفسه بصفة رئيسية تعتمد على السلوك الجنسي الراشد لحرية الأعضاء الإناث في أسرته . وقد أضاف في نقاشه للأمانة قائلاً : أن تكون أميناً صريحاً ومحل ثقة فهذه فضائل في أهميتها مثل أهمية الفضائل الأخرى (٨٤) . وبصرف النظر عن الاختلافات في التفصيل والتركيز والاضافات المحتملة لقائمة الفضائل يتضح لنا أن أفكار الشجاعة والكرم والضيافة ومجموعة الكرامة - الشرف احترام النفس هي أهم صفات مهمة للنموذج الأخلاقي للرجل الفاضل كما يتصوره المخبرين الثلاثة . وسوف نخصص الباب التالي للدراسة التفصيلية لآراء المخبرين حول هذه الفضائل.

الباب السابع

الشجاعة ، الكرم والضيافة

١- الشجاعة هي ضبط النفس :

عندما يريد الباحث أن يدرس آراء بعض الأفراد عن فضيلة معينة كالشجاعة مثلاً فإنه يمكنه أن يفعل ذلك بطريقتين :- ففي المقام الأول يمكنه أن يدرس إلى أي حد يقبل هؤلاء الأفراد تصوراً معطي للفضيلة مثل تصورات الباحث نفسه . وفي المقام الثاني يمكنه أن يفحص مجموعة الأخلاق في أيديولوجيات هؤلاء الأفراد أنفسهم والتي يشار إليها عادة بكلمة شجاعة (الباب ٥ ، فصل ٢) . أما الدراسة الحالية فهي من النوع الثاني إذ أنها تتبنى وجهة نظر المخبرين .

وأول خطوة في بحث من وجهة نظر المخبرين هي التحقق من المجموعة المراد فحصها أو دراستها والخطوة الثانية هي دراسة المجموعة نفسها بالتفصيل والتحقق من المجموعات التي يمكن الإشارة إليها – من غير تضليل كثير – بتصورات " الشجاعة " التي لا تمثل معضلات خاصة فيما يتعلق بالحالة التي بين أيدينا . إذ أنه توجد كلمة عربية تطابق جيداً الكلمة الإنجليزية (Courage) ومشابهاتها (١)* وهي كلمة "شجاعة" كما يتصورها المخبرون الثلاثة . وسوف أستعمل كلمة (Courage) كترجمة قياسية (الباب ٥ ، فصل ٢) لكلمة الشجاعة .

ويمكن أن يكون المخبرون الثلاثة قد استعملوا الكلمات الإنجليزية (dignity , hospitability, geneorsity, courage) ... إلخ كترجمات للكلمات التي كان يمكنهم أن يستعملوها لو أن المقابلة قد أجريت باللغة العربية . ويعنى هذا إذن عدم أهمية إجراء المقابلات باللغة الإنجليزية – والتي تمت بالفعل – بالنسبة لمشروعية تحليل تصورات المخبرين (حول مشكلة اللغة راجع الباب ٦ ، فصل ٤) .

وقد كنت مهتماً ، أثناء مناقشة الشجاعة كما هو الحال بالنسبة للفضائل الأخرى ، بمعرفة حقيقة الآراء الشعبية من جانب المخبرين وآراء المخبرين أنفسهم .

ويوجد في فكرة الشجاعة – وفقاً لآراء المخبرين – تركيز على الجَلَدْ (الثبات أو العزم) (fortitude) والتحمل (endurance) فالإنسان الشجاع هو الذي :-

أ- يتحمل الأذى أو الألم من غير تراجع أو إحجام .

ب- وينهض ضد كل أنواع الأخطار من غير أن يكتنفه أو يغمره الخوف .

ج- ولا يفقد ضبط نفسه وتوازنه عندما تجابهه الفجائع والنكبات . وقد أعطى المخبرون أمثلة عديدة لكل نوع من أنواع هذه المواقف كما يلي :-

أ/ إن الرجل الشجاع يجب عليه أن يكون قادراً على تحمل الألم من غير أن يبدى أي علامات انفعالية.

أذكر أن قصة تعذيب قد حدثت أثناء المهدية لرجل من قبيلة عرب الشنابلة السودانية . أخبرتني جدتي أنه قد حكم على ذلك الرجل بالجلد ألف جلدة . وقبل أن ينفذ الحكم عذب الرجل - فقد سحبت الإبر أو ثبتت في أصابع رجليه - فمشي الرجل على رجليه مستقيماً من غير تمايلٍ أو أثر أو حركة فاطلقوا عليه شجاع (مقال عثمان) .

والمواقف المماثلة التي يمكن أن يظهر فيها هذا النوع من الشجاعة هي عند ختان الصبي أو الفتاة (١) وعند ولادة المرأة لطفل (نفس المصدر السابق) (٢)* وعندما يلزم قطع الرجل أو اليد بالطريقة التقليدية .

وقد أعطى عثمان وصفاً حياً لهذا الموقف :-

فالمريض يمد رجله أو ذراعه للطبيب البلدي الذي يقوم ببترها بالسيف ثم يضعها مباشرة في الزيت المغلى ويتحمل المريض هذا الامتحان أو الابتلاء من غير تلجلج أو غمضة عين . وحتى إذا عضَّ المريض شفتيه أو تفوه بأخ أو آه فهذا الفعل يعتبر عاراً بالنسبة لكل الأسرة لأن هذا دليل على الخوف أو الجبن .

ثم إنه تكون أو كانت (لأن هذه العادات في حالة اندثار الآن) ، هنالك اختبارات معينة يستطيع الشاب أو الرجل أن يثبت بها شجاعته وذلك بإظهار مقدرته على تحمل الألم أو الأذى، أى تمارين الشطارة والبُطان وجرح الذراع . والشطارة (٣)* كما أشرنا إليها في (٣ - ٤) ، و ٧٥ هي رياضة (أو لعبة) إحراق الشخص ذراعه مثلاً بفصوص ساق نبات الذرة أو بالسجائر . وعند احتراق الجلد واللحم " يجب أن تكون صامتاً ولا تبدى أى نوع من الحركة حتى لا تظهر أنك غير شجاع (جبان) " (إبراهيم٢) ولدى إبراهيم عشرة نقاط محترقة في

كل واحدة من ذراعيه . وقد مارس أصدقاء على في مدينة عطبرة لعبة الشطارة واعتبروه جباناً لأنه لم يشارك معهم في هذه اللعبة . وقد شعر أن الشطارة كانت تعتبر دليلاً على الرجولة أكثر منها على الشجاعة . فالأطفال الصغار " فقط يقولون أن الصبيان الكبار لديهم هذه العلامات أو الجروح ويجب أن يكون لدينا مثلها . فهي تظهر أنك رجل أيضاً (٧٥) . وأما البطان أي الجلد فهو لعبة أخرى من ألعاب الأطفال يقصد بها اختبار القدرة على تحمل الألم والأذى . فالبطان كما يعرفه عثمان كان يمارس بأن يجلد كل واحد الآخر بالسوط الذى يتخذ من جذور الأشجار (٧٥) . أما الصبيان الذين لا يمارسون هذه اللعبة فانهم يعتبرون جبناء .

(٤)* وتتيح مهرجانات الزواج مناسبات لإظهار الشجاعة عن طريق الجلد (١ - ٢ ، ٧٤)

(٥)* أو بجرح الشخص ذراعه بالسكين (١ - ٢ ، ٧٤ ، ٨١) .

ب- أن الرجل الشجاع يجب أن يتغلب على خوفه مهما كانت الأخطار التي تجابهه :-

فإذا حدث أن جابهت مائة رجل بكامل سلاحهم وعدتهم يجب عليك ألاّ تخاف أو تظهر الضعف أو تميل للتراضي . وإذا كنت منفرداً في الخلاء وهاجمك أسد أو نمر أو دب يجب عليك أن تواجه الحيوان ولا تهرب لتستتر منه أو تحاول أن تنزوى بنفسك بالتخفى منه أو بتسلق الأشجار اللهم إلاّ أن تقصد أن تختط خطة تريد بها هزيمة الحيوان (عثمان).

وعندما قاتل أربعة من رعاة الأبقار وهم من قبيلة البطاحين بنجاح ضد ثلاثمائة من قبيلة أخرى فهذا يوضح الشجاعة الحقيقية (٧٦. عثمان) ولكن عندما جاء البوليس وسلم هؤلاء الأربعة رجال أنفسهم مباشرة له فليس في هذا الفعل علامة على الخوف (نفس المصدر السابق) . وعندما يهرب الطلاب من المتظاهرين ضد الحكومة بسبب الخوف من أن يؤذيهم البوليس بعصيه وسياطه فهذا إنما هو علامة على الخوف (٧٧ ، عثمان) . وقد أعطى علي وإبراهيم أمثلة مشابهة لذلك عن الشجاعة في مواجهة الحيوانات المفترسة أو الأعداء (١٢ و ٤٨) . فإذا هرب أحد الأفراد المتعاركين في مشاكسة من الآخر " فإن أسرة هذا الجبان الهارب سوف تعيش في العار إلى الأبد ، كما يقول إبراهيم .

يقول أرسطو طاليس : أن " أفضل برهان للشجاعة " هو أن تظل هادئاً وغير منزعج في حالة الأخطار المفاجئة . فهذا في رأيه أفضل دليل على الشجاعة " من أن تتصرف باتزان عندما يكون الخطر متوقعاً، إذ أن أفضل اختبار لرد الفعل المعتاد لدى الإنسان هو عندما

يداهمه الخطر دون سابق إنذار " (٦)* . ويستعمل نفس هذا الاختبار في السودان – طبقاً لقول إبراهيم. أما عثمان فقد كتب قائلاً : بأن " الإنسان الشجاع لا يفكر أبداً في عواقب أفعاله ولا يضع حسابات للخسارة أو الربح الذي ينجم عنها . وهذا يتفق تماماً مع معارضة أرسطو لنسبة الشجاعة إلى أولئك " المتحمسين (sanguine) الذين يتخيرون الأوقات المناسبة لإظهار الشجاعة (٧)* .

والحالة الأنموذجية لإظهار الشجاعة هي عندما يواجه الشخص خطراً مادياً في شكل حيوان متوحش أو عدو (٧٩ ، راجع عثمان) : " لا توجد شجاعة هنا بالطبع ، فإنك لا تواجه أحداً وجهاً لوجه " وامتداداً لذلك ، فالرجل الذي يقاوم الإغراء – (temptation) يمكن القول بأنه شجاع – كما ذكر على أن أحد رجال الدين قد قال بذلك . وأخبرنا على بأنه لم يفهم هذا الاستعمال للكلمة غير أن إبراهيم رأى أنه إذا كان الإغراء يعتبر نوعاً من أنواع الخطر فإن قهره حينئذ يعتبر حالة من حالات مواجهة الخطر والشجاعة (١٠) ويبدو أنه لا توجد سوى مساحة ضئيلة للشجاعة الأخلاقية في الآراء التقليدية التي تتطرق للشجاعة . وسوف أعود لهذا الموضوع في الفصل الثالث أدناه .

والسؤال الذي يبرز هنا هو هل من الضروري حقيقة أن نمر بتجربة الخوف أو على الأقل أن نستيقن بأن الموقف من نوع خطر لكي نكون شجعاناً بالمفهوم الكامل لهذه الكلمة ؟ لقد تطرق إبراهيم لهذا السؤال في الفقرة "حيث قال أن بعض أو حتي معظم الناس يقولون أن الرجل الشجاع لا يخاف شيئاً مثل الطفل لأن الطفل لا يخاف شيئاً ، فإذا قدمت إليه ثعباناً أو أي شيء خطر فإنه سوف يمسكه . (نفس المصدر السابق) . والشرط الضروري لنسبة الشجاعة ليس واضحاً – في حالة الطفل – هل هو إدراك حقيقة الموقف أم تجريب الخوف بالفعل . أما المخبرين الآخرين فإنهما كما يبدو لم يتناولا هذا السؤال مطلقاً . وهذا يوضح لنا أنه مهما كان الدور الذي يلعبه الخوف ومقاييس معرفة الشجاعة في أخلاقهم فهي على أقل تقدير ليست وجوهاً بارزة أو هامة في تصوراتهما للشجاعة . وعندما تحدث عثمان (في ٧٨) عن الأسرة التي لا تخاف من أي شيء " فهو كما يبدو لم يشر إلى غياب الخوف ولكن أشار إلى غياب حرية الاختيار والتصرف (discretion) في ضبط النفس .

ج/ وأما النوع الثالث من المناسبات التي تلائم لإظهار الشجاعة هو عندما تصيب الإنسان النكبات والمصائب. فالرجل الشجاع لا ينهار إذا مات أحد أحبابه . وهو يواجه الملمات

ويتحملها ولا يتهرب منها (٥ - ٧) والشخص الذي ينتحر إنما يتهرب من مشاكله ، وهو إذن أعظم الناس جبناً (٥) ويبدو أن الرأي الأرستطاليسى (الأخلاق النيكوماخية ، الكتاب ٣ ، الباب ٧) سائد في السودان . فقد عبر كثير من الطلاب عن نفس الرأي في مقالات عن الانتحار .

وقد ناقشت زوجتى هذه المسألة مع طالباتها السودانيات في مدرسة ثانوية عليا فذهبن إلى نفس الرأى . واتضح أنه ليس لهن تعاطف مثلاً مع أولئك الفتيات اليافعات اللاتى يتزوجن من غير رضائهن من رجال كهول ، أو أكبر منهن كثيراً في السن ثم ينتحرن بصب غاز الكيروسين على أنفسهن ليحترقن حتى الموت .

وعلى الرغم من أنه مألوف للرجل أن يبكى أو يصرخ عندما يقع الموت لأسرته إلا أنه من الأمثل أن يضبط الشخص عواطفه أيضاً في مثل هذه المواقف - وفقاً لما ذكر على " ويعتقد الغالبية في هذه الأيام أن عقيلة كندى شجاعة لأنها لا تصرخ " (٨) . ولكنه عاد واعترف أن البعض قد يختلفون في هذا الموضوع . والبكاء - طبقاً لما ذكر إبراهيم عند موت أحد ، لا يعتبر علامة على الجبن (أو الخوف) (نفس المصدر السابق) .

٢- معيار معقولية الشجاعة :-

إن الصفة الرئيسية للتصور التقليدي للشجاعة كما عرضه المخبرون تتمثل في فكرة ضبط النفس (self - control) في المواقف التي تشتمل عادة على الخطر والخوف أو الألم وإجهاد العواطف، ومقياس ضبط النفس هو أهم مقياس للشجاعة في الآراء التقليدية . ونجد بجانب هذا المقياس ، في حديث المخبرين على الأقل ثلاثة شروط أخرى للشجاعة ليست كبيرة الأهمية وهي :-

أ/ الشرط القائل بأنه لا بد من تجريد الخوف بالفعل لكي يقال عن الإنسان أنه شجاع .

ب/ وشرط وجوب أن يكون الرجل الشجاع مدركاً لطبيعة الموقف .

ج/ وفكرة أن الشجاعة لا تشمل فقط ضبط النفس ولكنها تشمل الاعتماد على النفس (self - reliance) . أما مقياس الاعتماد على النفس فقد أشار إليه عثمان وحده فقط في أحد المقالات فقد كتب عثمان عن الآراء التقليدية وبصفة رئيسية عند قبيلة البطاحين فذكر بأن الرجل الشجاع " لا يطلب المساعدة ولا ينتظر الإعانة من أي أحد حتى تلك التي من الله .

فالاستعانة عند مواجهة الخطر أو المصاعب إنما هي جبن سافر . وكان من المفيد لو أننا عرفنا ، اذا كانت هذه الفكرة واسعة الانتشار وما إذا كان المخبرين قد وافقوا عليها أم لا .

وبجانب مقاييس الشجاعة هذه التي لم يركز عليها المخبرون كثيراً يوجد مقياس آخر يلعب دوراً مهماً في التصور الشعبي للشجاعة طبقاً لما ذكره المخبرون ، بل ودوراً أكثر أهمية في أخلاق المخبرين أنفسهم أي :

د/ وهو اشتراط وجوب أن تكون ممارسة ضبط النفس ممتزجة بالحكمة و البصيرة، فلابد أن تكون معقولة (reasonable) .

وبالرغم من أن عثمان قد ذكر أن الرجل الشجاع لا يفكر أبداً في عواقب أو نتائج أفعاله إلاّ أن الأفكار التقليدية لا تدعو للاستعراض أو الإظهار الطائش لضبط النفس وبأى تكاليف . فالأسرة التي تمارس ضبط النفس للدرجة التي تجعلها لا تهرب إذا بدأت الأمطار في النزول أو إذا رأت أن دارها تحترق – على سبيل المثال – إنما يعتبر أفرادها عموماً من المغالين (٧٨) فقد يقول أفراد قبيلة الجعليين على أقل تقدير بأن الملك نمر حقيقة قد هرب إلى الحبشة مفضلاً ذلك على مواجهته أغلبية ساحقة من الأعداء .

وهذا ليس علامة على الخوف أو الجبن (ولكن الآخرين قد يلومونه على جبنه أو خوفه من باب الاساءة للجعلي) (١٤٨) . والاختبار التقليدي للشجاعة مثل الجلد (البطان) وجرح الذراع تمر حالياً بمرحلة اندثار سريع – وفقاً لما ذكره إبراهيم – وذلك لأن " الناس قد وجدوا مقاييس أخرى للشجاعة تعتبر أكثر معقولية منها " .

وفي نفس الوقت الذي يتمسك فيه المخبرون الثلاثة بفكرة الشجاعة على أنها الضبط المعقول للنفس، نجد أن ثلاثتهم قد رأوا أن كثيراً من مظاهر الشجاعة تتناقض مع شرط المعقولية (reasonableness) ولهذا فقد كان ثلاثتهم معارضين للاختبار التقليدي للثبات والعزم (٢ – ٢٤ و ٧٣ – ٧٥ ، و ٨١). أما إبراهيم فهو الوحيد من بينهم الذي كان قد مارس الشطارة بين الصبيان وحالياً يمنعهم من القيام بها إذا حدث أن رآهم (٤) . فالبطان والشطارة وجرح الذراع وهلمجرا قد اعتبرت حالياً علامة للتهور والطيش . أكثر منها علامة للشجاعة (٢) ولكن – وفقاً لقول عثمان فانه بالنسبة للإنسان العادى (الاعرابي) ليس هناك تمييزاً واضحاً بين الشجاعة والتهور .

وقد أشار كل من علي وعثمان في انتقادهم للأخلاق الشعبية إلى آراء الإسلام " يجب أن يكون هنالك سببٌ وجيهٌ حتى يتسنى للمسلم أن يعرض نفسه للخطر أو المجازفة " – طبقاً لما كتب عثمان (فالقرآن يوصي بالفضائل التقليدية وبأقسامها الدنيا ولكنه لا يوافق على الطريقة التي تُظهَر بها . فالقدر الضئيل جداً أو العظيم جداً من الكرم والشجاعة والشرف ليس محموداً) (علي) . ومن المفيد والمهم أن نلاحظ أن علي وعثمان قد قاما بمقارنة الأخلاق الشعبية (popular morality) مع تعاليم الإسلام في مقالاتهما ووجها نفس النوع من النقد ضد الأخلاق التقليدية في بيتهما مثل ما فعل محمد (صلى الله عليه سلم – المترجم) ضد القبائل الجاهلية في زمانه .

إن ممارسة الشجاعة وغيرها من الفضائل الأخرى لها علاقة وثيقة مع توقعات الاحترام والسمعة (reputation) والعار (shame) والفضيحة (disgrace) كما سنرى فيما بعد (الباب ٩) . وقد استعمل أحد المخبرين هذه العلاقة بين الشجاعة من جهة والاحترام والعار من الجهة الأخرى كأساس لنقده للتصور الشعبي للشجاعة وقد اشترط – اتباعاً لرأى أرسطو طاليس – (٨)* وجوب أن يكون دافع العامل (motives of the agent) حسناً أو فاضلاً أو نبيلاً لكي يكون الفعل مظهراً لائقاً للشجاعة (١٠، ١٢) واعتبر أن حب الظهور وخوف العار ومطلق الاحترام للمسئولين هي كلها دوافع سيئة . ويمكن اعتبار الطريقة التي تمَ بها رسم نقد الأخلاق الشعبية على أنها تعبر عن اختلاف حول موضوع المعقولية . إذ أن دوافع معينة قد اعتبرت غير معقولة . ولكن من المحتمل أن يكون المخبر قد أقام أيضاً تمييزاً بين الدوافع الحسنة ومسألة المعقولية .

إن معيار المعقولية يترك مساحة كبيرة لحرية التصرف في تطبيق تصور الشجاعة. وسوف يعتمد الفعل المعطي سواء أكان شجاعة أو تهوراً على تقييم الفوائد والمضار المقدرة . ويوجد أفضل تمثيل لهذه النقطة في وجهات النظر المختلفة حول معقولية الاستقالة (في ٨٠) . فالطلاب كانوا يرون أن المحاضرين الذين لم ينفذوا تهديدهم بالاستقالة إنما هم جبناء . أما المحاضرون أنفسهم فقد كان تقديرهم للموقف مختلفاً واعتبروا أن الطلاب متهورون ويوجد مثال مشابه في ٧٧. هل يعتبر هروب الطلاب عندما يهددهم البوليس علامة على الجبن ؟ قال بعض الطلاب إنه ليس كذلك لأنه بالهروب يمكنك أن تتجمع في نقطة أخرى وبذلك تمدد فترة المظاهرة . أما البعض الآخر فيرون أن الهرب يعتبر جبناً لأنه علامة على الخوف . وهذه

الأمثلة توضح مخاطر نسبة تصورات الشخص الذاتية للآخرين : وإذا أنكر العاملين بأنهم جبناء كما يفعلون بالطبع عادة فسوف يميل المراقبون لاتخاذ الاتجاه الأخلاقي المشار إليه سابقاً (الباب الثالث) فيعتبرون غير صادقين أو قد حركتهم دوافع لا تستحق . أما العاملون أنفسهم فيمكنهم أن يحتجوا بكل صلابة وصدق بأن الموقف لم يدع لهم مجالاً لإظهار الشجاعة لأن الاستقالة أو عدم الهرب مثلاً لا يحققان معيار المعقولية. ومن الواضح أن معياراً ذا مرونة مثل معيار المعقولية يترك مساحة للخداع والتدليس المتعمد ولكن في حالة عدم توفر الدلائل الواضحة التي تشير إلى التعمد فمن الأفضل للباحث أن يمسك عن التفسيرات العكسية للموقف .

٣/ الشجاعة الأخلاقية :

إن الرجل الذي يمتثل مبادئه ويدافع عنها بالرغم من عدم استحسان الآخرين من الناس وقبولهم لها هو رجل شجاع – كما أورد أحد المخبرين (علي) . فهو يختلف في رأيه هذا بضوح عن التصور الشعبي للشجاعة (كما يتصورها المخبرون) ، حيث أن دفاع المرء عن مبادئه ربما يكون أمراً مستحسناً كما أوضح إبراهيم ذلك (١٥) ولكنه لا يعتبر دلالة أو علامة على لشجاعة . وبمراجعة الأفكار التقليدية في مقالات المخبرين نجد أن الشجاعة الجسمانية (physical courage) قد وضحت بما فيه الكفاية ولكن الشجاعة الأخلاقية لم تذكر أبداً . إذ لم تكن فكرة الشجاعة الأخلاقية بارزة الأهمية في النقاشات الشفهية التي دارت وعندما سألت لأول مرة عن الشجاعة الأخلاقية (١٠) فإن أول مثال خطر ببال المخبرين هو قصة رجل الدين الذي ذكر أن الشخص الذي يهزم الاغراء أو ينتصر عليه هو شجاع . وقد شاع في المرة الثانية التي رفعت فيها هذا السؤال – أن الطلاب يشعرون بأن معظم ذويهم ليس لديهم استحسان لاضراباتهم السياسية وأن الطالب الشيوعي الذي يساق إلى السجن لعدة مرات عادة ما يعتبر فاشلاً ولا يصلح لأي شيء، غير أن علي وربما إبراهيم أيضاً يسمونه شجاعاً (١٣ – ١٤) وقد سألت عثمان عما إذا كان استمرار الطالب في الاضراب بالرغم من تهديد الحكومة يعتبر علامة أو دلالة على الشجاعة . وكان رده المباشر هو أن هذا الموقف ليس متضمناً في حيز الشجاعة لأنك في هذه الحالة " لا تواجه أحداً وجهاً لوجه " وبعد شيء من التأمل اعترف عثمان بأن الشجاعة يمكن أن تظهر في التفكير وفي عدم الخضوع والاستسلام عندما تعتقد أنك على صواب (٧٩) ولم يكن لدى أحد من المخبرين الثلاثة أي تردد أو شك

معقول حول معارضة حكومة يعتبرونها فاسدة . ومن المهم أن نلاحظ أن التصور التقليدي للشجاعة بالنسبة لأحدهم – على الأقل عثمان قد جعل من غير الطبيعي بالنسبة لهم أن يضعوا هذه الواجبات في صلة مع الشجاعة . ونلاحظ نفس هذا الاتجاه في مسألة الكرم (الفصل ٥ أدناه) .

إن عدم وجود حيز أو مكانة للشجاعة الأخلاقية في التصور التقليدي كما يبدو لا يعني أنه لا يوجد حيز أو مكانة علي الاطلاق للشجاعة في النسق الأخلاقى التقليدي للفضائل . ويبدو أن المكانة الطبيعية للشجاعة الأخلاقية في النسق الأخلاقي إنما توجد تحت عنوان الكرامة (dignity) أحرى منها تحت عنوان الشجاعة . (٩)* وذلك لأن أحد الطرق ، كما سنرى في (الباب ٨، فصل ٤) التي يمكن للمرء أن يحفظ بها كرامته تتمثل في عدم الاستسلام أو الخضوع نتيجة للضغوط من جانب الآخرين من الناس . وإذا صح هذا التفسير للنسق الأخلاقي التقليدي فإن دفاع الشخص عن مبادئه يعتبر واجباً يقترب إلى قسم الكرامة (department of dignity) منه إلى الشجاعة (department of courage) والافتراض بأن الشجاعة الأخلاقية غير متضمنة في التصور التقليدي – للشجاعة يبقى بالطبع في حاجة لمزيد من الاختبار . وهذا الأمر نفسه ينطبق على المدى الذي مهد فيه التركيز والتأكيد التقليدي على الشجاعة الجسمانية الطريق لاعتبارات الشجاعة الأخلاقية .

إن تصريح عثمان (٨) بأن معظم الناس في قريته يقولون أن أساتذة الجامعة جبناء مدهش وغريب وربما يكون المخبر هنا مخطئاً جداً .

٤/ الكرم والضيافة :

لا يوجد في أخلاق المخبرين تمييز دقيق بين الكرم والضيافة وهم إنما يعكسون اتجاهاً عاماً . فقاموس هيلسون – عربية السودان (Sudanese Arabic) يعطي كلمة كرم كترجمة لكل من الكرم والضيافة (١٢٦ ، ١٤٧) . وهو أيضاً يذكر ضيافة – بالإضافة إلى بدائل أخرى . وقد تناول أحد المخبرين (علي) هذه النقطة في مقال وأوضح أنه بالرغم من أن الكرم والضيافة قد يخلط بينهما في بعض الأحيان إلاّ أن المرء يمكنه بل ينبغى له أن يضع تمييزاً بينهما . وسوف استعمل الكلمة العربية – 'كرم' كترجمة قياسية مقابل كلمة (generosity) (١٠)* كما سوف استعمل كلمة ضيافة كترجمة قياسية لكلمة (hospitality) (١١)*. وقد

اعتبر المخبر الوحيد الذي ميز بين الكرم والضيافة أن الضيافة نوع من الكرم:- فالكرم هو الجنس (genus) وأما الضيافة فهي النوع (species).

ويمكن ترتيب المواقف التي يظهر فيها الكرم طبقاً لأقوال المخبرين في ثلاثة مجموعات :-

أولاً : وهذا مهم جداً - هناك نوع الكرم الذي يظهره المضيف نحو ضيفه - الضيافة .

وثانياً: هنالك نوع الكرم الذي يمارس عن طريق صرف المال بسخاء وتقديم العطايا والهدايا للآخرين والذي يمكن أن نطلق عليه الجود أو السخاء (liberality) .

ثالثاً : هنالك نوع الكرم الذي يكون في هيئة أو صورة مساعدة المحتاجين والفقراء والذي يمكن أن نطلق عليه الإحسان والبر (charity) وكما يبدو فإن الضيافة هي أكثر أهمية وبروزاً في التصور التقليدي للكرم من الجود والإحسان .

أ/ أن قوانين الضيافة لها درجات عالية من الصرامة فالالتزامات الناشئة عن علاقة المضيف بالضيف (host - guest - relationship) تقع باهظة فادحة على كلا الطرفين بالنسبة لهذه العلاقة . فمن واجب المضيف أن يستقبل ضيفه بالطريقة المقبولة وأن يقدم له المشرب والمأكل والمأوى ومن واجب الضيف أن يقبل الضيافة التى قدمت له (أنظر الحديث خاصة مع عثمان عن الضيافة) (٥٥ - ٧٢) . فالضيف الذي يصل إلى قرية عثمان الصغيرة يؤخذ به إلى غرفة الاستقبال الخاصة بأحدهم أو منزل الضيافة الخاص المعروف بالخلوة حيث يقدم له الشاى والقهوة ومشروب الليمون أو البيبسي كولا وسوف يدعى ليبقى على الأقل لتناول وجبة واحدة . فإذا ما أبدى الضيف أى علامات لعدم الرغبة في قبول ما دعى له فإن المضيف في هذه الحالة سيقسم عليه بطلاق زوجته أو على الأقل بالامتناع عن العلاقات الجنسية معها إلى الأبد حتى يثنيه عن عدم قبوله للدعوة . ويعتبر استعداد الشخص لاتخاذ هذا القَسَم دلالة أكيدة على الكرم الحقيقى .

والضيف نفسه من جانبه قد يثير أحياناً موقفاً يستوجب اتخاذ مثل هذا القَسَم لكي يختبر كرم مضيفه (٥٥ - ٥٧) . وإذا لم يكن هناك طعاماً كافياً فإن أهل القرية يقومون بتقديم مساهماتهم بجلب ما عندهم (إبراهيم) أو كما في قصة الرجل صاحب الكرم الصحيح في (٦٩) ، فالمضيف سوف يبحث عن حيوان ليذبحه وإذا لم يكن قطيعه قريباً منه فإن خروف أحدهم أو بقرته سوف تجزى (أما صاحبها فسوف يتم تعويضه فيما بعد) .

وتأتي رفاهية الضيف فوق احتياجات الإنسان الشخصية إذ أن الشخص الكريم لا يفكر أبداً في أسرته أو حاجاته الذاتية (٦٢) . والرجل الكريم ، على وجه الاختصار ، يجب أن يكون مستعداً أن " يضحى بكل شيء ، سوى شرفه ، لأجل راحة ضيفه (عثمان) .

إن صرامة الواجبات التي تقع على الجانب المضيف في علاقة الكرم تظهر بدقة في تلك القصة عن الطالب الذي أجبر مضطراً على الزواج من بنت عمه والسبب في ذلك هو أن عمه قد أعطى ابنته هدية لوالد ذلك الطالب " قال عمى إنها هدية ويجب عليك أن تتقبل الهدية " (٣٢) وقبول المال من الضيف الكبير هو بالطبع أمر لا مفر منه . فالموقف الذي يتضمن المال سيكون تلقائياً منفصلاً عن حدود الكرم (قارن ٦٣) إذ يعتبر منح المضيف مالاً أو جائزة مالية إساءة له (٦٠) باستثناء نوع الموقف المشار إليه في (٦٢) . فعندما نزل أحد السواح الأوروبيين على أحد المشائخ في أبي حمد ومكث أسبوعين كان الشيخ في كل يوم يكرمه بذبح خروف فلما سأل السائح الأوروبي عن فاتورة تكلفة إقامته " أحس الشيخ وكأنه قد طعن بخنجر في ظهره " – كما أورد على . وهذا المثال يوضح العلاقة الوثيقة بين الضيافة والشرف .إذ يجب على المضيف أن يُشرّف ضيفه كما يجب على الضيف أن يشرّف مضيفه . والسؤال عن الفاتورة أو دفع المال مقابل الضيافة يؤثر بصورة فادحة فى شرف المضيف وسمعة عدم تشريف أحدهم للضيف بصورة جيدة هي من العار بمكان (١٢)* – وهذا النوع من المعاملة الباذخة للضيف يستلزم بالطبع أن يكون وجود الضيف أمراً نادراً ، وإلا فإن الشروط الصارمة والقاسية عن الضيافة ستقود بسرعة إلى نتائج إقتصادية خطيرة بالنسبة للمضيفين المُستَقلّين، وفي ظل تنامي المدينة وتحسن سبل المواصلات فإن الأفكار التقليدية عن الضيافة اضطراراً سيصيبها التحول (١٣)* ويلاحظ هذا التنامي في المدينة بوضوح في العاصمة المثلثة (الخرطوم ، الخرطوم بحرى وأمدرمان) . ويجتر بعض السودانيين ذكريات الأزمان الماضية بالحنين والحسرة ونلاحظ أن أكثر المخبرين الثلاثة محافظة وهو إبراهيم يعتبر مثالاً لذلك " إن التقاليد السودانية الأصيلة إنما توجد في المناطق الريفية التي لم تتصل بعد بشرور حضارة القرن العشرين " (مقالة) أما المخبران الآخران فقد عرضا الاتجاه المتمدن وهما ناقمان على بعض التصورات التقليدية ومدركان لعدم إمكانية تطبيقها على الظروف الجديدة – (٤٦ ، ١٥٤) .

وقد أدرك كل من على وعثمان التغييرات الهامة في أفكارهما عن الضيافة وتوصلاً إلى أن دلالات الضيافة التقليدية ما هي إلاّ مظهر للإسراف والتبذير (٢٣ - ٢٥) ، (٧٠) . وعلى نفس مستوى نهجهما في نقد التصور الشعبي للشجاعة ، استخدم على وعثمان المعقولية ومقاييس حسن الدافع (good motive - criterion) في نقدهما للضيافة التقليدية . وقد أشارا إلى التعاليم القرآنية لتدعيم آرائهما . فمعاملة التاجر الثرى الذي يأتي للقرية لممارسة التجارة - مثلاً كضيف ومن غير أن يدفع أى شيء لقاء ما يتلقاه من خدمات لهو أمر مبالغ فيه (٧٠) كما وأن إهمال الشخص تماماً لمتطلبات أسرته لأجل الضيف من غير اعتبار لاحتياجاته أو مكانته ليس أمراً معقولاً (عثمان ، مقالة) . إن ممارسة الكرم بالقدر الذي يهمل فيه المرء العواقب الاقتصادية تماماً لأمر خاطيء (على ، مقالة) .

فالالتزامات التقليدية المفروضة على الشخص المضيف تستغل هي بدورها بواسطة الأقارب والأصدقاء من غير أدنى اعتبار لرفاهية المضيف (٤٥) ولابد أن الضيافة قد أصبحت ثقلاً محتماً وأكيداً بالنسبة للأسرة التي تسكن بالقرب من محطة السكة حديد في العاصمة حيث أن منزلهم يكون على الدوام ممتليء بالزوار القادمين إلى الخرطوم لأجل العلاج أو فقط لأجل قضاء إجازة في المدينة السامية الكبيرة (٤٦) . فلا بد للمرء أن يكون صبوراً حتى يكون كريماً (١٠٣) وقد وجد المخبرون سنداً لنقدهم هذا في تعاليم الإسلام . فالرسول (صلى الله عليه وسلم - المترجم) قد أمر المؤمن بالله أن يكرم ضيفه ولكنه أيضاً أمر بممارسة الكرم بحكمة وبصيرة " ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً "* (راجع ٤٥) فقد استعمل على وعثمان مقاييس المعقولية وحسن الدافع في الضيافة (وهى غير منفصلة بوضوح عن بعضها) . فالدافع النبيل هو شرط ضروري للكرم ، وفقاً لقول على . فإذا أظهر أحد الكرم لأنه فقط مهتم بسمعته ، كما هو الحال بالنسبة لشيخ الهدندوة ، الذي صاح قائلاً إنه سيكون عار عليه إذا عرف عنه أنه لم يُشرِّف ضيفه . ففي هذه الحالة لا يوجد كرم حقيقى - طبقاً لما أورده على وأكد عثمان مثل ذلك حين ذكر أن الدافع الحسن مهم جداً بالنسبة للكرم وفقاً لما ورد في الإسلام (١٤٣) ولكن ليس ذلك طبقاً للرأى الشعبي (٧٢ ، ١٤٤) (١٤)* .

ب/ والنوع الثانى لصفة الموقف بالنسبة للكرم والتى أشرنا إليها سابقاً تشمل مواقف يمكن فيها إظهار الجود (السخاء) عن طريق بذل العطايا و الهدايا والصرف البذخى لماله .

---

* هذه آية قرآنية في سورة الإسراء رقم ٢٩، وليست حديثاً نبوياً - المترجم .

فالعطايا والمال هما بالطبع متبادلان في موقف المضيف والضيف (host - guest situation) الذي تناولناه في : أ/ قبل قليل مثلاً عندما يصر شخص على دفع الفاتورة كلها في مقهى أو مطعم (إبراهيم ، مقالة) . ولكننا حالياً نعني بحالات لا يقال أنها ضيافة . وقد أعطى إبراهيم أحد الأمثلة التي توضح الكيفية التي يمكن بها إظهار الجود - إذا وجدت صديقاً أو أحداً من معارفك في مركبة عامة أو في أحد التاكسيهات التي تعمل مثل المركبة العامة في طرق معينة في العاصمة المثلثة ، فإنه يجب عليك أن تصر على دفع أجرة ركوبه (٧٠عثمان مقالة مشابهة). وهذا ينطبق خصوصاً على النساء اللائي يعرفهن (إبراهيم) . أما عثمان فقد أعطى بعض الأمثلة التي توضح كيفية صرف أو بذل المال بطريقة التباهي والظهور لأجل تعظيم سمعة الشخص وشهرته في الكرم والجود و السخاء أو نفي الشره والنهم عن طريق شراء عربة فارهة بقيمة باهظة مهيبة أو بشراء الحاجيات من الخرطوم لا من الأسواق المحلية التي تعتبر أسعارها أقل نسبياً ، أو بشراء الأشياء التي لا يحتاجها أو باغداق المال وصرفه على أولئك الذين لا يحتاجون إليه - (٢٤ أيضاً ١٢٨) .

ويُعْنَى الكرم بهذا المفهوم بتوزيع المال والهدايا والأشياء المادية ولكن لا تعتبر كل الهدايا دلالات على الكرم . فعندما يذبح الخروف في مناسبة عيد الأضحى ويرسل جزء من لحمه إلى الأصدقاء والجيران لا يعتبر كرماً - طبقاً لما ذكر عثمان (٦٦) . والسبب في استبعاده لهذا الموقف من حدود الكرم هو أنه أعتبره مجرد واجب ديني لا يمكن وضعه تحت مفهوم الكرم - (نفس المصدر السابق) . وكما يبدوا لنا فهو مثلُ علي ، قد جعل تمييزاً بين الواجبات الدينية المحضة التي لا علاقة لها بالأخلاق وتلك الواجبات التي أمرت بها التعاليم الدينية وفي نفس الوقت هي ملائمة أخلاقياً (راجع الباب ٩ ، فصل ٤) . وقد استبعد لسبب ما أيضاً من حدود دائرة الكرم جمع المال للعروسين في مناسبة الزواج (٦٤ ، ١٤٥) . أما علي فهو على النقيض من ذلك ، (٩٩) . أما لماذا فعل ذلك فليس واضحاً مما ذكر . وهناك على الأقل أربعة تفسيرات محتملة لذلك هي :-

أ/ أن عثمان قد اعتقد خطأ أن مثل هذه الهدايا لا تحسب عادة علامات للكرم لأنه هو نفسه لا يرى أنها مظاهر للكرم .

ب/ لأن الشخص الذي يعطي المال يقدر أنه هو نفسه في يوم من الأيام سيكون في نفس الموقف وسوف يسترجع هذا المال وهذا يتناقض مع الكرم - وفقاً لأقوال أحد المخبرين

الآخرين (علي بمقاله) .

ج/ لأن الهدية قد تعتبر ثمناً للطعام والشراب الذي يتلقاه الشخص الضائف من ضيفه (٦٣) .

د/ لأن هذه العادة قد استبعدت عرفياً من حدود دائرة الكرم دونما سبب معين . ويجب أن لا يستبعد هذا الاحتمال الأخير بصورة مسبقة . فتصور الفضيلة هو عبارة عن مجموعة أفكار وتصورات عن التصرف والشخصية وليس هنالك حاجة لأكثر من المشابهة العائلية (family resemblances) والصلات العرفية بين عناصر المجموعة . والادعاء بوجود أي سبب جوهري آخر بالنسبة لكل تصورات الفضيلة قد يقود إلي المبالغة في تبرير أخلاق المخبرين .

ج/ الزكاة أو الصدقة :- (charity or almsgiving) وهي أحد الواجبات الرئيسية المفروضة على المسلم . فهي أحد أركان الإيمان الخمسة " (أما الأربعة الأخرى فهي الصلاة – والحج – والصوم وشهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله) .

وقد ورد في القرآن " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم "* (١٥)* ولم يؤكد ايتاء الزكاة أي أحد من المخبرين ، بل أن أحدهم قد نسي أن يذكرها عندما عدد أركان – الإسلام (٩٠) ولم يتبرع أياً منهم بإعطاء مثال، مثلاً لاسداء المال للكداء (الشحاذ) .

ولكن عثمان أوضح بأنه يرى وجوب عدم متابعة المرء لعادة دفع المال لغير المحتاجين من الناس (٢٤) ، كما وأن مساعدة المكروبين يمكن في رأيه أن تكون علامة أو دلالة علي الكرم (٦٧) أما علي فقد صادق علي الفكرة القرآنية التي تقول بأنه يجب على المرء أن يتصدق بماله علي المحتاجين والسائلين وفي الرقاب وفي سبيل الله (مقالة) .

إن أحد أسباب عدم التأكيد علي الصدقة تقريباً هو أنه لا توجد سوى مناسبة ضئيلة لممارسة هذه الفضيلة في النظام التقليدي اللهم إلا في شكل الضيافة . فإسداء الصدقة في إطار القرية الريفية إنما يمارس بصورة طبيعية من خلال أساس علاقة المضيف بالضيف وليس من المدهش ، بالنظر إلى الظروف الخارجية ، أن يكون موقف المضيف والضيف قد أصبح نموذجاً للكرم .

---

* سورة التوبة آية ٦٠ (المترجم) .

وبهذا نختتم مراجعتنا للمواقف التى تنتمي - وفقاً لآراء - المخبرين - إلى حدود دائرة الكرم . ومن المفيد أن نضيف إلى ذلك نظرة مختصرة إلى موضوعات لم تضمن في تصوراتهم للكرم ولكنها قد ضمنت في أنساق أخلاقية أخرى تحت عنوان الكرم - فالموضوعات التي استبعدت من تصورات المخبرين للكرم يمكن تقسيمها إلى مجموعتين :-

أولاً : هناك تلك الموضوعات التي لم تضمن لأنها لا تنتمى إطلاقاً إلى أخلاقهم .

فالضيافة الجنسية على سبيل المثال تتناقض مع أفكار الشرف والعرض (deceny) ، على أقل تقدير ، فيما يتعلق بأعضاء أسرة الشخص. وقد سمعت قصة من طالب إغريقي عن ضيف منحه المضيف إبنته لتسليته في ليلته. وعندما ذكرت ذلك لأحد المخبرين كان شديد الإغتياظ وأكد أن هذا لا يمكن أن يحدث أبدا (٥٨) وعلي كل حال فإن راوى القصة الأصلى الذى أخذها عنه الطالب الأغريقي قد أساء تفسير الموقف ونسى الفرق الكبير بين الصديقة (Concubine) أو الخادمة (Servant) أو العاهرة (Prostitute) من جهة وعضو أسرة المضيف نفسه من جهة أخرى.

ثانياً : هناك أفكار تشكل جزءا من أخلاق المخبرين ولكنها لسبب ما لا تعتبر جزءا من مجموعة الكرم. إن وستمارك (Westermark) في كتابه أصل وتطور الافكار الاخلاقية (The Origin and Development of Moral Ideas) وعلي وجه الخصوص في استعراضه الواسع للآراء التي عن الصدقة والكرم (Chairty and generosity) يرى أن الصدقة حقيقة هى نوع من المساعدة أو المعاونة للمحتاجين.

فواجب المرأة أن تربى أطفالها وواجب الاب أن يحمي ويعول أسرته وواجب الاطفال أن يساعدوا آباءهم الكبار وواجب مساعدة الاخ لأخيه وأخواته وأقربائه الأبعد وواجب إعانة المسن والضعيف والعاجز والمريض وواجب حماية أولئك الذين فى خطر وكل نوع من المساعدة المتبادلة، للإيثار أو الرحمة . (١٦)* وتتضمن أخلاق المخبرين بالطبع واجبات من هذه الأنواع ، ولكنها لا تعتبر منتمية الي قسم الكرم (department of generosity) . فإعداد طالب صديق بمذكرات المحاضرات أو مساعدته في اللحاق بأحد الكورسات عندما كان مريضا على سبيل المثال - هى من أعمال المعاونة والصداقة ولكنها ليست دلالة أو علامة على الكرم- وفقا لقول عثمان (٦٨) . وأكد ابراهيم بالمثل علي أهمية التعاون (helpfulness)

مثلا فى شكل - مساعدة العجزة من القرويين (مقالة). أما على فيرى أن أشكالا معينة من التعاون مثل المساعدة المالية يمكن تضمينها فى الكرم ولكنه يرى استبعاد أعمال الرحمة والعطف (٩٩). إن واجبات الشخص تجاه أقربائه ذات أهمية بالغة غير أنها لا تتصل من أى جهة بالكرم أو الصدقة . وبما أنه ليس هنالك أى سبب واضح وراء تضمين أو استبعاد هذه الموضوعات فى تصورات المخبرين - وليس هنالك حاجة لذلك فإنه يبدو أن مجال الكرم يقتصر عموماً على تبادل الاشياء المادية خصوصا المال والطعام والشراب. فلا يعتبر الوقت (time) ذا قيمة في ذاته ، لذلك لا يمكن أن يكون قضاء الوقت في مساعدة صديق أو قريب علامة أو دلالة على الكرم.

الباب الثامن

الشرف والكرامة

مقدمة :

ان فكرتي الشرف والكرامة تشكلان مجموعة (cluster) بمعنى أنهما وثيقتا الصلة ببعضهما البعض ورغم أنه قد يخلط بينهما في كثير من الأحيان إلاّ أنهما لا يتطابقان مع بعضهما البعض (مثلاً ٢٦ - ٢٧ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٠) . لذلك فإن الترجمات من مصطلحات اللغة العربية جديرة بأن تكون أكثر تضليلاً في حال التصورات التي تشكل موضوع هذا الباب منها في حال الأفكار التي تناولناها في الباب السابق. ولقد حاولت بصفة عامة أن أستعمل الكلمات العربية في المقابلات لتفادي تخليطات المعاني والكلمات العاملة والمؤثرة هنا هي عرض ، شرف وكرامة ويمكن الحصول على فكرة عن حدود معانيها بالرجوع إلى قاموس ڤيركوان (vercowan's Dictionary) الذي يعطي المعلومات الآتية -

عرض -- شرف (honour)، سمعة حسنة - (good repute) ، كرامة (diginty)(ص ٦٠٤) .

شرف :-

١/ مقام رفيع (elevated place)

٢/ مرتبة عالية (high rank) نبل (nobility) امتياز "(distinction) عظمة (emenence)(ص ٤٦٧) .

كرامة (dignity) :- نبل (nobility) ، سمو الأخلاق (high mindedness) نبل الطوية (noble heartedness)†، الكرم (generosity) الشهامة (magnanimity الجود-liberali ty) ، السخاء (munficence) ، شرف (honour) ، كرامة (dignity) احترام (respect) تقدير (esteem) . هيبة(prestige) ، شارة شرف (mark of honour) ، شارة تقدير (token of esteem) ، معروف (favour) . ... خارقة (حدثت على يد شيخ)" (ص ٨٢٢).

وهذه السطور، على الرغم من غموضها، إلا أنها تعطى ملخصاً لا بأس به بالنسبة لوجه مهم من الأخلاق العربية. فقد أظهرت بوضوح العلاقة الوثيقة بين أفكار العرض والشرف

والكرامة. كما أنها أبرزت الصلة الهامة بين الشرف والكرامة من جهة وحسن السمعة والهيبة من جهة أخرى. وبجانب ذلك ألمحت أيضا الى أهمية فضيلة الكرم بالنسبة لمكانة الشخص الاخلاقية. ولكن لم يفعل القاموس شيئاً ليفرق بين المفاهيم الثلاثة ولا يمكننا أن ندعى أن استعمال المخبرين مطابق أو موافق مع الاستعمال المقرر في قاموس يحوى الألفاظ العربية الحديثة أكثر من العربية العامية السودانية. ويمكن بالمثل أن نتوقع بعض أوجه الشبه بين المعاني الكلاسيكية (القياسية) لكلمات "عرض" ، "شرف" و "كرامة" واستعمالاتها الحديثة مثلا فى حديث المخبرين بالإضافة إلى اختلافات مهمة. وقد تكون المقارنة بين تصورات المخبرين والتصورات الكلاسيكية عظيمة الفائدة، غير أنه لا تتوفر معلومات كافية لإجراء مثل هذه المقارنة في الوقت الراهن (٢ الباب ١٠ فصل ٢).

ومن المناسب كما يبدو لنا أن نحتفظ بصفة عامة - بالألفاظ العربية كمصطلحات فنية وأن نتجنب الترجمات فيما يتصل بكلمات عرض وشرف وكرامة. ولكن يسهل فى بعض الأحيان استعمال الترجمات ، وقد تبنيت الاتفاق على أن الترجمات القياسية التى فى هذا الكتاب بالنسبة لكلمات عرض وشرف وكرامة هى (decency) و (honour) و (dignity) على التوالى ، ويتوجب على القارىء أن يقرر لنفسه الحد الذى قد تكون فيه هذه الترجمه مضللة.

٢/ الشرف :

لقد وجد المخبرون أن فكرة الشرف يصعب تفسيرها نسبة لتقلبها وتوجد معلومات كثيرة فى المقابلات عن فكرة الكرامة ذات الصلة الوثيقة بها . ولما كانت كلمتا شرف وكرامة تستعملان فى معظم السياقات مترادفتين - كما أكد المخبرون ذلك - فإن المعلومات التي عن كلمة شرف يمكن أن تلحق مع ما يقال عن كلمة كرامة .

إن معظم الأقوال التى تنطبق على كرامة وليس كلها يمكن أن تؤخذ تقريبا وتطبق أيضاً بسهولة على كلمة "شرف" ما لم يكن هنالك تنازل واضح عن ذلك. غير أننا فى هذا الفصل ينصب اهتمامنا بصفة رئيسية على كلمة " شرف " بالمعنى الذى تكون فيه مستقلة عن كلمة "كرامة".

والشرف هو خاصية مثل الكرامة يملكها كما هى كل إنسان بحكم طبيعته ويمكن أن يفتقدها المرء بسهولة وبمجرد أن تُفتقد فلا يمكن استعادتها. وكل الرجال والنساء والاطفال

يملكون الشرف إلا أن يكونوا هم أنفسهم أو بعض أقاربهم قد ارتكب فعلا يتسبب في افتقاد الأسرة لشرفها (١٢١ – ١٢٤). فالشرف ليس هو إذن مجرد مسألة شخصية بحتة، لأن شرف المرء يعتمد على سلوك أقربائه بالإضافة الى أفعاله هو شخصياً.

ومسئولية حماية الشرف للأسرة إنما هو أمر مشترك وتضامني بين كل الراشدين من أعضائها ولكنه يقع بصفة رئيسية على الرجال وذلك لأن النساء يعتبرن أضعف من أن توكل إليهن مسئوليات ثقيلة وجسيمة مثل حماية العرض والشرف والكرامة (قارن فصل ٣ أدناه).

وهنالك صلة قوية بين الشرف والسلوك الجنسي القويم . إذ أن شرف المرء وشرف أسرته يعتمد بصفة رئيسية على سلوك أفراد الأسرة في مسائل الجنس وخصوصاً على سلوك أفراد الأسرة من الإناث.

"إن الحفاظ على كرامة المرء هو أمر عظيم الارتباط بالحفاظ على حريمه - أخواته وبناته الخ" (ابراهيم ، مقالة) ويراعى المرء دائماً شرف وكرامة زوجته وأخواته وأمه وهلمجرا مثل مراعاته لشرفه وكرامته هو نفسه (عثمان ، ١٠٩) . والحفاظ على عرض المرأة ربما يجب أن يعتبر شرطاً ضرورياً للحفاظ على شرف الأسرة.

وإذا تساءل أحد عما إذا كان العرض هو أيضاً شرطاً كافياً بالنسبة للشرف، فأنه لن يجد إجابة مريحة وواضحة في المقابلات التي بين أيدينا . وعندما سُئل عثمان عن هذه النقطة لم يفكر في أي شيء آخر غير " الزنا " (adultery) الذي يمكن أن يؤثر في شرف المرء وكرامته (١١٠) ، وربما كان مصيباً في ذلك بحسب ما يعني تصوره للشرف. ولما سألت عثمان عما إذا كان القتل والسرقة وخيانة العهود الخطيرة والبخل تؤثر في شرف المرء أم لا تؤثر. أدخل نفسه تقريباً في سلسلة تفسيرات مغلوطة كقوله مثلاً " ربما لا تؤثر في الشرف ولا في الكرامة"

(١١٨، قارن ١١١ ،١١٧ ،١٢٧) ولكن النتيجة كما يبدوا هي أن الشرف لا يتأثر مثلاً بالقتل، السرقة، خيانة العهود، قبول الرشوة أو عدم الصوم في رمضان (١١٠ وما بعدها، ١١٧ وما بعدها، ١٢٧، ١٤١).

أما علي فهو يعتقد بكل صراحة أن القتل والسرقة والأفعال المشينة الأخرى من جانب أي فرد من أفراد الأسرة ستنعكس على شرف الأسرة ، ولكن في هذه الحالة – كما أوضح

مباشرة – فالشرف إنما هو مثل الكرامة تماماً (١٠٤). وأخذ المرء زوجته إلى السينما ليس أمراً محموداً أو مباحاً على الأقل خارج العاصمة المثلثة ولكن خرق هذا النهى لن يكون له تأثير على شرف المرء – وفقاً لقول على (٤٧). ولما سئل على عن بعض الأنواع الأخرى من المواقف تلجلج أو تجنب إعطاء أى إجابة مباشرة (٩، ٢٨). ومن المعقول إذن أن نستخلص من كل ذلك أن فكرة الشرف - تملك تركيباً مفتوحاً (open texture) الباب ٢، فصل ٢) بالنسبة للمخبرين الثلاثة، لذلك فأن الاستعمال الصحيح للكلمة لا يمكن تعيينه بواسطة وضع قائمة تحوى الشروط الضرورية والكافية التى تتعلق بالتطبيق الصحيح للكلمة، وبالنسبة للكلمات الأخرى ذات التركيب المفتوح فإن استعمالات شرف، يمكن جمعها حول أساس متين من الاستعمالات النموذجية. أما الاستعمالات – الأخرى فستكون غير نموذجية وشاذة أو غير معتادة. ولكن لا يُخْشَى بأنها غير صحيحة. فالحالة النموذجية لحماية الشرف هى بوضوح عبارة عن حماية المرء لعرض أقربائه الأناث ولكن تطبيق كلمة شرف أيضاً على مواقف أخرى لا يعتبر إساءة لاستعمالها. وانفتاح التركيب قد يكون مصدراً عاماً للخلط والتخليط خاصة عندما لا يُدرك على ما هو عليه. ولعل تردد المخبرين أو تجنبهم للاجابات المباشرة حينما سئلوا عما إذا كانت كلمة "شرف" يمكن تطبيقها على أنواع عديدة من المواقف التى لا تتصل بالعرض الجنسى (Sexual decency) إنما هو دلالة جيدة على التركيب المفتوح لكلمة شرف، ثم إن إجاباتهم وهى إلى حد ما غير واضحة، ربما يمكن تفسيرها بالرغبة فى ارتجال إجابات أكثر تحديداً مما تسمح به الأسئلة.

٣ / العرض : (decency)

إن العرض هو قسم الواجب الذى يهتم بالمسائل الجنسية. والحفاظ على عرض المرأة وعرض الرجل الذى فى الأسرة أيضاً.

والحفاظ على عرض المرأة والرجال من أفراد الأسرة هو الهدف الأخلاقى فيما يتعلق بالسلوك الجنسى. ومهمة الحفاظ على العرض هى بصفة رئيسية مسئولية الرجال فى الأسرة لأن المرأة تعد أضعف من أن تحمى فضيلة الشرف والعرض والكرامة (١٣٧، قارن ٩٦ و ١٥٣). وادعى ابراهيم فوق ذلك بأن أى رجل سودانى يعتبر حارسا لأى امرأة سودانية. ونتسائل عما اذا كان هذا التصور واسع الانتشار أم لا، واذا كان واسع الانتشار فهل هو ذا فعالية أم لا. فكل ذلك مما ينتظر مزيد البحث والنظر.

والحفاظ على عرض أقرباء المرء من الأناث يعني فوق كل شيء حمايتهن من ممارسة الجنس خارج إطار الزوجية. فالبكارة (العذرة) (Virginity) لها اعتبار كبير وتتخذ عدة احتياطات وتدابير للمحافظة عليها لأنها مثل عود الكبريت كما ورد في المثل : " بمجرد أن تشعله يفتقد قيمته" (٤٠). وأشد الاحتياطات التي يقصد بها تأمين بكارة الفتاة هي الطهارة (Circumcision) ويوجد نوعان من الطهارة في السودان الشمالي : الإنهاك أو ما يعرف بالطهارة الفرعونية (infabulation) وطهارة الإحسان أو ما يعرف بطهارة السنة (clitoridectomy or sunna) (١)* ومن الناحية العملية فكل فتاة تجرى لها عادة طهارة الإنهاك أى الطهارة الفرعونية. ويقال أن عدداً قليلاً تجرى لهن طهارة الإحسان أو السنة (٢)* ونجد أن الاثنين من المخبرين ممن ناقش هذه المسألة يقفان ضد الطهارة الفرعونية ويعتبرانها بالغة القسوة ويفضلان عليها طهارة السنة (١٠٧، ١٣٢) وقد أشار كلاهما إلى الاعتقاد القائل بأن الطهارة الفرعونية هى طريقة لحماية الفتاة (١٣٢، مقالة) كما وأن أحدهما ذكر أيضاً حماية الفتاة كتبرير لطهارة الإحسان (السُنّة) (على ١٠٧) أما بقية المخبرين فيرون أن طهارة السُنّة هى عادة دينية لا يمكن تبريرها (عثمان ١٣٢) (٣)*. وإذا حدث أن اكتشف أمر فقدان البكارة أو الزنا فأن ذلك سيقود إلى نتائج خطيرة ووخيمه.

فالفتاة التى تفقد عرضها ربما لا يقتلها أهلها أو أقاربها في الحال ولكنها سوف لا تجد زوجاً بسهولة. وحتى إذا – وجدت زوجاً فانه سرعان ما يطلقها (٤١، ١١٦ – ١١٧ قارن (١٥٤) وطبقا لتقليد ذكره عثمان فالزانية يمكن أن تخضع أو تعرض لمحنة النار وإذا لم تنجح هذه الطريقة فإنها سوف تقتل (١١٦) (٤)* وأما الزاني فهو يقتل من الناحية التقليدية على أيدى أقرباء المرأة " يجب عليهم أن يغسلوا العار بالدم" – وفقاً لقول على والعمدة المعظم المشار إليه فى (٢٦) كان شديد الحساسية بالنسبة لشرف العرض لدرجة أنه قتل رجلا بالرصاص لأنه حاول أن يلقي بنظرة فوق الحائط الي غرفة النساء. أما العواقب بالنسبة لأقرباء مرتكب جريمة الفاحشة فهى بالمثل جد خطيرة .

فإذا ضلت أحدى قريبات أحدهم وارتكبت الزنا أو كان لها علاقات مشبوهة مع أحد الرجال "فحينئذ تكون قد ضاعت كرامته وذهب احترامه لنفسه الى الأبد ولا شيء يعيد له ذلك مرة أخرى. أما المرأة التى فعلت الفاحشة فانها تكون منبوذة وكذلك لن يكون لأسرتها إحترام بعد ذلك " – طبقا لقول ابراهيم. ولكي يحفظ عرض النساء فانه تجب حمايتهن من المخاطر

التي يجلبها لقاء الغرباء وعموماً الرجال الذين من خارج دائرة الأسرة وذلك لاعتقاده أنه كلما التقى رجل وامرأة فالشيطان هو ثالثهما " (علي). لذا يجب أن يقضي النساء معظم أوقاتهن في المنزل وإذا كان لا بد من خروجهن يجب أن يلبسن الثوب - وهو جلباب مكون من حوالي تسعة أمتار من القماش يلقى حول الجسم والرأس(١٠٦) ولا يسمح لهن عادة بالذهاب إلى السينما، على الأقل خارج العاصمة المثلثة (٤٧). وإذا دعا أحدهم أصدقاءه أو زملاءه لتناول وجبة معه فإن زوجته عادة لا تحضر أو تشرف المائدة معهم (١٥٥) والآباء من ذوي الطراز أو النهج القديم لا يسمحون لبناتهم أن يخرجن ويذهبن إلى المدرسة لأن ذلك يعتبر "عارا" - كما كتب علي. أما ذلك العمدة الذي قتل الرجل الذي ينظر فوق السور فقد بالغ تقريباً في حماية شرف أسرته - إذ أنه لا يسمح لهن بالخروج نهاراً أبداً وإذا خرجن ليلاً فهو شخصياً يوفر لهن الحماية والحراسة وذلك بالسير أمامهن (٢٦). وأثناء المهدية قتل بعض الناس زوجاتهم وبناتهم مخافة أن يهاجمهن جنود جيش الخليفة (١٣٥) وباختصار فالناس لديهم استعداد ليمضوا لأبعد الحدود لحماية عرض حريمهم.

والزواج بين أبناء العمومة، وهو من الطبيعي أن يكون شائعاً في مجتمع تعيش فيه الفتيات في عزلة شديدة، هو أيضاً ينظر إليه كسبيل لحماية بنات الأسرة - " لابد أن تغطي قدحك أولاً " (٣٣).

ويتفق المخبرون كما يبدو على أن حماية العرض أمر في غاية الأهمية. ولكن توصل اثنان منهم على الأقل (علي وعثمان) إلى تعديل أو تغيير في الآراء التقليدية. وأما المخبر الثالث (ابراهيم) فقد قام بالدفاع العام عن الآراء التقليدية حول هذا الموضوع من غير أن يدخل في تفصيلات، وقد كتب بصورة حزينة وقاتمة عن أولئك النساء " اللائي تلوثن بالجانب المظلم من الحضارة الحديثة ". فقد دافع المخبران اللذان هما أقل تقليدية كما رأينا ، عن الطريقة المخففة للطهارة وليس لديهما استعداد للقتل لأجل حماية شرف الأسرة (١٣٤، ١٣٦) ولأنهما تنبئا بعدم السماح لزوجتيهما بالمشاركة في وجبة مع الضيوف، وذلك بسبب الضغط من جانب البيئة الاجتماعية (١٥٥). وقد أصر كلاهما على وجوب لبس الفتيات السودانيات للثياب عند خروجهن (١٠٧، ١٣٠). ولا يتفق أحدهما على الأقل مع رأي الإسلام في أن عقوبة الإعدام لها ما يبررها في حالة الزنا.

ويعتمد شرف الأسرة بصفة رئيسية على عرض نسائها. ولذلك عادة ما يتحدث المرء عن

عرض نساء الأسرة. ولكن كلمة عرض ربما تنطبق على الرجال - طبقا لقول أحد المخبرين (على ٤٠) أما عثمان فهو على النقيض من ذلك (١٣٥). وشرف الرجل يعتمد في المقام الأول على عرض أقربائه الأناث. فإذا انكشف أو شاع أن زوجة رجل ما قد ارتكبت الفاحشة فأن ذلك الرجل سيفقد شرفه أيضاً لأن " عرضها هو عرضه بالطبع " (على، في مقابلة غير مسجلة) وفي المقام الثاني فإن اللواط (homosexuality) "ضد الطبيعة والدين والأخلاق ويكسب الصبي أو الرجل الذي يمارسه أو يساعد على ترتيب مجالسه سمعة سيئة ويقال عنه أنه لا عرض له (٤٢).

٤ / الكرامة :- (dignity)

تلعب فكرة الكرامة دوراً مهما في أخلاق المخبرين وتستحق أن نخوض في بحثها بشيء من التفصيل. وسوف أتناول في هذا الفصل أولاً:-

١- مسألة لمن تنسب الكرامة.

٢- ثم مسائل تتصل بكيفية تأثر الكرامة.

٣- والحد الذي يدرك فيه المخبرون الإختلافات بين الآراء التقليدية وآرائهم هم أنفسهم

٤- وسأتناول أخيراً مسائل ترتبط بكيفية تشابه واختلاف الكرامة عن الشرف والعرض

ومن ثم سأعقد مقارنة بين الكرامة وفكرة الدقنتاس (Dignitas) عند الرومان (الكرامة الرومانية) حتى أستخرج بذلك بعض خصوصيات الكرامة (السودانية) بصورة أكثر وضوحاً (فصل ٥) وسوف أتناول في النهاية تشخيص دور الكرامة في النسق الأخلاقي (فصل ٦).

أ / تنسب الكرامة لأناس أفراد - أ، أسر - ب كما وتنسب وفقا لما ورد في أحد اللقاءات، أحيانا أيضا لمجموعة من الناس - لا ينتمون لنفس الأسرة - ج.

أ / تنسب الكرامة أساساً للراشدين من الرجال السودانيين فأي رجل سوداني إذا لم يفقد كرامته لسبب من الأسباب فهو يملك كرامة. (٩٦ وما بعدها ،١٢١، ١٢٣ وما بعدها)

ويعتبر رجل الشارع نفسه مساوياً لرئيس البلد في هذه الناحية (٩٧) ولعله من المعقول أن نفترض أن السؤال عما إذا كان الشخص غير السوداني يملك كرامة أم لا إنما يظل مفتوحاً أو قائماً من غير إجابة على الرغم من أن أثنين من المخبرين حينما سئلا صراحة عن هذه

النقطة قد أكدًا أن الناس كلهم - باستثناء المنبوذين (outcasts) يملكون كرامة بغض النظر عن جنسيتهم (٩٦، ١٢٤) وقد تنسب الكرامة للنساء في عدة أماكن في المقابلات (مثلاً ١٠٩ وما بعدها). ولكن بسبب ضعفهن الملازم فلا يفترض فيهن أن يتحملن مسئولية كرامتهن نفسها، فهي مثل الشرف يكون دائماً بأيدي الذكور من أقاربهن (١٣٧) فالمرأة - وفقاً لذلك - لا تقوم بما قد يقوم به الرجل حيال الموقف الذي يؤثر في الكرامة.

ولذلك يعتقد الناس أن كرامة المرأة ليست في نفس مرتبة كرامة الرجل (٩٦). أما الأطفال فلا يقال عادة أنهم يملكون كرامة (٩٦، ١٣٨). وبعد شيء من التروي رأى علي أن الأطفال يجب أن يقال بأن لهم كرامة بالرغم من أنهم لا يظهرون أي علامات بأنهم يملكونها (٩٦). وربما لا تنشأ عادة مسألة ما إذا كان للأطفال كرامة أم لا. وفكرة الكرامة هي أيضاً غامضة بالنظر الى التطبيق على الأطفال نسبة لأننا لا يمكننا أن نوضح بالتحديد ما هو العمر الذي يجب أن يكون فيه الشخص لكي يقال عنه أن له كرامة. وعلى الرغم من أن الأطفال لا يقال عنهم عادة أن في وسعهم أن يكون لهم كرامة أو لا يكون، إلا أنه يمكن معاملتهم على أنهم لا كرامة لهم إذا كانوا ينتمون إلى أسرة معروفة بأنها لا كرامة لها (١٢١ وما بعدها). ويبدو لنا في هذه الحالة أن كرامة أقرب الى أن تكون " مرادفة" لكلمة شرف (راجع ١٢١ وما بعدها، ١٣٨).

ب/ وتنسب كلمة كرامة أحياناً الى أسر (مثلاً في ٣٥) حيث أنه يقال عن الفتاة أنها تجرح كرامة أسرتها إذا ما خرجت لوحدها (وقابلت شاباً بطريقة سرية)، (وكذلك في ١٣٨) إنّ إمتداد الكرامة الى الأسرة كلها هو أمر طبيعي لأن مسئولية كل فرد تجاه الكرامة هي مسئولية مشتركة بين الراشدين الذكور من أعضاء الأسرة، الذين هم مسئولون بصفة خاصة عن كرامة زوجاتهم وأخواتهم وبناتهم ومن يعولوتهم (أنظر بالإضافة إلى الفقرات المشار إليها سابقاً أيضاً (١٠٤) وما بعدها. وعند مرورنا على هذه النقطة، قال أحد المخبرين في تردد أن الشرف هو مسألة عائلية والكرامة مسألة شخصية، بالرغم من أن الكلمتين تستخدمان على وجه الترادف (١٣٨). ولعله من المعقول أن نميز بين معنيين لكلمة " كرامة".

١ / المعنى الذي تنسب فيه الكرامة للأسر.

٢ / المعنى الذي تكون فيه الكرامة عبارة عن مسألة شخصية ولبيان الفرق بينهما يمكن

للشخص أن يتحدث عن الكرامة بمعنى الكرامة الشخصية (Personal dignity) وكذلك الكرامة بمعنى " مكانة الأسرة " (family status) . وتعتمد كرامة الأسرة بالطبع على تصرف أو سلوك أفرادها، أما كرامة الإنسان الشخصية فهي تعتمد إلى حد ما على مكانة أسرته. وكما يبدو لنا فإنه لا - جد معلومات كافية في المقابلات تكفل لنا أي أقوال واضحة عن العلاقات بين مكانة الأسرة والكرامة الشخصية.

ج / إن الكرامة في (١٦) تنسب إلى نوع آخر من التضامن - حكومة البلد :-

إذا لم تراجع الحكومة قرارها بنفسها ورفعته بدلاً عن ذلك - للمجلس العسكري على افتراض أن المجلس سوف يغير القرار السابق - فإن كرامتهم لم تجرح في هذه الحالة " . فهم يملكون كرامتهم " . ونسبة هذه الكرامة هنا إلى مجموعة ربما يكون مجرد طريقة سهلة للإشارة إلى كرامة كل فرد من أفراد المجموعة ولكن من الأفضل تقريباً تفسيرها على نفس مستويات أو طرق نسبة الكرامة إلى الأسر : فأعضاء الحكومة يشتركون في المسئولية فيما تفعله الحكومة ولذلك فإن كرامة كل عضو منهم إنما تعتمد على كرامة العضو الآخر، تماماً مثلما تعتمد كرامة الفرد الشخصية على مكانة أسرته.

٢ / إن الكرامة هي خاصية يملكها عادة الكبار ويمكن أن تتأثر أو " تجرح " (wounded (أو تخدش (injured) أو تمس (touched) بواسطة العديد من أنواع الإساءات أو الجنحات (misdemanour) أو أنها يمكن فوق ذلك أن تفتقد (٧، ١٦، ٢٨، ٤٦، ٥١ وهلمجرا). وهي حينما تفتقد لا يمكن استعادتها أو استرجاعها بالرغم من أن الشخص يأمل أن يتناساها الناس بعد مضي شيء من الوقت (٩٨) ولذلك ليس هنالك من شيء يمكن للمرء أن يفعله ليضيف إلى كرامته الشخصية - فهي شيء يجب على المرء أن يحافظ عليه، فلا يدعها تجرح أو - تفتقد. ويمكن أن تتأثر كرامة المرء بأمرين هما :-

أ / التصرف (السلوك) المشين وغير اللائق.

ب / التعامل المشين و غير اللائق.

أ / إذا قام الفرد نفسه أو أي فرد من الأفراد من الأسرة بخرق أي من معايير السلوك الجنسي (Norms of sexual behaviaur) فحينئذ تكون كرامته قد تأثرت ويبدو أن الحفاظ على الشرف والعرض هو شرط ضروري للحفاظ على الكرامة (راجع ٢٦، ٣٥، ١٠٩، ١١٦.

١٢١، ١٢٣). فإذا ارتكبت زوجة أحدهم مثلاً الفاحشة (الزنا) فهذا يعتبر خدشاً لكرامته (١٠٩) وتوجد الأمثلة الأخرى لكيفية تأثر الكرامة بسلوك الفرد نفسه في - المقابلات الآتية :-

بالنسبة لطالب (ذكر) حينما يصرخ أو يبكي إذا لم ينجح في أحد الامتحانات (٨) بالنسبة لطالب يرسب في الامتحان بعد أن ذاكر بكل اجتهاد (٥١).

- ولكي لا يعرض الطالب نفسه لفقدان الكرامة فعليه إذن إما أن لا يجتهد كثيراً في المذاكرة أو على الأقل أن لا يدع الطلاب الآخرين أن يعرفوا عنه أنه يجتهد كثيراً (٥٣ وما بعدها) والإعادة في المدرسة تعتبر عاراً، أما في الجامعة فالاعادة - لمرة واحدة تعتبر مقبولة (٥٢) ولكن الإعادة لسنتين في الجامعة هي " أمر بالغ الصعوبة " (نفس المصدر السابق) وتنعكس تقريباً على كرامة الطالب، بالرغم من أن المخبرين لم يقولوا ذلك بصراحة ووضوح إن تغيير الفرد لقرار مهم لديه نتيجة لضغط الآخرين من الناس (١٦) أو أن يذهب المرء الى مأدبة أحد الأقرباء من غير أن يكون مدعواً (قال المخبر أنه ليس مثل والده، فهو يعتقد أنه ليس من الكرامة في شيء أن يذهب الى المأدبة في هذه الحالة (٣٨) أو أن يكون المرء رهن السجن (٩٨) ولكن كما يبدو في كل الحالات لا يعتبر الفعل في حد ذاته غير كريم (أي فاقداً للكرامة) بل أن كرامة الشخص الذي قام به قد تأثرت بردود الأفعال غير المناسبة من جانب الآخرين من الناس الذين يستفزهم سلوكه، فالرجل - مثلاً يجب عليه أن يظهر قوة الشخصية، فإذا ما أعطى دليلاً على الضعف بالصراخ والبكاء مثلاً أو الاستسلام نتيجة للضغوط من جانب الآخرين من الناس، يكون قد عرض نفسه الي معاملة غير مناسبة. وهذا ينطبق بصفة خاصة على الحالات التي يكون فيها سلوك الشخص مباشر العداء للآخرين مثل تناول مشروب الويسكي علانية أو المجاهرة بالإفطار في نهار رمضان بتناول الطعام جهرة فاذا لم يظهر احترامه لمشاعر إخوانه من الناس فانهم سوف يعمدون الي اضطهاده واحتقار كرامته (٩٥). فالكرامة الشخصية تعتمد مطلقاً على نظرة الآخرين من الناس وما يصدر عنهم من أفعال. وبتعبير آخر فالافتراض الذي أقول به في هذا الصدد هو أن الكرامة غيرية التحديد (الباب ٤، فصل ٤). وبلا شك فان المعلومات المتوفرة لا تعطي بالطبع ما يشبه الدليل القاطع على صحة هذا الافتراض حتى في حدود ما تعني به أخلاق المخبرين الرئيسيين.

ب - ولكن يوجد دليل مستفيض يؤيد الافتراض القائل بأن تصورات المخبرين الرئيسيين للكرامة إنما هي بصفة غالبة غيرية التحديد (other determined) وأن كرامة المرء حساسة

جداً تجاه المعاملة غير اللائقة. وحماية المرء لكرامته تعني فوق كل شيء أن يرى أنه يعامل بالاحترام اللائق أو المستحق. وإذا صح هذا التفسير فإن أي فعل من شأنه أن يثير ردود أفعال عكسية لدى الآخرين فهو تهديد ممكن لكرامة المرء. ثم أن أي جنوح عن المعايير التي تنظم العلاقات الشخصية بين الناس غالباً ما تفسر على أنها مسيئة ومهينة لكرامة المرء. وبناء على ذلك، فالدراسة الكاملة للكرامة تؤدي إلى الوصف الكامل لكل المعايير التي تحكم العلاقات الشخصية. ولا تكفي اثنتي عشرة مقابلة لإقامة أو إنشاء النسق كله ولكنها على أقل تقدير تعطي إشارات لدراسة النسق. فمن شأن السلوك غير اللائق أن يؤدي إلى إهانة وسيفسر على أنه إساءة، وكلمة إساءة هي كلمة رئيسية في المقابلات وتكرارها انما هو مقياس لأهمية الحفاظ علي الكرامة. فالطالب الذي يتهم بممارسة الغش في أداء الامتحان قد يشعر بأنه أسيء إليه إساءة بالغة لدرجة أنه يحاول الإنتحار على الرغم من المعيار الصارم ضد الانتحار (٧) والاتهام بالملق أو المداهنة هو إساءة قبيحة تسبب صدمة عميقة للطالب المعني (٢٧)، وعدم قبول الهدية هو بدوره إساءة (٣٢)، وإذا أردت أن تتزوج فتاة وتقدمت لوالدها بخصوصها فرفض ذلك فإنك ستعتبر ذلك إساءة – فقد جُرحت كرامتك (٣٢) والتعليقات التهكمية الساخرة أو حتي مجرد التوبيخ من جانب الأستاذ من شأنها أن تفسر على أنها إساءة أكثر منها تنبيها أو تحذيراً له ما يبرره (٣٦) . و عموماً فالتوبيخ العلني هو إساءة لا مبرر لها بغض النظر عما إذا كان قد يستحق أم لا يستحق (أنظر مثلاً ٢٧، ٣٦، ٥٠، ١٥٢). والطالب الذي يتزوج سراً من غير أن يخبر والديه فإن والديه يشعران بأنهما قد أسيء لهما (٤٩)، وإذا رُقِّيَ رجل ذو وظيفة أدنى فإنّ رئيسه يعتبر ذلك إساءة له لدرجة أنه يتخلى عن وظيفته (١٤٩)، وعدم إلقاء التحية من جانب شخص يفترض أن يحييك أولاً هو إساءة (١٥)، وحاكم الأقليم الذي يرسل في طلب شيخ القبيلة بدلا من أن يحضر لمقابلته هو بنفسه، أساء لشيخ القبيلة بفعله هذا (١٥١)، وإذا لم تظهر الضيافة المطلوبة والمودة تجاه أقاربك – وأصدقائك حين يأتون إليك لزيارتك فإنهم يشعرون بأنهم أُسيء إليهم (٤٦) وهلمجرا. والبحث في الإساءات المحتملة هو إذن طريقة جيدة للوقوف على المعايير ذات الأهمية الاجتماعية في هذا النسق الأخلاقي، كما وأن عظم خطورة الإساءة هو مقياس لصرامة المعيار المقابل.

ويمثل معيار المساواة أحد هذه المعايير ذات الأهمية الخاصة المرتبطة بالكرامة. فبالنظر إلى الكرامة الشخصية يعتبر كل الناس من الناحية المبدئية متساويين فليس هنالك فرق بين

العامل والرئيس (٩٧، ٥٠). ولكن هذه المساواة النظرية هي في الواقع العملي مشربة باعتبارات المنزلة (status) اذ أن علاقة الخادم – بالسيد على سبيل المثال تفضي – الى تغييرات في داخل ما يرى أو يعتبر أنه المعاملة اللائقة : فيمكنك أن تطلب أشياء من خادمك لا يمكنك أن تطلبها من الآخرين من غير أن تسيء إليهم (أنظر ٥٠)، وتحدد المنزلة : على ما يبدو بصفة رئيسية بعامل العمر : فالشخص يتوقع معاملة ـ مماثلة أي متساوية من أولئك الذين في نفس سنِّه أي أنداده، كما يتوقع احتراماً أكثر ممن يصغرون عليه سناً من غيرهم (١٢٦، ١٥١) ويجب على الناس أن يظهروا الاحترام المتبادل لبعضهم بعضاً ولكن يجب أن يعامل الرجل كبير السن بأحترام خاص. وإذا كان أحد الأبناء قد أساء إلي والده مثلاً فيجب علي الوالد أن لا يعامله بالمثل بالرغم من أنه ليس عليه أن يقبل إساءته (٢٧). أما الإساءة ممن كان في حالة سكر ومن الصبي ومن الأجنبي تقريباً فيمكن التغاضي عنها لأن هؤلاء لا يعتبرون بمثابة الأنداد (المساوين ، فلا يمكن أن يؤثر سلوكهم في كرامة الشخص (١١٢، ١١٤، ولكن راجع (٥٠)، حيث قيل فيها أن الإساءة من الأجنبي إنما هي أكثر فداحة). ولا تعتبر النساء بالطبع مساويات للرجال ـ لأنهن ضعفاء ويجب حمايتهن (أنظر مثلاً ٩٦، ١٠٦، ١٣٧، ١٥٣، ١٥٥).

ولكي يحفظ المرء كرامته عند الإساءة إليه ، فيجب عليه أن لا يقبلها بل يجب عليه أن يثور معترضاً " أو يثير السخط " ، مثلاً (٢٧، ١١٢، ١٢٢). ولما كان النساء والأطفال لا "يثورون فيصعب القول بنسبة الكرامة إليهم أو نفيها عنهم (٩٦).

٣ / لقد كان المخبرون أقل دراية وإدراكاً في آرائهم عن الشرف والكرامة عنهم في آرائهم عن الشجاعة والكرم والتي رفضوا فيها بوضوح ما ذهبوا إلى أنه آراء واسعة الإنتشار. وقد قبلوا عموماً الأفكار التقليدية عن العرض والشرف والكرامة. أما التغييرات التي أدركوها فهي تعني عموماً بالعرض ولا تعنى بالشرف والكرامة إلا بالقدر الذي تعتمدان فيه على العرض (٥٥، ٤٧ ، ٥٠، ١٣٤، ١٢٦، ١٤٦) . ففي أحد المرات قال عثمان بأن لدى الناس اعتقادات خاطئة عن الكرامة " فهم يطلقون على شيء كرامة بالنسبة لهم وهو في الحقيقة ليس كذلك " (١٤٩) ولكنه من الجهة الأخرى مثلاً لا يرى أنهم يضعون أهمية بالغة لقيمة الكرامة الشخصية، بل هم حالياً، على النقيض من ذلك ، يقبلون أحياناً أشياء قد تؤثر حقيقة في كرامتهم الشخصية، اذ أنهم يقبلون أحياناً الإساءات في حين أنهم يجب ألا يفعلوا ذلك

(١٥٢).

٤ / إن العلاقات بين أفكار العرض والشرف والكرامة والتي يبدو عليها أولاً الخلط والتخليط يمكن الآن رؤيتها بوضوح أكثر تقريباً فالكلمات عرض، شرف، وكرامة متداخلة إلى حد بعيد وكثيراً ما تستعمل بمثابة المترادفات أو قريباً من ذلك ، ولكنها تختلف عن بعضها البعض بإعتبار ما يمكن تسميته جواهر معانيها المركزية. إذ أن كل واحدة منها تبحث لاكتساب دور تخصصي في مجال التطبيق العام.

فتطبق كلمة عرض غالباً على النساء وكلمة شرف غالباً على الأسر وكلمة كرامة غالباً على الراشدين من الرجال. أما الحالات النموذجية لفقدان العرض والشرف فهي الزنا وإضاعة العذرية وتتمثل الطريقة النموذجية للتأثير على كرامة الشخص في إساءته. وتفرق الإساءات الشخصية حقيقة بصورة فعالة بين الشرف والكرامة. وهناك فقرتان (٢٨، ١١٢)، ادرك فيهما المخبرون أنَّ الإساءة تؤثر في كرامة الشخص ولكنها لا تؤثر في شرفه. إن العلاقة بين العرض والشرف والكرامة لا تسمح تقريباً بالأقوال الدقيقة جداً بسبب التنظيم السائب المهلهل داخل مجموعة الشرف والكرامة. فالقول بأن العرض هو شرط ضروري للشرف والشرف شرط ضروري للكرامة هو قول يفتقد الدقة تقريباً ومع ذلك فهو ربما يكون تنويرياً من جهة أنه تقريب عام ومفيد من جهة أنه افتراض عملي.

٥ / الكرامة والدقنتاص (Karama and dignitas) :- إن المقارنة بين فكرة الدقنتاص الرومانية وفكرة الكرامة ربما تساعد في إلقاء الضوء على بعض مميزات أو خصائص الكرامة (٥)*. وفكرة الدقنتاص طبقاً لقول بروفسير وسترااند(Wistrand) تدل على مركز الشخص الروماني في الدولة ومنزلته واعتباره أو هيبته (prestige) . وهي ترتكز على المولد (genus) والجدارة الشخصية ولكنها ليست فقط شيئاً يكون في حيازة الشخص فالكلمة - دقنتاص وفقا لتصريفها تدل أيضاً على أن الشخص جدير بشيء أو يستحق شيئاً وبمعنى آخر يمكن أن تتضمن أيضاً ـ وهذا جدير بالملاحظة المطالبة بحق ما.

فعلى سبيل المثال يرى قيصر أن دقنتاصه قد خول له حق المعاملة الخاصة. (٦)*.

أ / تقوم فكرة الدقنتاص على المولد. فهي فكرة ارتبطت بمجتمع طبقي له نظام اقطاعي (٧)* أما المخبرين السودانيين فلا يميزون عموماً بين الطبقات الإجتماعية المختلفة ، وبناءاً

على ذلك فكل شخص يقال عنه أن له كرامة. فالأفعال والوظائف التشريفية لا تؤثر في كرامة الشخص ولكي يحفظ المرء شرفه وكرامته يجب عليه أن يفعل وفقاً لمعايير الإلتزام ذات الصرامة العالية (مثل معايير العرض) والتي يعتبر خرقها حتما أمراً قبيحاً وسيئاً. ولكن الأعمال التشريفية (supererogatory works) فلا جدوى منها كما يبدو، فيما يتصل بالشرف والكرامة. وسواء أكان المرء كريماً أو غير كريم على سبيل المثال - فلا فائدة من ذلك بالنسبة لكرامته (عثمان ٧١، ١٢٧) وربما لا يكون للكذب وخرق العهود والسرقة، أثر على كرامة الشخص ما دام أنه قادر على مسايرة الناس. ولكن اذا أوغلت في المبالغة فلن يحترمك الآخرين من الناس بعد ذلك " ولن تبقى لديك كرامة إذا لم يحترمك أحد من الناس " فتعتمد كرامة المرء على كيفية معاملة الناس له أكثر منها على أعماله هو نفسه، وهذا يعني أن كرامته مثلها مثل شرفه هي غيرية التحديد (other - determined) أحرى منها أن تكون ذاتية التحديد (self - determined) . (وسوف أتناول هذا الموضوع بتوسع في الباب القادم.

ج / إن "كرامة" هي مثل " دقنتاس" تكفل أو تخول حقاً بالمعاملة الخاصة ولكن بما أن كل الراشدين من الرجال السودانيين يملكون الكرامة (إلا إذا فشلوا في الحفاظ عليها)، فإن كل شخص من الناحية المبدئية له حق المعاملة المتساوية. أما النساء والاطفال الذين ليس لديهم كرامة، على أقل تقدير بنفس المستوى ونفس القدر الذى للآخرين فلا يعاملون بمثابة المتساويين.

٦ / دور الكرامة :-

إن فكرة الكرامة تحتل مكاناً رئيسياً في أنساق المخبرين الأخلاقية وهي ذات صلة وثيقة بمعايير الشرف والعرض ذات الصرامة الشديدة كما رأينا. وهي أيضاً مرتبطة كثيراً بطريقة غير مباشرة بفضائل الشجاعة والكرم والضيافة وهلمجرا. ولكي يقال عن المرء بأن له كرامة يجب أن يكون محترماً من جانب الآخرين، ولكي يطلب احترام الآخرين يجب عليه أن يعمل وبدرجة عالية على الأقل وفقاً للمعاير الأخلاقية الأكثر أهمية والمقبولة عموماً. ولكي يساير المرء المجتمع السوداني فلا بد له أن يحافظ على كرامته ويصونها.

وأهمية تصورات الكرامة والشرف في تنظيم السلوك يمكن إدراكها بوضوح من الفقرات التي تتحدث عن أولئك الذين يولدون بلا كرامة ولا شرف "

وإذا لم يكن للمرء شرف ولا كرامة فليس هناك من شيء يمنعه عن الشر والوقوع في الرذائل.

الباب التاسع

أخلاق الاحترام واحترام النفس

١ / الاحترام واحترام النفس :-

إن كلمات "احترام" و "احترام النفس" و "احترام الذات" ترد كثيراً في المقابلات التي أجريناها . ويستعمل مصطلح الاحترام للتعبير عن القبول الأخلاقي (moral approval) وعدم القبول الأخلاقي (moral disapproval) فالرجل الذي يعمل وفقا للمعايير الأخلاقية المقبولة فهو محترم، فإذا خرق أحد المعايير فإنه سوف لن يحترم بعد ذلك . فإذا اكتُشِفَ أن أحد الطلاب ـ على سبيل المثال ـ قد حاول الغش أثناء الامتحان فإن علي لن يحترمه (٩) والكرماء من الناس يُحْتَرَمُون أما البخلاء فلا احترام لهم (١٩) ويجب أن يظهر الآباء والأبناء الاحترام المتبادل لبعضهم البعض (٢٧). وإذا خرق الابن معياراً يحكم العلاقات ـ بينهم (مثل المعيار القائل بأن الابن يجب أن لا يتناول الدخان في حضرة والده) فالأب سيفسر ذلك كدليل على عدم الاحترام (٤٠). والرجل الامين عادة ما يحترم أما الخائن فلا يحترم (٨٤، ٨٥، ١١٥) ويجب أن تحترم العهود (٨٦، ١١٨) وهلمجرا. وإظهار الاحترام والامتناع عنه يمثلان إذن الطرق المقبولة للتعبير عن الاستحسان الأخلاقي وعدم الاستحسان الأخلاقي. ولا يعتبر المخبرون استثناءاً لهذه القاعدة (أنظر مثلاً ٩ ، ١٤٠، ٨٧، ١٤٢ الخ)

كما وأن إظهار الاحترام ليس هو فقط طريقة للتعبير عن استحسان المرء بل فيه ايعاز أو توجيه بأن الآخرين من الناس يجب أن يحترموا إلا إذا فعلوا فعلاً من شأنه أن يبرر للمرء علم إظهار الاحترام لهم (أنظر مثلاً ٢٨، ٥٠، ٩٥، ١١٥، ١٢٥) والمعيار الذي يوجب احترام الآخرين من الناس يمكن القول بأنه يؤسس كل المعايير التي تنظم علاقات التداخل بين الناس. ويوجد إيعاز أيضاً بأن الشخص يجب عليه أن يحفظ احترامه. واحترام المرء لنفسه هو أحد المقاصد الأخلاقية الكبرى بجانب الحفاظ على الشرف والكرامة وممارسة الشجاعة والكرم والأمانة وهلمجرا (٨٤، ٣٩، ١٤٦). وتنتمي فكرة احترام النفس إلى نفس مجموعة

العرض والشرف والكرامة بمعنى أنه توجد علاقات وثيقة بين هذه الأفكار وبمعنى أن احترام النفس لا يتبين دائماً بوضوح من هذه الأفكار المتقاربة (أنظر مثلاً ٨٠١، ١١٧، ١٢٠ ، ١٢٦).

وقد صاغ المخبرون آراءاً مختلفة نوعاً ما عن الأهمية النسبية لاحترام النفس. كتب ابراهيم أن احترام النفس يأتي قريباً من رأس قائمة الفضائل، وقد عبر عثمان عن رأيه في أن احترام النفس هو فضيلة صغرى بالنسبة له (١٤٦). أما على فقد كتب يقول بأن مركب احترام النفس ـ العرض ـ الكرامة، الذى أشار إليه بالشرف يتصدر وفقاً للرأى الشعبي كل الفضائل، ولم يتضح لنا بدقة ما إذا كان هو نفسه يتفق مع هذا الرأي. ولكى نكشف الحد الذي تعكس فيه هذه المباينات بين المخبرين اختلافات حقيقية والحد الذى تكونت فيه اختلافاتهم على المستوى اللفظي، فسوف أقوم أولاً بتحديد الماهية التي تبدو بها مكانة احترام النفس في الأخلاق الشعبية التقليدية وذلك وفقا لعرض المخبرين للأخلاق التقليدية ثم سأشرح كيف أن المخبرين كما يبدو ، قد بدلوا وغيروا في الآراء التقليدية لاحترام النفس.

ونظريتي هى أن الفكرة الشعبية لاحترام النفس تجمل وتلخص كل أخلاق الفضيلة الشعبية. لأنه لكى يحوز المرء على احترام النفس يجب عليه أن يطلب احترام الآخرين (١١٥، ١١٨، ١٤، ١٤٦)، ولكى يطلب احترام الآخرين يجب عليه أن يمتثل بدرجة عالية المعايير المقبولة فى المعتاد ولكى يحظي بأحترام نفسه يجب عليه أن يرتفع لمستوي مقاييسه الأخلاقية ، وفى المجتمع الممتثل (Conformist society) تكون مقاييس المرء الأخلاقية متطابقة إلى حد كبير مع المقاييس المقبولة عموماً. وباختصار فأن معنى احترام الانسان لنفسه هو أن يكون ـ فاضلاً أخلاقياً (Morally good) (١٠٢). وإذا صح هذا التفسير فأن فكرة احترام النفس تتصدر الصرح الفكرى لأخلاق الفضيلة الشعبية السودانية.

وإذا كانت فكرة احترام النفس قد درجت أن تستعمل بهذه الطريقة لتجمل كل الفضائل الشعبية فأن شعور المخبرين الإثنين اللذين هما أقل محافظة، بالتردد فى منح المكانة البارزة لاحترام النفس كما فعل ابراهيم، يكون متفهماً . ويمكن اعتبار إنزالهما لاحترام النفس من مرتبته العالية إلى مرتبة وضيعه في النسق بمثابة التعبير عن انحرافهما عن الآراء التقليدية.

فالفكرة التقليدية لاحترام النفس هي هكذا - سواء أكان لدى الشخص احتراماً لنفسه أم لا - تعتمد مطلقاً على معاملة الآخرين له. وتعتمد معاملة الآخرين له على كيفية معاملته لهم. ولكي يحظى المرء بأحترام النفس بالمعنى التقليدي يجب عليه أن يعامل الناس وفقاً لتوقعاتهم، فيجب عليه أن يمتثل المعايير المقبولة عموماً. واحترام النفس هو أمر يجب تنميته من خلال علاقات الشخص مع الآخرين عبر فترة من الزمان (١٤٦). ولكي يحترم المرء نفسه يجب عليه أن يبنى شبكة من الاحترام من جانب الآخرين. وفكرة احترام النفس التى تحظى بهذه المضامين تكون يسيرة القبول بالنسبة للفرد الممتثل وعظيم التقليدية - أما بالنسبة للشخص شديد الفردية (More individualistic) أي الذى ليس لديه استعداد لهذا القدر من الامتثال (conformity) فعليه إما أن يعيد صياغة فكرة احترام النفس أو سوى ذلك أن يوليها أهمية أقل مما يفعل الشخص التقليدى. وقد اختار هذا البديل الأخير على الأقل أحد المخبرين قليلي الارتباط بالتقليد (١٤٦).

وإذا كان احترام النفس يعتمد على الاحترام من جانب الغير وإذا كان الاحترام من جانب الغير يعتمد على امتثال المعايير المقبولة عموماً، فسوف يكون احترام النفس حينئذ أكثر عرضة للطعن والنقد مثلاً من الشرف والكرامة حيث تؤثر فيها أفعال اكثر محدودية فى مجالاتها ويمكن أن يؤدى الاعتداء على معيار مهم إلى فقدان احترام النفس. وهناك فقرات في المقابلات تردد فيها المخبرون أو رفضوا أن يقولوا بأن كرامتهم قد تتأثر ولكنهم أكدوا أن احترام الشخص لنفسه قد يتأثر أو أن الفعل المعنى سيؤدى إلى افتقاد الاحترام (٩، ١١٧).

ويوجد أيضاً عبارة تدل على أن كرامة الشخص قد تتأثر فى حين أن احترامه يبقى دون أن يتأثر ولكن يصعب قبول هذه العبارة كدليل قاطع على أن الكرامة في أنساق المخبرين الأخلاقية ليست مضمنة في احترام النفس، لأن أحد المخبرين قد أوضح مباشرة أن الناس أحياناً، وعلى وجه الاحتمال فى هذه الحالة مخطئين في آرائهم عن الكرامة. وهكذا تظل العلاقات بين الكرامة والشرف من جهة ، واحترام النفس من جهة أخرى ، عموماً غير واضحة تقريباً.

والمعلومات المتوفرة لدينا تبدو غير كافية لتقرير ما إذا كان عدم الوضوح هذا يعتمد على

عدم وضوح الأفكار في حد ذاتها (الغموض والتركيب المفتوح) أم على مجرد فجوات في المعلومات.

لقد لفتنا النظر في الباب السابق (فصل ٥) إلى حقيقة أن المرء ليس في وسعه أن يفعل أي شيء ليضيف به إلى كرامته وفقاً لأقوال المخبرين. وتعني محافظة الفرد على شرفه وكرامته الامتناع عن الأفعال الخاطئة أو الشائنة. وقد أكد أحد المخبرين أن نفس هذا الأمر ينطبق على احترام النفس (١٠٢) ولكن يبدو أن ذلك غير صحيح على وجه الدقة. إذا كان احترام النفس يعتمد على الاحترام من جانب الآخرين والاحترام من جانب الآخرين يكتسب بإمتثال المعايير المقبولة عموماً عن الكرم والضيافة وهلمجرا. (ولكن لا يلزم أن يكون المخبر مخطئاً. فربما يكون هناك اختلاف حقيقي بين فكرته عن احترام النفس وفكرة ابراهيم مثلاً). ولكن يصح ، كما يبدو أن نفترض أنه يوجد، على أقل تقدير، تأكيد على النواهي أكثر منه على الإيعازات والأوامر القطعية في أخلاق المخبرين أنفسهم كما هو الحال في الأخلاق الشعبية. ومعنى أن تكون فاضلاً أخلاقياً هو أصلاً، كما يبدو، أن تنتهي أي تمتنع عن الأفعال القبيحة (١٠٢).

٢ / ذاتية التحديد وغيرية التحديد :

إن النسق الأخلاقي الذي يؤكد أهمية الاحترام من جانب الآخرين من الناس هو بوضوح " غيري ـ التحديد " (other determined) بالمعنى الذي قدمنا به هذا المصطلح في الباب الرابع ، : فمكانة الفرد الأخلاقية تعتمد، إلى حد كبير ، على اعتقادات الآخرين من الناس ـ وأفعالهم واتجاهاتهم وهلمجرا. والقول بأن احترام النفس يلعب دوراً مهماً في الأخلاق الشعبية لا يمكن حمله على أنه يوضح وجود عنصر تحديد ذاتي في الأخلاق الشعبية، لأن احترام النفس في الأخلاق الشعبية، كما رأينا يعتمد مطلقاً على الاحترا من جانب الآخرين. فاذا صح أن احترام النفس يجمل الفضائل الأخلاقية كلها، كما طرحنا عاليه، فأن الأخلاق الشعبية حينئذ تكون مطلقا غيرية ـ التحديد. وبصرف النظر عما إذا كان هذا الافتراض القوي يمكن التحقق منه أم لا، فلا جدال حول وجود نزوع قوي لغيرية ـ التحديد، في الأخلاق الشعبية، كما عرضها المخبرون. فافتقاد المرء لعرضه على سبيل المثال، يعني افتقاده لسمعته

(٤٢) وإذا افتقد أحد كرامته فإنه سيشعر بالعار (١١٦). فيوجد هنا عنصر قوى للظهور أو المباهاة فى تصورات الشجاعة والكرم والضيافة. فيجب على الرجل بصفة خاصة أن يثير إعجاب الفتيات بمقدرته على احتمال الألم الخ (الباب ٢٧، فصل ١). وإذا أثبت الرجل أنه جبان فإن الفتيات سوف يقمن بتعييره بالأغاني وسوف "يعيش فى العار إلى الأبد (ابراهيم). وينال الضيوف التقدير والشرف أحياناً مخافة من إشانة السمعة : "هل تريد إن تفادى العار وبناء أو إرساء دعائم السمعة الحسنة هى دوافع عامة لممارسة الشجاعة والكرم والضيافة وهلمجرا (٧٢، ٨٧، ٨٩، ١٤٤). ويظهر بوضوح أن الأخلاق الشعبية السودانية عَاريَّة التوجه (shame - oriented) (٢)*.

وقد عارض اثنان من المخبرين، على الأقل هذه الصفة للأخلاق الشعبية - قال علي " ان الرجل الذى يتبع مبادئه ويدافع عنها دون النظر إلى استهجان الناس هو رجل شجاع وأكد على أهمية الدوافع الحسنة بالنسبة لأفعال المرء : إن الخوف من العار والرغبة الحسنة فى بناء السمعة ليست دوافع حسنة (على) .

والمسألة الحاسمة التى تميز بوضوح بين تحديد الغير والتحديد الذاتى تكمن فيما إذا كان هناك فارق بين أداء الفرد علنا أو سراً بالنسبة لأخلاقية الفعل (morality of the act) إن قصة خاتم جيجي(Gygei's ring) فى جمهورية أفلاطون هى المكان الطبيعى والأمثل (Locus classicus). لاستعمال هذه الوسيلة . قال على مشيراً إلى تعاليم الإسلام (٣)*، إنه يفضل أن يعطى الصدقات سراً (٨٨).

وبالمثل قال عثمان مشيراً إلى تعاليم الإسلام أن الشخص المضياف لأنه فقط لا يريد أن يكتسب سمعة سيئة، ليس شخصاً كريماً على الإطلاق (١٤٤)، على الرغم من التسليم بأن هذا أساس عام لإظهار الضيافة والفضائل الأخرى (إن الرجل الكريم يريد السمعة الحسنة فى المقام الأول) هكذا كتب عثمان . ولكن فى رأيه الخاص "يجب على المرء أن لا ينشد السمعة من جانب الآخرين " (١٤٤) ومع ذلك لم يقم المخبرون من أى جهة بإنكار غيرية التحديد جملة. فقد أكدوا أهمية الأفكار غيرية التحديد فى العرض والشرف والكرامة على

سبيل المثال، واتفقوا على أهمية الاحترام من جانب الآخرين حتى يواصل المرء سيره في الحياة (أنظر مثلاً ١١٧). ويبدوا أن هناك تناقضاً في أخلاق المخبرين بين العناصر ذاتية التحديد المقتبسة من الإسلام والعناصر غيرية التحديد المقتبسة من الأخلاق الشعبية، وأفضل ما يمثل خليط العناصر غيرية التحديد وذاتية التحديد في أخلاقهم يمكن أن توجد في نقاش عليُّ حول القيمة النسبية للأفعال التي تُؤدَى في السر وتلك التي تؤدى في العلن. فبعد دفاعه عن رأيه في أفضلية إعطاء الصدقة سراً بالإشارة إلى تعاليم الإسلام، مضى مباشرة ليقول إن الإفطار في العلن هو أقبح من الإفطار في السر لأنه يجب أن لا تجاهر أو تظهر معصيتك لله علناً " ، " تماماً كما أن البلد لا يريد أن يظهر ما هو سيء فيه للعالم الخارجي " (٨٩) ، وهو بوضوح شيء من الجدل غيري التحديد.

وتوجد قضيتان أدتا إلى نقاش كثير في فلسفة الأخلاق المتأخرة تصلحان للتفرقة بين التحديد الذاتي وتحديد الغير وهما : العهود السريه (secret promises) وامكانية وجود الأخلاق لدي شخص علي شاكلة ربنسون كروزو ـ (Robinsons crusoe) يعيش في جزيرة منعزلة. فإذا أعطى أحد عهداً لرجل في فراش الموت ولم يكن هناك أي شهود فسوف يكون من المتناقض بالنسبة لشخص غيري التحديد بصورة واضحة، أن يحفظ العهد، إذا لم يكن راغباً في ذلك، علماً بأنه لا توجد فرصة لأحد أن يكتشف أن عهداً من هذا القبيل قد أبرم. وقد ذكر المخبرون في أحد المقابلات المشتركة أن هذه العهود جد محترمة في السودان واتفقوا على أنه من الصحيح أن تحفظ مثل هذه العهود على الرغم من التسليم بأنه ليس كل انسان يمكنه أن يلتزم الطريق المستقيم (٨٦). أما السؤال عما إذا كان لدى الشخص المنعزل في جزيرة أخلاق فقد وضعناه لواحد فقط من المخبرين (علي) وأجاب بالنفي بحجة أن " الأخلاق " إنما تتناول العلاقات بين الناس " ولذلك فإن علاقات الإنسان مع الله والحيوان تقع خارج أي إطار أخلاقي. ولكن بعد تأمل أدلى على برأيه وقال أن الانسان المنفرد على جزيرة قد يكون أيضاً سيئاً أخلاقياً (٩٣ ـ ٩٤). فكلتا القضيتين ـ الاختياريتين تبرز دليلاً لوجود الصفات ذاتية التحديد (self - determined) في أخلاق الفضيلة لدى المخبرين.

وملخص ذلك هو أنه يبدو أن هناك تناقضاً بين العناص غيرية التحديد وذاتية التحديد في أخلاق المخبرين. وهذا التناقض هو مصدر محتمل للتوتر. (tension) ولا بد أن تطرأ مواقف يجد المرء فيها أنه يتحتم عليه أن يرجح اعتبارات امتثال الأخلاق غيرية التحديد، المقبولة عموماً، على اعتبارات متابعة الأخلاق ذاتية التحديد والتي يظهر أنها مقتبسة من التعاليم الدينية (راجع النقاش حول الرياء أو التظاهر (pretending) في (١٠١ . لقد وجد المخبر أنه من الصعب عليه أن يقرر ما إذا كان يمكن للشخص أن يكون مرائياً أحياناً حتى لا يخذل أسرته.

٣ / الامتثال و التسامح (Conformity and tolerance)

لقد ميز بك (Peck) وهافغيرست (Havighurst) خمسة أنواع للشخصية الأخلاقية:

١ / النوع فاسد الأخلاق الذي لا يبطن أي مبادىء أخلاقية ويتابع أهواءه وميوله ولا يبدي أي دلالات للمسئولية.

٢ / النوع الانتهازي الذي هو أساساً أناني (self- centered) ويراعي خير الآخرين وردود أفعالهم فقط لأجل أن يتوصل إلى غاياته الشخصية.

٣ / النوع الامتثالي الذي يريد فوق كل شيء أن يمتثل لمقاييس السلوك المقبولة ويشعر بالعار إذا وجده الآخرون منتهكاً لحرمة المعايير.

٤ / النوع الغبي ذي الضمير الذي يفعل وفقاً للمبادىء التي يضمرها دون اعتبار لما إذا كان الناس من حوله يقبلون أم لا.

٥ / النوع العاقل المتجرد المؤثر (The rational altrustic) الذي يُقيِّم بموضوعية عواقب أو نتائج الفعل في الموقف الماثل ويوافق عليها أو يستحسنها في ضوء ما إذا كانت تفيد الآخرين ونفسه بالمثل أم لا (٤)* ويجد الباحث من خلال المقابلات انطباع قوي بأن المخبرين يجمعون صفات من النوع الثالث والخامس ويظهر أنهم يقبلون أخلاق بيئتهم بدرجة عالية. فلم يخرج أحد منهم كما يبدو بصورة كاملة على أخلاق أقربائهم وهم أقل تعليماً منهم. وتعني التغييرات في النسق بالتفصيلات أكثر منها بالصفات عميقة الجذور. وقد كانوا

على استعداد أحياناً أن يقبلوا معايير أخلاقية لغير سبب سوى أنها مقبولة عموماً. كما وأنهم كان لديهم حساسية من عقوبات العار والاحترام ورغبة ملحة في الامتثال بدرجة عالية لسايرة الحياة (مثلاً ٢٣، ٢٥، ١١٩، ١٢٩ ، ١٥٤). ولكن لم يكن لديهم استعداد لتقبل كل المعايير وأنماط السلوك المعتادة. وهناك سببان لذلك ـ أحدهما هو التقصي العاقل (rational scrutiny) لآثار امتثال المعايير والذي يمكن إدراكه بالفعل في تأكيدهم مثلا على مقياس معقولية الشجاعة وفي نقدهم لمظاهر الكرم والضيافة المعتادة. والسبب الثاني لرفضهم لمعايير معينة مقبولة عموماً هو تناقض هذه المعايير مع التعاليم الدينية. وكما يبدو فإن ثاني هذه الأسباب هو أكثر أهمية بالنسبة للمخبرين فنقدهم للأخلاق الشعبية كما يبدو ليس مؤسساً بعامة على اعتبارات عقلانية إيثاريه (rational altrustic consideration) بقدر ما هو على عدم ملائمة الأخلاق الشعبية مع الإسلام. ويبدو أن المخبرين قد كانوا تحت تأثير نسقين أخلاقيين متناقضين ـ الأخلاق الشعبيه وأخلاق الإسلام كما قدمها لهم أساتذتهم الدينيين في مدارس الخلاوي، واختيارهم للمعايير في الحالات التي تحدث فيها التناقضات عموماً إنما هو مؤسس ـ كما يبدو على الاعتبارات العقلية منه على الاهمية النسبية للشخصيات التي قابلوها.

ولذلك فانطباعي هو أن المخبرين يغلب عليهم الامتثال. وهذا بالطبع ما يمكن توقعه من أفراد تعتبر أخلاقهم غيرية التحديد بدرجة قوية. فالأخلاق غيرية التحديد التي تعتمد على العقوبات (sanctions) مثل العار والتعيير أو التشهير والسمعة أكثر منها على الذنب إنما تستلزم درجة عالية من المعايير المشتركة في المجتمع. (وهذه النقطة قد تولدت عن حقيقة أن كرامة الشخص واحترامه ـ وهما بوضوح غيريتا ـ التحديد ـ لا يمكن أن تتأثرا بالكيفية التي يعامله بها الأجانب الذين لا يفترض أن يشاركوه في معاييره الأخلاقية أو يدركوها (٦).

فالأخلاق التي تعتمد بصفة رئيسية أو شاملة على ردود أفعال الأخرين تجاه أفعال الشخص لا يمكن أن تؤدي وظيفتها بصورة صائبة في مجتمع تعددي أو متنوع لأنه بكل بساطة سوف لا توجد ردود أفعال مطردة (uniform reaction) .

ولا يتوقع المرء في المجتمع الأخلاقي الذي يحوي أفراداً ممتثلين لهم معاييرهم المشتركة، درجة عالية من التسامح تجاه السلوك المنحرف. وآراء المخبرين عن العقاب ترشدنا لذلك. فقد كان كل من علي وعثمان يؤيد عقوبة الاعدام وهي جزء من النظام القضائي في السودان بالنسبة لقضايا القتل والخيانة العظمى أيضاً تقريباً. ولم يقبل علي الرأي الإسلامي بأن حكم الاعدام له ما يبرره في حالة الزنا في حين أن عثمان وجد أنه من الصعب أن يقول بفكرة تناقض أحد تعاليم الإسلام. ولكنه (أي عثمان) دافع عن الجلد والضرب كوسائل تهذيبية تأديبية (punitive measures) . ويبدو أن علي يتفق معه مع بعض التحفظات وكلاهما يعتقد أن الزوج محق في ضرب زوجته في نهاية المطاف إذا ارتكبت خطأ، فيجب على الزوج أن يتوقف عن الحديث معها ثم لا يضاجعها في السرير ثم يضربها إذا لم يكن هناك علاج خلاف ذلك. ولكن ليس لديهم استعداد لقبول التعذيب كنوع أو شكل من أشكال العقوبة. فآراؤهما عن العقاب أفضت اذن للدفاع عن الوضع الراهن، كما هو دون تغيير.

٤ / الاتجاه الداخلي و الاتجاه الخارجي :

إن أخلاق الفضيلة التي أنبثقت عن هذه المقابلات هي بوضوح خارجية الاتجاه. فمظاهر الصفة التي ذكرت فيما يتصل بالتصورات الشعبية ما هي إلا أفعال جهرية ظاهرة (overt actions) أما الدوافع والمقاصد والمشاعر والميول والاتجاهات فليس لها أهمية ما دام سلوك المرء الخارجي - (الظاهر) يوافق التوقعات . والمثال التالي خير إيضاح لهذه النقطة:

"أعرف أن كثير من الناس عندما يحضر الضيوف لزيارتهم فأنهم يستقبلوهم ولا يفرحوا بذلك. ولا يسرون ولكن لا يمكنهم طرد الضيوف ... فهم يخافون من الرأي العام" (٧٢، ٢، ٤٦).

والسلوك الامتثالي (conforming behaviour) مستحسن عموماً بغض النظر عن الدوافع من ورائه. وقد أيد عثمان هذه الفكرة بقوله إن المرء لا يمكنه أن يعرف ما يضمره الناس : إن الناس يحكمون دائماً على سلوك الناس مما يظهر لهم (٧٢) ولا يمكن أن تكتشف ماذا يجري في عقول الناس. فاذا ظهروا بالضبط أنهم هكذا نأخذهم على أنهم

كذلك (١٤٣، راجع ٢، ٢٠، ٧٢).

وحتى إذا أذيع أن الشخص يسلك بطريقة مناقضة للاعتقادات التي يقرها، إذا أذيع مثلا - أن مسلماً يشرب الخمر ويمارس الدعارة فأن المخبر كان مستعداً أن يظهر حسن الظن - أي يحسن الظن بالرجل أحرى منه بالإشاعة : " أه ربما تكون مخطئاً قد أزريت شخصاً آخر" (١٤٣).

ولكن يوجد أيضاً توتر داخلي الاتجاه فى أخلاق المخبرين. فقد أكد على وعثمان بالإشارة إلى الإسلام، على أهمية الدوافع الحسنة أو النبيلة بالنسبة لأفعال المرء (٨٧، ١٠١، ١٤٤). فالبحث عن السمعة والاندفاع وراء اعتبارات المركز والرأى ليست جيدة التكامل مع بقية أخلاق المخبرين كما يبين ذلك تردد عثمان فى تطبيق مقياس حسن الدافع (good - motive crierion) عملياً. وهذه الملاحظة تنطبق على دور الدين في أخلاق المخبرين فقد كان المخبرين الثلاثة الرئيسيين تحت تأثير قديم من أساتذة الدين وكثيراً ما يشيرون بوضوح إلى تعاليم القرآن والسنه. ولكن بأستثناء الحالات التى ترتبط فيها التعاليم الدينيه بالأخلاق الشعبية كما في نقد الكرم والشجاعة - فأن تأثير الإسلام لم يؤد علي ما يبدو ، إلى مراجعة شاملة للأخلاق الشعبية ذات الاتجاه الخارجي والأخلاق الشعبية غيرية التحديد.

وأحد الطرق لتفادى المجابهة المباشرة أو السافرة بين النسقين المتناقضين جزئياً فى الأخلاق الشعبية والأخلاق الدينية - إذا سلمنا بأن فرضية وجود هذا التناقض بينها صحيحة، هى أن نقيم تمييزاً دقيقاً بين الأخلاق العامة (public ethics) والأخلاق الخاصة (private ethics) وأن نعتبر المسائل الدينية كمسائل شخصية صارمة -strictly per) sonal). وهذا الاتجاه يلاحظ على وجه الخصوص فى أيدلوجية على. فقد وضع على حقيقة تميزاً دقيقاً بين الواجبات الأخلاقية والواجبات الدينية مثل الصوم والحج فهى مسائل خاصة تهم فقط الفرد نفسه وربه (٩١ - ٩٤) وبعد تأمل كان مستعداً للتسليم بأن التعريف الواسع للأخلاق الذي يسمح أيضاً ، باعتبارات المسائل الدينية ومعاملة الحيوان وواجبات الانسان تجاه نفسه، سيكون أفضل (من غيره). (٩٤) ولكن كان هذا التسليم خطوة نحو التكامل

(integration) الذى لم يكن يتصوره من قبل.

٥ / ملاحظات ختامية حول أخلاق الفضيلة لدى المخبرين :

ولكى اختتم تحليل أخلاق الفضيلة لدى المخبرين، فسوف أشخصها بالنظر إلى ستة عوامل عامة :

١- تحديد الغير مقابل التحديد الذاتي.

إن أنساق الفضيلة لديهم هى بصفة رئيسية غيرية التحديد مع وجود آثار للتحديد الذاتي.

٢- الاتجاه الخارجي مقابل الاتجاه الداخلي (outward orientation V. inward - orientation) : إن أنساق الفضائل لديهم هى بصفة رئيسية أو غالباً خارجية الاتجاه مع وجود آثار للاتجاه الداخلي.

٣- الاتساق : (Consistency)

إن أنساقهم كما تبدو ذات درجة عالية من الاتساق الداخلي ، فليس هناك تناقض مباشر أو سافر في آراء نفس المخبر ولكن هذا الانطباع ربما يعزى جزئياً على الأقل إلى عدم الوضوح الذى كثيراً ما يوجد متصلا بماهية العلاقات المحكمة التى توجد بين الأفكار المختلفة التي تشكل مع بعضها البعض أخلاق الفضيلة لدى المخبر. وهناك أيضاً توترات بين العناصر داخلية الاتجاه وخارجية الاتجاه، وبين العناصر غيرية التحديد وذاتية التحديد التى لم تتكامل بعد بصفة كلية.

٤ - الثبات : (Stability)

اتسمت آراء المخبرين كما يبدو بدرجة عالية من الثبات والاستقرار أثناء المقابلات (التى استمرت لأكثر من ثلاثة أشهر إذا أضفنا إلى ذلك المقابلات التي لم تكن مسجلة على الشريط فى البداية).

٥ - الشمول : (Comprehensiveness)

والأنساق المعنية ذات درجة عالية من الشمول بمعنى أنها يمكن أن تناسب بكل سهولة

بقية الفضائل الأخرى بجانب تلك الفضائل الأساسية التي كانت موضوع البحث الرئيسي.

(وهناك بعض الأمثلة التي توضح هذه النقطة في المقابلات التي أجريناها " الامانة التعاون (٩٩)، قوة الشخصية (١٠٠) والصبر (١٠٣) ويمكن القول بأنها متضمنة في الفضائل الأخرى وبالطبع فأحترام النفس يتصف بمرونة خاصة في هذه الناحية.

٦ - الامتثال (conformity)

وقد أظهر المخبرون الرغبة في امتثال المقاييس السائدة بدرجة عالية. ويقابل ميولهم الامتثالية، إلى حد ما ميول عقلانية إيثارية (rational altrustic tendency) ، ولكن كان السبب في معظم الحالات التي أثبتوا فيها عدم رغبتهم في الامتثال للمقاييس السائدة هو أنهم اعتمدوا مجموعة أخري من المقاييس - المقتبسة من الدين - بأعتبارها أكثر صرامة.

مفارقات (Variations) في النسق نفسه يمكننا أن نقول بصفة محكمة أن النسق الأخلاقي موضوع هذا الكتاب هو بصفة غالبة غيرى التحديد وخارجي الاتجاه وذو اتساق داخلي وهو نسق شامل (Comprehensive) متمركز حول أفكار الشجاعة والكرم والشرف والكرامة واحترام النفس.

الباب العاشر

مسائل أخرى مساعدة

(Further Problems)

١ / المسائل المورفولوجية و الوظيفية :

إن مقصود الدراسة الاستكشافية هو أن ترفع إشكالات ومسائل أكثر من أن تحلها. وهذه الدراسة ليست استثناءاً لهذه القاعدة. فقد برزت من خلال المقابلات والمقالات تصورات المخبرين للشجاعة الكرم والكرامة وهلمجرا، ولكن بقيت عدة أسئلة رهن الإجابة وتعتمد درجة الرضى بهذا العرض الحالى لأخلاق المخبرين على ماهية اهتمامات الباحث والأهداف التي يحملها في عقله. وربما تكون درجة الدقة والخصوصية في تحليلنا تناسب تماماً بعض الأغراض العملية - كمقدمة مثلاً لأحد الأوجه المهمة للعقلية السودانية بالنسبة للأجانب الذين يأتون للقاء السودانيين ، بأعتبار أن التحليل الذى قدمناه يمثل آراءاً واسعة الانتشار، لوجود أسباب تجعلنا نعتقد أنه كذلك (الفصل القادم). ويمكن أن يفكر المرء أيضاً فى قرائن ربما تكون فيها هذه الدراسة فائقة في دقتها ولا بد من تعميمها على الجمهور لتناسب الأهداف التى يحملها فى عقله . ولكن من وجهة نظر اختصاصى الأيديولوجية الذى يهدف إلى إعطاء صورة مفصلة لأيديولوجية ما، فإن كثيرا من المسائل المهمة إنما تنتظر البحث.

وقد كان أحد الاهداف الرئيسية للجزء الأول من هذه الدراسة هو إثبات الحاجة للفحص المفصل جداً فى البحث الأيديولوجي - فالأنساق الأيديولوجية عادة ليست مثل الأنساق الاستنباطية (deductive systems) ، التى يمكن فيها إعطاء تحديد كامل للنسق فى أسطر قليلة، بتعدد البديهيات (axioms) والقواعد (rules) التى تحكم إنشاء الصيغ (formulae) واستنباط صيغ من صيغ أخرى. فالأنساق الأيديولوجية ، كما قلنا من قبل ، يجب أن تدرس بوصفها كليات (as wholes). فالإفتاء هو جزء ضرورى فى الأخلاق لأن القواعد العامة (general rules) تصبح محددة فى معناها بحدود القضايا التى تندرج

تحت القواعد (rules) وهنا ينهار التصور الاستنباطي الصوري الأخلاقي (deductive ideal) ويجب أن يستبدل بالمنهج التجزيئي (particularistic approach) (الباب الثاني) فيريد الاختصاصي إذن أن تكون لديه مواصفات كاملة لأبعاد تطبيق أفكار المخبرين في الشجاعة والكرم والضيافة والشرف ، وهلمجرا. وربما يمكنه ذلك أيضاً من أن يقدم دراسة أكثر دقة للعلاقات التي بين الفضائل الخاصة التي تظل غير واضحة أو غامضة في عدة أوجه. وإذا أخذنا مثالاً واحداً لذلك نجد أن العلاقات التي بين الفضائل مثل الشجاعة والكرم والضيافة من جهة والشرف من الجهة الأخرى لا تظهر مثلا بصورة تامة الوضوح من خلال المعلومات المعطاة، وإذا أخذنا مثالاً آخر نجد أن الفرضيات التي تتناول العلاقات القائمة بين العرض والشرف والكرامة واحترام النفس ، تظل في حاجة لمزيد من الاختبار. وقد يعزى هذا الغموض إلى غموض في أنساق الفضيلة التي لدى المخبرين ، وربما يعزى إلى حقيقة عدم كفاية المعلومات المتوفرة لإعطاء دراسة أكثر دقة ، وربما يكون ذلك نتيجة لأخطاء في التحليل المعطى. ولا يمكن تقرير صحة أي من هذه الخيارات إلا فقط بمزيد من البحث والتحري.

وعدا هذه الفجوات المتعلقة بهذه التفاصيل فإن موضوع أخلاق المخبرين غير كامل من وجوه أخرى. وهذه الدراسة لم تهدف إلى تقديم صورة كاملة لكل أخلاق الفضيلة لدى المخبرين. فقد ركزنا فيها فقط على بعض الأوجه البارزة (prominent aspects) لأخلاق الفضيلة عندهم أي أكثر الفضائل العامة أهمية والتي يجب أن يتصف بها الرجل السوداني الفاضل طبقاً لأقوال المخبرين. وقد تطرقنا باختصار شديد لبعض الفضائل الأخرى مثل التعاون، قوة الشخصية والصبر. وبلا شك فقد تناسينا الفضائل الأخرى ذات الأهمية الهامشية وتنطبق فضائل الشجاعة والكرم واحترام النفس في الأصل على الرجال بصفة رئيسية (٢، ١٥٢) ـ ولا يوجد كبير شيء عن الفضائل المتوقعة لدى النساء في المعلومات التي جمعناها.

كما ولم تبذل محاولة لاستكشاف تفصيلي لتلك الفضائل التي ترتبط بأدوار ومواقف اجتماعية معينة. وقد اقتضت المتطلبات المنهجية التي رسمناها في الجزء الأول أن يكون من

المناسب والسديد أن نقوم بتحريات أو دراسات مفصلة نسبياً لمواضع قليلة في أخلاق المخبرين لا أن نغطي بالبحث مساحة كبيرة بأسلوب أقل تركيزاً. وينتظر أن يقدم البحث في المستقبل صورة أكثر تفصيلاً وسعة لأخلاق الفضيلة لدى السودانيين وأن يربط هذه الجزئية من الأيديولوجية ببقية نسق المعتقدات والمعايير والقيم.

ويوجد عدا هذه المسائل المورفولوجية مجموعة أخرى تتناول الأخلاق المحللة (analysed ethics) التي لم تستكشف أصلاً أي تلك المسائل التي تتناول العلاقات بين الأنساق الأخلاقية وأنساق النفس والسلوك وهذه الدراسات بما فيها دراسات الفعالية العملية - للتصورات موضوع الدراسة تحتاج إلى إصلاحات فنية مختلفة تماماً عن تلك التي استخدمت في البحث الراهن.

٢ / مسألة التمثيل :

ربما يكون تحليل قليل من أخلاق المخبرين ذا أهمية بالنسبة للباحث الأختصاصي، ولكن هل لذلك أي أهمية عامة ؟ والإجابة على ذلك بنعم.. شريطة أن يكون المخبرون ممثلين لوجهات نظر واسعة الانتشار لأن الإدراك الدقيق لسلوك الناس يقتضي عادة الدراية بالمعايير التي تحكم تعاملهم وينطبق هذا خصوصاً على المواقف التي ينطلق فيها المرء قاصداً أن يقدم تغييراً في البرامج التربوية والتنموية.

إن جمهورية السودان هي مجتمع تعددي ويتوقع الباحث قدراً كبيراً من التنوع في الرؤى الأخلاقية (ethical outlooks) وبعبارة أدق فلسنا نحن بعد في موقف يجعلنا نجيب على سؤال عما إذا كان المخبرين الثلاثة ممثلين لآراء واسعة الإنتشار أم لا. ولكن فرضيتي هي أنهم ممثلون بدرجة عالية لمجموعة أخلاقية كبيرة في شمال السودان، الذي تحتاج حدوده الدقيقة للتحري. ورهنا بنتائج هذا النوع من الدراسات المستقبلية فإنه يمكننا تأييد فرضيتنا فقط بالإشارة إلى المعلومات النوعية ذات الطبيعة غير المرتبة تقريباً. وقد عبر المراقبون من ذوي العلم والدراية مثل ترمنقهام (Trimingham) وسعد الدين فوزي عن فرضيات مشابهة (أنظر مصادر الباب ٦ فصل ١). ويبدو أن الملاحظات المتفرقة عن المسائل الأخلاقية تدل

على درجة عالية من الاطراد في الرؤية الأخلاقية كما وأن ملاحظاتي الشخصية أثناء وجودي لبعض السنوات في السودان تشير إلى نفس هذا الاتجاه. والآراء المطابقة أو المشابهة لآراء المخبرين الثلاثة الرئيسية حول الشرف والكرامة واحترام النفس، مثلاً قد عبر عنها عدد كبير من الطلاب. وأعتقد أن سلسلة الاقتباسات التي أخذناها من مقالات الطلاب حول هذه الموضوعات سوف تساعد في إضفاء شيء من الصحة على فرضية الاطراد. على الرغم من أنها سوف لن تثبتها :

أ / لقد تناول ثمانية من طلاب المرحلة العليا في الفلسفة، ولهم أسماء عربية ولذلك فمن المسلم به أنهم من الجزء الشمالي للبلاد، تناولوا الكتابة عن الفضائل السودانية التقليدية قبل عدة سنوات مضت، وقد كتب كلهم عن الشجاعة والكرم والضيافة. وقد اهتم خمسة منهم بالكرامة والشرف وخمسة بأحترام النفس واحترام الآخرين، وأربعة بالعفة (temperance) والحشمة (modesty) وضبط النفس، كما كتب أربعة منهم عن الأمانة والصدق والثقة المتبادلة، وتناول اثنان منهم المساواة والعدالة (equality - justice) والفضائل الباقية الوحيدة التي أشير إليها هي الصداقة (friendship) وقد كتب طالب واحد عنها والمعاونة وتناولها أيضاً طالب واحد فقط.

وفيما يلي اليك مقتطفات من مقالاتهم :

الطالب ١ :

إن الفضائل التقليدية مثل الشجاعة والكرم والضيافة والأمانة والكرم هي الأكثر أهمية ... ومسألة الشجاعة بالنسبة للبجة هي من الأهمية بحيث أنها تقارب الطيش والتهور ... فكل واحد منهم مدرك أنه إذا أظهر خوفه بتردده في أي مناسبة فأن ذلك سيجلب العار لفرع القبيلة التي ينتمي إليها. وفضيلة الكرامة هي بدورها أيضاً أحد أكثر الفضائل أهمية. وأعني بالكرامة تلك الصفة الأخلاقية التي تجعلك ترد على أي فعل يظهر بطريق أو آخر أنك قد أهنت أو أسيء اليك. وهذه الصفة الأخلاقية مبالغ فيها إلى حد ما بين البجه فإذا حاولت أن تسخر من أو تسيء إلى أي أحد فسوف يحاول أن ينتقم منك وبأي وسيلة لأنه سيقول بأن

كرامته قد جرحت. وليس بالضرورة أن يكون قد أسيء إليه أمام الآخرين لأنه في كل الأحوال سينفعل معادياً لأسلوبك ويصل هذا المرض درجة مبالغاً فيها إذا أسيء لأحد أمام امرأة. إذ سينتفي حينئذ أي مجال لنقاش أو اعتبار لمصلحتك وفي بعض الأحيان يصل الحال به إلى درجة قتلك... ويمكننا القول بأن بعض الناس من السودانيين ينظرون إلى فضائل الضيافة والكرم بمثابة رموز للهيبة والعزة الاجتماعية (social prestige) في حين أن آخرين منهم يعتبرون أنه من العار أن لا ترحب بضيوف الطريق من المسافرين أو أن لا تساعد المحتاجين.

الطالب ٢ :

إن الفضائل التقليدية تشمل الكرم والشجاعة والكرامة والحشمة ويليها كثير من الأخريات من الفضائل. وأول الفضائل وأكثرها أهمية هي الكرم. فكل انسان مستعد لتقديم الطعام والمأوى للضيوف من المسافرين... وقد كان الناس يتنافسون ويتبارون مع بعضهم البعض، كل واحد منهم يحاول أن يجعل من نفسه أكثر كرماً من الآخرين ... والشجاعة محببة وتمارس بدرجة تفوق الاعتقاد ، وتظهر لنا مناسبات الزواج مثالاً لما يفعله الشباب من الرجال لاثبات شجاعتهم. وفي هذه المواقف عادة ما نجد أن أولئك الذين لديهم شجاعة يتوجب عليهم أن "يباطنوا" بعضهم البعض بعنف وقسوة على ظهورهم العارية عند ما تغني الفتيات. وليس هناك تبرير لهذا الفعل الغريب سوى أنهم يريدون اثبات مقدرتهم على التحمل ومن ثم يبرهنون على شجاعتهم. وهناك فضيلة تقليدية أخرى وهي الكرامة ومن المهم جداً أن نلاحظ أن هذه الكرامة تقترن دائماً بصفة أخرى قريبة منها وهي الحشمة، ويلاحظ دائماً أن الشخص المحتشم هو أيضاً ذو كرامة عالية، كما يحمل احتراماً عظيماً للآخرين الذين بدورهم يبادلونه نفس الاحترام... وعموماً لما كان كل إنسان يحترم نفسه، يجب على الآخرين أن يحترموه أيضاً.

الطالب ٣ :

إن الشرف كلمة واسعة جداً يتمسك بها أهلنا وهي ربما تعني السلوك الحسن والفاضل

لحريمك (نسائك) وربما تعني احترام النفس أو الكرامة. والسودانيون عموماً هم حساسون جداً لأى شيء يمس نساءهم والحديث اليومي تقريباً هو أن نسمع أن أحدهم قتل الآخر بسبب اتهامه بعلاقة بينه وبين إحدى قريباته. ويريد الناس فى السودان أن يكونوا مكرمين في كل الأحيان وبالتأكيد فهم يحترمون الآخرين لكي يحترمهم الآخرون. وبعضهم يرون أن أولئك الذين يكثرون من الضحك ليس لديهم على الأقل كرامة لأنهم جعلوا أنفسهم أطفالاً.

الطالب ٤ :

إن أكثر الفضائل الملفتة للأنظار، هى فضيلة احترام النفس. فالناس لهم عزة طبيعية، وهم بالطبيعة يحتقرون - ويستنكرون الوضاعة (humilation) . فهم أناس طيبون لكنهم لا يعرفون أى نوع من العفو أو التسامح حينما تجرح عزتهم وشرفهم ... والفضيلة الأخرى التى يمكن ملاحظتها هى فضيلة الصداقة. وهى تعزى إلى حقيقة أن لديهم احتراماً لأنفسهم. فإذا احترمت نفسك يجب عليك أن تحترم الآخرين وهم كذلك بدورهم سوف يحترمونك. فهذا يوضح لماذا أن الناس متحابين ولكن ليس الاحترام وحده فحسب، بل يجب أن تخلص لهم وتثق بهم حتى تكون هناك ثقة متبادلة بين كل منكم، وهذا يقود إلى فضيلة الإخلاص (faithfulness) ... والشرف .. . هو صفة لأسرة كلا من الاحترام واحترام النفس - والناس شديدي الحساسية في المسائل المتعلقة بشرفهم كأزواج أو آباء أو أخوة. وأى نوع من التضحية لا يسوى شيئاً بالنسبة لهم حينما يُنال من شرفهم - وهذا أيضاً علامة للشجاعة.

ب / إن أراء الطلاب الآخرين عن الشرف والكرامة تتفق جيداً مع الآراء التي طرحت فى المقابلات. وقد أكد كثير من الطلاب صعوبة التمييز بين الشرف والكرامة مع وجود شيء من الاختلاف بينهما. أما العلاقة بين الاحترام واحترام النفس فقد كانت كثيراً ما توضح. أما الصفة السلبية الغالبة أو الرئيسية بالنسبة للشرف والكرامة فهى تظهر بوضوح : فالشرف والكرامة يجب صونهما وهما يتأثران بصفة رئيسية بارتكاب الأفعال الخاطئة. ولكن يجدر بنا أن نلاحظ أن الشرف على الأقل ليس سلبياً بصورة مطلقة : فالمرء يمكنه أن يضيف إلى شرفه وذلك بالقيام بأداء الأفعال الحسنة الفاضلة. ويظهر لنا هنا التحديد الغيرى بالنسبة

للشرف والكرامة بصورة جلية، كما وأن أمثلة الأفعال التي يمكن أن تؤثر في الشرف والكرامة توضح ميولاً معروفة جداً لمن يطالع المقابلات وفيما يلي بعض الاقتباسات منها :

الطالب ٥ (فتاة) :

يجد المرء بصفة عامة أنه من الصعب جداً عليه أن يميز بين الشرف والكرامة ... في الحقيقة أن الشرف يهتم أو يتعلق بالسمعة والتعامل ... يعتقد بعض الناس أن الشرف يتصل بتاريخ الأسرة ومعنى أن تكون شريفاً هو أن تكون سليل أسرة نبيلة، ولكن المسألة في الحقيقة هي أنه لكي يكون المرء شريفاً يجب عليه أن يضع اعتباراً لسلوكه هو نفسه وليس سلوك أجداده فالرجل الشريف دائماً يختار الطريق الواضح والبسيط لأن أفعاله دائماً صحيحة ومقبولة ... ويُعنى بالكرامة ادعاءً بالاحترام والأهمية. وبعض الناس يعتقدون أنها كرامة بالنسبة لهم حينما، يطرحوا أراءهم ويحصلوا على ما يريدون من غير أن يعترض عليهم أحد. وهذه ليست هي الكرامة الصحيحة. فالكرامة هي أن تكون ذا شخصية قوية فعالة فهذا مما يجعل رأيك محترماً في كل مكان .... والشخص الذي لديه كرامة لا يسمح مطلقاً أن يضرب برأيه عرض الحائط كما ولا يسمح أبداً لنفسه أن يكون متقلباً ولا يمكن أن يغير رأيه مطلقاً حتى إذا وجده خاطئاً ...

الطالب ٦ :

يكمن شرف الوالد وكبرياؤه بالنسبة للمجتمعات العربية بما في ذلك شمال السودان في طهر وعفة بناته حتى يدخلن إلى مقابرهن ولأجل الدفاع عن هذا الشرف وحمايته فالفتيات السودانيات تجري لهن الطهارة بطريقة تجعل المواقعة الجنسية صعبة قبل الزواج. كما ويكمن شرف الوالد أيضاً في ضرورة عدم ارتكاب أبنائه لأي فضيحة تخزيه أو تجلب له العار ... ولكن الكرامة هي شعورنا بالرجولة وقيمنا وبقدرنا ، فهي تكمن بداخلنا، فالشخص ذو الكرامة يحترم نفسه.

الطالب ٧ :

تعتمد الكرامة على ما يقوله الناس عنك ... فالكرامة لا تعتمد فقط على ما أفعل ولكن

أيضاً علي ما يرى الناس ويقولوا عني.

الطالب ٨ :

إن معنى أن تكون شريفاً هو أن تكون ذا سلوك فاضل حسن. يعني أن لا تكون لصاً ولا كذاباً. وشرف الرجل بالنسبة لنا في السودان ولا أدري عما إذا كان ذلك أيضاً في الأقطار الأخرى، لا يقاس فقط بسلوكه ولكن أيضاً سلوك أقاربه خصوصاً من النساء. وتختلف الكرامة عن الشرف في أنها تقاس وفقاً لشخصك فقط فلا تتضمن الأقارب الآخرين أو سلوك أسرتك.

الطالب ٩ :

الحياة بلا شرف ولا كرامة هي حياة العار وحياة العار هي دائماً دنيئة ومزرية و حقيرة .

الطالب ١٠ :

الكرامة هي شيء في أنفسنا، نملكه في أيدينا وإذا أردناها فيجب أن نصونها ونحافظ عليها حتى تظل نقية طاهرة. وهي مثل الزجاجة حينما تتكسر لا يمكن إصلاحها أبداً. فهي من الحساسية بحيث أن أي فعل أعوج سوف يقضي عليها ... أما الشرف فهو شيء مختلف ... هو شيء يمكن أن أحوزه أو أملكه نتيجة القيام بفعل معين فهو ليس في كياني ولكنه شيء يمكن أن أحصل عليه. فالشرف إنما هو مثل الفخر (pride) يمنح لك حين قيامك بعمل معين.

ج / إن نظرة على مقالات طلاب الجامعة عن المسائل الأخلاقية تعطيك انطباعاً بأنه توجد درجة عالية من الاطراد (uniformity) على أقل تقدير داخل مجتمع طلاب الجامعة. وتتفق بعض المقالات، التي جمعتها زوجتي من طالبات مدرسة ثانوية في أم درمان، تتفق في جوهرها مع آراء طلاب الجامعة.

الطالب ١١ :

إن معظم السودانيين ذوو شهامة وشجعان وأمناء، وأهم شيء بالنسبة لهم هو الشرف.

فهم يفضلون الموت على أي أخبار سيئة عن شرفهم الذى هو بصفة رئيسية نساؤهم وممتلكاتهم الأخرى كما يرونها.

الطالب ١٢ :

ويعقب الكرم لدينا الكرامة وهى مهمة جداً فى حياة السوداتيين وهى تتضمن حماية سمعة الأسرة. والرجل السودانى لا يحب أن يسمع أى شيء سيء عن أسرته، فهو يفضل الموت من أن يسمع ذلك. لهذا فهو يحاول على الدوام أن يجعل سمعة أسرته حسنة بقدر الإمكان، وذلك بمنعه لابنته أو أخته من أن تذهب إلى السينما مع صديقها أو أى رجل من الغرباء. كما وأنه أيضاً لا يحب أن يقابل أصدقاءه نساء أسرته. وهذه صفات حسنة جداً وآمل أن يحافظ عليها السودانيون على الدوام بالرغم من أن آخرين من الناس يرون أنها نظام رجعى.

وتوجد مماثلات قوية بين هذه الآراء المقتبسة وآراء المخبرين الرئيسيين. ولا يسعنى إلا أن اختتم بأن الفرضية التى طرحتها ـ التى تقول بأن أخلاق المخبرين الثلاثة عالية التمثيل لآراء واسعة الانتشار ـ لها درجة صحة ابتدائية عالية وهى جديرة بأن تختبر عن طريق دراسة حالات أكثر من ذلك واستبيانات توزع على نماذج أوسع عدداً من ذلك (١)*.

٣/ مشكلات تاريخية ومقارنة :

توجد أوجه شبه مدهشة بين أخلاق الفضيلة التى بحثناها هنا والآراء الأخلاقية المحررة عن أجزاء أخرى من العالم العربى كما فى كتاب د. دوختى (رحلات فى الصحراء العربية) (Doughty's Travels in Arabia Desert) وكتاب ديكسون ـ عرب الصحراء (Dickson's The Arab of the Desert) وكتاب مصل آداب وأعراف البدويين الرحل (Musil's Manners and Culture of Rawala Bedouins) (٢)* والموضوع الأساسى الذى تتناوله هذه الكتب هو أهمية الشرف والاحترام وتتضمن الفضائل التى أثبتتها على الدوام: الشجاعة والضيافة كما وتلعب الولاءات الأسرية دوراً هاماً. وحول هذا المحور يجد الباحث عدداً من الفضائل مثل الرحمة (Kindness) والصدق والحشمة، والإعتماد على الذات والفطنة (prudence) والحكمة (wisdom) والصبر والدهاء (cunning)

والعدالة . ولكن هذه الدراسات أو التقارير، مثل تقرير دوختى (Doughty) وديسكون (Dicksons) ومصل (Musil) ، غير مفصلة وليست جيدة التوثيق مما يجعل المقارنة المفصلة أمراً غير محتمل. ولم يترك هؤلاء سوى انطباع عامٍ عن مضمون الأخلاق المشار إليها. ومعظم ذلك ينطبق للأسف، على الدراسات المتوفرة عن أخلاق القبائل العربية في الجاهلية أو الأزمان القديمة كما وأن قواميس القرون الوسطى تحوى إيحاءات أو إشارات (clues) لبحث المعانى (semantical research) أكثر من النتائج المقبولة بالنسبة للمقاييس المطلوبة للمقارنة فى الأخلاق الوصفية وحينما يطلع الباحث على دراسات أخلاق ما قبل الإسلام في الجزيرة العربية فإنه يجد انطباعاً قوياً باستمرارية التقليد الأخلاقى فى العالم الناطق باللغة العربية. مثلاً قارن أخلاق المخبرين مع الوصف لتإلى للأخلاق القبلية قبل مجيء الإسلام :

إن مكانة القانون والفكرة المجردة للصواب والخطأ قد حل محلها إلى حد ما فكرة الشرف، فيأتى شرف القبيلة أولاً ثم بعد ذلك شرف الفرد. وكانت الضيافة وحفظ العهد من علامات شرف حالة المرء، وعدم الكرم والشهامة علامة على عدم الشرف أما الحارس والموثق بالنسبة للشرف فهو الرأى العام (٣)*.

وهذا النوع من الأخلاق الذى أشار إليه وات (Watt) ب " الانسانية القبلية (tribal humanism) يتلخص فى فكرة المروءة (manliness) (٤)* وربما يستحق أن نلاحظ عند التطرق لهذا الموضوع، أن أحد المخبرين عندما سئل عن معنى وأهمية المروءة، فسرها بالكرم الزائد واعتبرها مضمنة في الكرم ولم يعطيها أى مكانة بارزة فى نسق فضائله. أما آراء وات (Watt) حول التغييرات أو التبدلات التى حدثت لأخلاق الفضيلة بمجيء الإسلام فيمكن تلخيصها تقريباً بأنها كانت انتقال من القبلية (tribalism) إلى الفردية (individualism) أى من دافع الشرف (honour motive) ، إلى دافع الدين (religious motive) ، من العار (shame) إلى الذنب (guilt) ، من المسئولية الجماعية (collective responsibility) إلى المسئولية الفردية (individual responsi- bility) من الاتجاه الخارجي (out- orientation) إلى الاتجاه الداخلى (in ward - orientation) وسيكون من المفيد جداً أن نرى نتائج بحث يتناول مدى العمق الذى تأثرت به

أخلاق ما قبل الإسلام بالإسلام وكم بقي من الإنسانية القبلية عبر العصور. أما التوتر في أخلاق المخبرين بين العناصر داخلية الاتجاه وخارجية الاتجاه وسيطرة العار القوية – (strong - shame domination) (تحديد الغير) فإنه يوعز بأن كماً كبيراً من مكونات ما قبل الإسلام قد اندمج ضمن الإسلام أو استمر خفية بجانب تعاليم الإسلام الرسمية. ولا بد أن تكون الدراسة المقارنة والتاريخية لأخلاق العرب مجالاً خصباً رائعاً. كما وأن تاريخ أفكار العرض والكرامة كمثل واحد جديرة بالدراسة التفصيلية. ويشير قاموس لسان العرب – المقياس – إذا أخذنا مثالاً واحداً – إلى أن كلمة عرض قد استعملت بمعنى أكثر اتساعاً: (نبل الاصل صفات شخصية حسنه، شخصية فاضلة) في العصور القديمة عنها في السودان حالياً. (٥)* وسيكون من المهم أن نتتبع تطور معنى الكلمة وأن نعرف ما إذا كان هذا التطور ظاهرة محلية توجد فقط في السودان أم أنها توجد أيضاً في أماكن أخرى (٦)* وما يجدر ذكره بصفة خاصة، كما يبدو لي، هو أنه بالرغم من أن الشرف وكذلك العرض قد أشارت إليهما المصادر التي تهتم بالجزيرة العربية إلاّ أنه لم يرد ذكر الكرامة (على ما أعلم)، وسوف يكن من المهم معرفة ما إذا كانت هذه مجرد زلة مثلما أن الكرامة لم تكن قد دُرِسَتْ من قبل في المصادر السودانية أم أن هناك اختلافات جوهرية بين التصورات السودانية للشرف والكرامة والآراء التي توجد في الأجزاء الأخرى من العالم العربي.

ب- إن الأنساق الأخلاقية التي تلعب فيها تصورات الشرف والاحترام دوراً رئيسياً توجد بالطبع أيضاً خارج العالم العربي. فالأنساق التي وضعت في كتاب بت رفرز (Pitt Rivers). شعب السيرا (The People of the Sirra) (اسبانيا) وكتاب كامبل (Camhell) الشرف والأسرة والولاية (Honour, Family and Patronage)(٧)* هي على سبيل المثال مشابهة من عدة وجوه للأخلاق العربية.

ويبدو أنه توجد بالفعل قيم أساسية معينة مشتركة بالنسبة للمجتمعات التي حول البحر الأبيض المتوسط، وهي تشهد باستمرارية وثبات أساليب وأنماط البحر الأبيض المتوسط الفكرية (٨)* وينتظر من البحث المستقبلي أن يستكشف تفاصيل أخلاق مجتمع البحر المتوسط وأن يتتبع صلاتها مع الأنساق الأخلاقية في العالم العربي.

الجزء الثالث

المقابلات

الجزء الثالث

المقابلات

Interviews

إن الأساس الرئيسي لتحليل الفضائل التقليدية السودانية الذي قدمناه، في هذا الكتاب يحتوي علي ثمانية مقابلات تمت مع ثلاثة مخبرين رئيسيين. واستغرقت هذه المقابلات ككل حوالي عشرة ساعات ونصف الساعة وقد تعرضت لموضوعات وثيقة الصلة بالتصورات الشخصية التقليدية. وقد تم هنا نقل ثلثي هذه المقابلات وحذفت النهايات المتقطعة والمنحرفة عن الموضوع. وهي لا تعطينا فكرة عن تصورات المخبرين عن الرجل الفاضل (good man) فحسب بل أيضاً تقدم لنا صورة عن خلفياتهم وطموحاتهم وتوقعاتهم الأخلاقية العامة. فهي إذن تساعد أيضاً على وضع جزئية الاخلاق التي تم تحليلها في هذا الكتاب في الإطار الواسع لتصورات المخبرين للحياة.

وقد استبدلنا أسماء المخبرين خلال المقابلات باسماء مستعارة وتم حذف الإشارات الشخصية والمعلومات الأخرى ذات الطبيعة السرية. ولم يحدث تغيير في مادة المقابلات باستثناء ذلك (مثلاً لم يتم تصحيح للأخطاء اللغوية فيها).

* العلامة / ؟ / تشير إلى أن الشريط قد يصعب تفسيره وأن التفسير المختار هو مجرد محاولة لفهمه.

* الشرطتين (- -) تشيران إلى أن العبارة شديدة الخلط بحيث أنني لم استطع أن أجد لها تفسيراً صحيحاً.

* النقط الثلاثة (. . .) تشير إلى وقفة (Pause).

* الشرطات الثلاثة (- - -) تشير إلى أن العبارة قد تم تلخيصها.

* توجد تعليقات المحرر (توري نوردنستام) بين قوسين.

* أشرنا لمحرر المقابلات بأوائل حروف اسمه أي : ت ن.

* قسمت المقابلات إلى فقرات لتيسير الإشارة إليها.

* أنظر الباب ٦ للتعرف على المخبرين وطبيعة الظروف التي تمت فيها المقابلات.

١ – مقابلة مع علي وأبراهيم : ٤ديسمبر ١٩٦٣ :

١

علي : يعطي الناس أمثلة مختلفة للشجاعة. وهم يعتقدون أن الرجل الذي يجلد في حفلة الزواج هو الرجل الشجاع. وكما ترى، فهذا الرجل يقف كالصنم / ؟ / ويستلم العريس أو أحد أصدقائه سوطاً ويجلده . جلده وتظهر عليه بقع الدم ثم تتلاقى وتسيل على ملابسه وتصل الأرض – – . فهذا مثلا للشجاعة.

ت ن : في أي يوم ؟ في البداية، قبل حفل الزفاف أو – ؟

علي : بعد حفل الزفاف . حينما يكون هناك لعبة ورقص وغناء وهلمجرا . ومثال آخر عندما يكون هناك حفل زواج يخرج الرجل سكين حادة ويبدأ في جرح ذراعه بهذه السكين . فهم يقولون أن هذا أيضاً نوع من الشجاعة .

علي : كما ترى، يقول الناس أن هذا أيضاً ليبرهن الرجل على شجاعته للبنات . ويعتبر حسن نجيلة كلا هذين المثالين – الرجل الذي يصر على أن يجلد ويجرح ذراعه – يعتبرهما نوع من الكرم والشجاعة أيضاً (مرجع حسن نجيلة المشار إليه هو ذكرياتي في البادية طبعة بيروت ١٩٦٣). وهو يرى أن الصديق يهدي للعريس بعض الهدايا ويشجعه. وأمثلة أخرى يعطيها الناس للشجاعة : الصبي – أو البنت – الذي لا يصرخ عند طهارته هو شجاع والمرأة التي لا تصرخ عند وضوعها لطفل هي شجاعة. كل هذه أمثلة للشجاعة – ويستغرق الزواج عادة سبعة أيام، خمسة أيام . – والصديق الذي يجرح ذراعه قد يكون غير متزوج أو متزوج، أي شخص.

ت ن : من هم الذين يريد أن يثير إعجابهم ؟ أي شخص ؟

علي : كل شخص . لكن ربما الفتيات والنساء .

إبراهيم : حتى الرجال الكبار والمسنين جداً يفعلون ذلك

ت ن : هل كل شخص في قريتك يجرح ذراعه ؟

إبراهيم : لا ، ليس كل شخص.

٢

ت ن : هل تعرف أى طلاب فعلوا ذلك ؟

علي : لا ، كما ترى ، معظم الطلاب حالياً يرون أن هذا نوع من التهور. وأنا شخصياً أعتقد ذلك. فهذا ليس شجاعة إطلاقاً.

ت ن : لهذا السبب أنت لا تريد أن تفعل ذلك ؟

علي : لا أريد .

ت ن : ما رأيك يا إبراهيم ؟

إبراهيم : حسناً ، بالطبع حالياً لا أميل لفعلها. ولكن أظن أني قد حدث أن حاولتها فى أحد الأيام، عندما كنت فى المدرسة الوسطى. أعتقد أني قد دخلت الحلبة وخلعت ملابسى ولكن تتدخل بعض الناس واخذوني الى خارج الحلبة مرة أخرى .

ت ن : لماذا ؟

إبراهيم : آه كنت صغيراً جداً.

ت ن : كم يجب أن يكون عمر الصبى ؟

إبراهيم : حسنا ، عادة ما يقام بها فى عمر ١٨ ، ١٩.

ت ن : آه، إذن يجب أن يكونوا وصلوا سن الزواج؟

إبراهيم : نعم، يكونوا وصلوا سن الزواج.

إبراهيم : لكن حينئذ اعتادوا أن يعملوا أشياء معينة أظن أنها شبيهة بذلك. ولكنها ليست خطيرة مثل الجلد وجرح الأيدى من الحرق (عرض العلامة التي على ذراعه).

ت ن : فى أى سن فعلت ذلك ؟

إبراهيم : حسنا ، اعتقد فى سن العاشرة.

ت ن : كيف قمت بعملها ؟

إبراهيم : استعملنا النار.

علي : في بعض الأحيان يستعملون السجارة.

ت ن : في أي مناسبة قمت بعمل ذلك ؟ هل في أحد أعياد القرية أو شيء ؟

إبراهيم : لا ، عادة عندما نلعب نفعل ذلك.

ت ن : هل انت قمت بعملها أيضاً ؟

علي : لا، لم أقم بعملها.

ت ن : لِم ؟ هل لا يقومون بعملها في قريتك ؟

إبراهيم : هو من عطبرة.

علي : نعم انا من عطبرة . . . نعم يقومون بعملها.

ت ن : هل يعملها زملاؤك هل يعملها اصدقاؤك ؟

علي : نعم.

ت ن : لماذا لم تعملها أنت ؟ هل لأنها تؤلك أم - ؟

علي : لم أرى أنها شجاعة . وهي تبدو لي غريبة .

ت ن : هل سببت لك ألماً شديداً عندما عملتها ؟

إبراهيم : نعم، قد المتنى بالطبع .

ت ن : ماذا فعلت حينئذ ؟

إبراهيم : حسنا، بالطبع لا بد أن تلزم الصمت وأن لا تظهر أي نوع من الحركة توضح بها أنك غير شجاع . يجب عليك أن تلزم الصمت ولا تتحرك حتى اللحظات الأخيرة.

٤

ت ن : هل تعتقد أن هذه العادة واسعة الإنتشار في كل أنحاء السودان ؟

إبراهيم : اعتقد في معظم المناطق الريفية.

ت ن : هل تعتقد أنهم يقومون بعملها في الخرطوم ؟

إبراهيم : حالياً ؟ لا، لا يقومون بعملها.

ت ن : هل يقومون بعملها فى قريتك ؟ حالياً ؟

إبراهيم : اعتقد انها اندثرت .

ت ن : هل رأيت أي صبى يقوم بعملها مؤخراً ؟

إبراهيم : إذا رأيته يقوم بعملها سوف أمنعه بالطبع.

ت ن : ماذا عن الجلد - هل تحب أن تشارك فيه ؟

إبراهيم : تعني الآن ؟ لا اعتقد.

ت ن : ولكن ما زال عندكم في القرية ؟

إبراهيم : نعم لا زالوا يمارسونه.

على : في بعض المناطق، اعتقد يمارسونه

إبراهيم : ولكن اعتقد أنه يقل تدريجياً.

٥

ت ن : ما الذى يعتبر حالياً شجاعة ؟ ماذا يجب على المرء أن يفعل ليبرهن على شجاعته؟

على : يرى الناس أن الشخص الذى يمسك مخاوفه حينما يواجه الخطر يعتبر شجاع .

ت ن : هل يمكنك أن تفكر فى أي طالب أبدى شجاعة عظيمة ؟ أى طالب في هذه الجامعة ؟ قصة ما حقيقية ؟

على : أحد الطلاب - كانت كل أسرته فى عربة واحدة . وحدثت لهم حادثة ، واصاب والده أذى ، وواحدة من أخوته ، أحدهما ماتت ، وأمكنه أن يتحمل الفجيعة . ولهذا اعتبره أنه شجاع.

ت ن : وكيف أظهر شجاعته ؟

على : هذه هى الشجاعة . بالنسبة لى هى شجاعة . أن تكون فى هذه النكبة .

ت ن : تستطيع أن تتحملها ؟

على : نعم تتحملها .

ت ن : وإذا لم يكن لديه شجاعة ، ماذا كان يمكنه أن يعمل بدلاً عن ذلك ؟

على : حسنا ، يشعر بتعاسة شديدة . وربما ينتحر . هذا صعب جداً وأنا شخصياً اعتبر أن الذى ينتحر هو أكبر جبان.

٦

ت ن: ماذا ترى يا إبراهيم، هل الانتحار دلالة على الجبن؟

إبراهيم : هو دلالة على الجبن ، نعم.

ت ن : من أى ناحية ؟

إبراهيم : لأن المرء يفترض أن يواجه المصاعب والمشاكل بالطريقة العادية، ولا يحاول أن يتهرب منها . وحينما ينتحر الإنسان فإنه يظهر أنه حقيقة - ، أنه لا يريد أن يواجه المصاعب التي تتعلق به .

ت ن : هل حدث أن انتحر طلاب ؟

على : نعم، فى الاجازة الأخيرة انتحر أحدهم . أحد طلاب كلية الطب . وهو يسكن فى مدني .

ت ن : لماذا فعل ذلك ؟

على : لا أعرف السبب.

إبراهيم : لكن لا بد أن تكون هناك مشاكل . هو فشل فى أن يحل مشاكله . يقول البعض أنه كان يحب فتاة معينة . والفتاة فجأة أخذها أحدهم ، تزوجت من رجل آخر . . . لذلك انتحر فى نفس مساء حفل الزفاف . . . اعتقد أن هذا أغرب شيء . . . لم يكن لديه أي مشاكل مادية .

٧

ت ن : هل حدث أن انتحر أى طالب بسبب فشله فى الإمتحانات أم أنك ترى أن ذلك لا

يمكن أن يحدث ؟

علي : لقد حاول أحدهم . ولكن تم إنقاذه.

ت ن : هل تعتقد أنه خطأ منه أن يحاول الإنتحار ؟

علي : شخصياً نعم، اعتقد أن ذلك خطأ .

ت ن : لماذا ؟

علي : أعني . . . أن هذا ليس سبباً . مهما كانت الصعوبات يجب عليه أن يواجهها ويحلها . وأن يفشل في الإمتحانات فهذا ليس كافياً . هذا ليس سبباً ملحاً . لديه فرصة أخرى ليجلس للإمتحان .

إبراهيم : لكن اعتقد أن حادثة العام الماضي كانت غريبة تقريباً لأن الولد في الحقيقة، هو حاول أن ينتحر ليس بسبب فشله في الإمتحانات لكن لأنه وضع في موقف حرج تقريباً . اعتقد أن عميد الكلية س ، وجدوا ورقة في داخل درجه بالضبط قبل الإمتحان واعتقدوا أنه حاول أن يغش . والولد هو في الحقيقة لم يقصد ذلك . فقد حدث بالصدفة أنه نسي ورقة تحت درجه . . بالضبط في الليلة السابقة . ولهذا ظنوا أنه حاول أن يغش . واعتقد أن هذه الحادثة قد أثارته . . . ولا يفترض من العميد أن يقول هذا . لذلك ترك الطالب الامتحان مطلقاً . وذهب إلى الداخلية ومن ثم إلى فندق في السوق وابتلع كمية كبيرة من الأقراص . وقالوا أنه كاد أن يموت وقد تم إنقاذه في آخر دقيقة . كان في حالة نوم عميق لمدة ثلاثة أيام . وأخيراً أعطوه فرصة ليجلس للإمتحان في يوليو واعتقد أنه حالياً يعمل . . . اعتقد أن ذلك مهم من ناحية أنه حقيقة . . . أنه قاد نفسه إلى هذا لأنه يرى أن كرامته حقيقة قد مُسّت.

ت ن : لهذا شعر أنه أسيء إليه ؟

إبراهيم : نعم شعر بالإساءة إليه.

٨

علي : ليس دلالة على الجبن أن تصرخ - . ولكن من الأفضل أن لا تصرخ.

ت ن : لكن النساء دائماً يصرخن حينما يموت شخص ، أليس ذلك صحيح ؟

على : نعم دائماً يصرخن.

ت ن : لكن الرجال يجب أن لا يبكون ؟ هل يبكي الرجال حينما يموت شخص ؟

على : بعضهم عادة يفعلون ذلك وآخرين يقولون أنه من الشجاعة أن لا تبكي، يتحكمون في عواطفهم . أما ترى معظمهم هذه الأيام يعتقد أن مسز كندي شجاعة جداً لأنها لم تبكي . . .

إبراهيم : البكاء في العادة حينما يموت شخص لا يعتبر علامة على الجبن . ولكن - مثلاً إذا ضرب شخص بعصا - ويكي فهذا يعتبر علامة خطيرة على الجبن.

(البنات أحياناً يبكين ، إذا فشلن في الإمتحان . والأولاد يضحكون عليها . أو إذا وجدت طالبة أن ورقة الإمتحان صعبة فربما تبدأ في البكاء . قال إبراهيم إذا بكي طالب لسبب فشله في الإمتحان فهذا يوضح أنه طموح - مهتم بأمر مستقبله . ولكن لا زال ، سيكون البكاء في هذه الحالة منافياً للكرامة .)

٩

ت ن : ماذا يرى الطلاب بالنسبة للغش ؟

على : اعتقد أن معظمهم لا يغش . فهم يعتبرون ذلك شيء غير شريف .

ت ن : إذا غش أحدهم هل يؤثر ذلك في شرفه أو في كرامته أم ماذا يكون ؟

على : إذا أكتشف أنه كان يغش، فأنا شخصياً سوف لن احترمه . . .

١٠

ت ن : هل هناك أي ناحية أخرى يمكن للشخص أن يظهر بها الشجاعة.

على : اعتقد أنه إذا تحكم في مخاوفه وإذا كان دافعه حسناً فهو بالتالي شجا ع . . .

ت ن : كل هذه المواقف التي ذكرتها الآن تتعلق بالشجاعة المادية - هل يمكنك أن تظهر الشجاعة في نوع أخر من المواقف التي لا تكون فيها الشجاعة مسألة إحتمال للألم وهذه الأشياء ؟

على : نعم، أذكر أن أحد رجال الدين اعطاني مثال وقال أن الرجل أو المرأة الذي (التي)

يتغلب على إغراء المعاصى هو (هى) شجاع . واعترف أنى لم أفهم معنى ما ذكر .

ت ن : ما هى الكلمة بالنسبة ل (Courage) هنا ؟

على : هى الشجاعة.

ت ن : هذه هى الكلمة المعتادة، أليس كذلك ؟

على : نعم.

ت ن : ألا تظن أنه يظهر الشجاعة ؟

على : لا أظن .

إبراهيم : اعتقد أنه يمكن أن تعتبر شجاعة، إذا إعتبرنا أن الإغراء نفسه نوع من الخطر . . .

ت ن : هل يمكن لأحد أن يظهر الشجاعة إذا لم يكن يشعر بأى خوف ؟

إبراهيم : بالنسبة لمسألة الرجل الذى لا يخاف شيئاً، اعتقد أنها لا تزال موجودة فى المجتمع السودانى . بعض الناس أو معظمهم يرون أن الرجل الذى لا يخشى شيئاً يعتبر شجاعاً وليس كما يقول عنه البعض أنه متهور أو مندفع . . . فهو يعتبر شجاع .

ت ن : لكن أنت لا توافق ؟

إبراهيم : نعم أنا لا أوافق ، لأنى اعتقد أن الرجل الذى لا يخشى شىء هو شبيه بالطفل. لأن الطفل أو الرضيع أيضاً لا يخشي شيئاً . لأنك إذا اعطيته ، قُل ، ثعباناً أو أى شىء خطير فإنه سوف يستلمه . . . ونفس المسألة . اعتقد انها تنطبق على الرجل الذى لا يخشى شيئاً . . .

. ---

١٢

قصة الرجل الذى قتل النمر وفقد ثلاثة أصابع :

ت ن : ماذا ترى انت نفسك فيها ؟

علي : كان دافعه نبيلاً . كان دافعه هو أن يحمي القرية ولذلك فهو شجاع.

١٣

ت ن : هل يمكن للمرء أن يظهر الشجاعة في معارضة الحكومة أو أي موقف آخر لا يشمل خطراً مادياً ؟

علي : اذا اتبع الشخص مبادءه ودافع عنها - - - يكون شجاعاً --- أعرف رجلاً من عطبرة، عامل - لكن هو شيوعي - وقد أدخل السجن مرات عديدة ، لكن لا يزال يثني عليها /٩/ كرجل شجاع بالرغم من أن الناس دائماً لا يرون أنه رجل شجاع . ويقولون أنه - لا يصلح لأي شيء . لكن أنا اعتقد أنه شجاع .

ت ن : لكن الناس لا يرون ذلك ؟

علي : نعم

إبراهيم : اعتقد أن السودانيين لم يصلوا بعد مرحلة تقدير قيمة المبادىء ، ما يعنيه الشخص بقوله أن الرجل لا بد أن يقف بصلابة بجانب مبادئه وهلمجرا ---

ت ن : ماذا ترى الأسر في إضرابات الطلاب ؟

١٤

إبراهيم : حسنا ، كما قلت ، معظم الأسر السودانية ، على الأقل بالنسبة لاولئك الذين يسكنون المناطق الريفية لا يفهمون هذه الأشياء . ويعتقدون أننا لا نفرق بين ما يسمى الأشياء السياسية وغير السياسية . ويرون أنك إذا واصلت السير في المستقبل في دراستك وهلمجرا فهذا أفضل . (معظم الناس لا يفهمون ما تعني الحرية الأكاديمية ، وهلمجرا . ولكن والدي علي وإبراهيم يقبلون قرارهما بالإستمرار في الإضراب)

إبراهيم : هذا هو الموقف الذي تتمسك به الأسر السودانية في معظم الأحيان : أنه يجب على كل طالب أن يقتصر على مهمته كطالب، اا أكمل دراسته وهكذا . . لكن اعتقد أن هناك بعض الأسر تفهم المشكلة - أولئك الذين هم مستنيرون شيئاً ما ، الذين نالوا حظاً من التعليم وهكذا ، يدركون المشكلة . وأظن ان الطلاب الذين ينتمون لهذه الأسر لا يواجهون مشكلة في اقناع الأسرة -- لكن في معظم الأحوال هؤلاء الناس يكونوا مقتنعين . لأنه ليس

ذلك فحسب ـ فهم يحترمون ما تقوله لأنهم يرون أنك رجل ناضج ومتعلم بما فيه الكفاية . لذلك فهم يؤيدونك بهذا المعنى . ولكن ربما لا يكونون مقتنعين

١٥

ت ن : نوع الشجاعة الذى يقدرونه هل هو الشجاعة المادية وليس الشجاعة الأخلاقية، ليس الشجاعة فى الدفاع عن المبادىء ؟

علي : نعم.

إبراهيم : لا أظن أنى اتفق مع ذلك لأن -- الناس الذين يقفوا خلف مبادئهم . اذا كانوا يسكنون في قرية فهم يتمسكون فعلاً بمبادىء معينة . مثلاً محافظة الشخص على أسرته في حدود السلوك وعدم تركه لأحد أفراد الأسرة اساءة الآداب . فهذا مبدأ وهم فعلاً يقفون وراءه بكل قوة . وهذا بالإضافة إلى مبادىء أخرى : الكرم، والضيافة وهلمجرا . وهم يفعلون ذلك لدرجة أنهم يفعلون كل شيء لصيانته .

٢ – مقابلة مع علي وعثمان ، ١١ ديسمبر ١٩٦٣ :

١٦

(قال على آن النزاع بين الجامعة والحكومة حول دستور الجامعة (أنظر الباب ٦، فصل ٢) يمكن أن يحل لو أن الحكومة أحالت المسألة إلى المجلس المركزى.) :

على : وهناك ربما يفشل . لذلك فهم ـ بهذه الطريقة لم تجرح كرامتهم . أعنى ـ ما زالوا – لديهم كرامة . وهم انفسهم هم لم يسحبوا القرار . لكنهم قالوا أن ـ كما ترى هذه هى الحرية / ؟ /ـ ولذلك هذا لم يجاز بواسطة المجلس المركزى . حسنا بالتالى نتركه . سمعت أن هذه هى الإشاعة ـ أنا غير متأكد تماماً ---

١٧

ت ن : هل تعتقد أنه ضد كرامتك أن تعمل في المزرعة ؟

عثمان : لا

ت ن : لماذا لا تفعل ذلك اذن ؟

علي : بعض منهم .

عثمان : نحن نحاول عادة حينما نعود إلى البلد نحن ـ نحن.

رغبتنا لنذهب ونعمل مع الناس هناك في المزارع . ولكن أنا شخصياً يقول لي والدي ليس هذا ـ هذا ليس من شئونك اذهب وأدرس . انت عندك شغلك ونحن عندنا أيضاً شغلنا . وأنا ليس لدي حق أن اتدخل . لذلك أنا لا أذهب للعمل في المزارع.

علي : لكن اعتقد أن معظمهم لا يحب العمل اليدوي . لا يريدون أن يعملوا بأيديهم . ويفضلون أن يعلموا في المكاتب بدلاً عن ذلك.

ت ن : ما هو العيب في العمل اليدوي ؟

علي : يوجد هناك ـ معروف ـ أعني ـ .

عثمان : فقط هم يرونه متعباً ـ هو شاق . وهم يموتوا ـ ـ حينما يذهب الشخص إلى المزرعة ويعمل من السابعة إلى الحادية عشرة ويقفل راجعاً . ويتناول إفطاره ، ويمكنه أن لا يعمل شيء . فقط يذهب لينام ـ ويصحو حوالى الساعة الثانية ويتناول غداءه ، وينتظر حتى الرابعة ويرجع إلى المزرعة ويعود عند الغروب ويمكنه أن لا يعمل شيء . لا يمكنه أن يقرأ . إذا كان يريد أن يقرأ . سيكون مرهقاً وسوف يبقى فقط صاحياً حتى الساعة الثامنة وبعد ذلك يذهب للنوم ـ ـ ـ

١٨

عثمان : أظن أن المهم هو القروش . اذا امكنك أن تحصل على كمية محترمة من القروش ربما تعمل ، ربما تؤدي العمل اليدوي اذا كان يدفع لك مقابل ذلك. ولكن اذا لم يدفع لك أجر فأنك لا تقبل ، لأن معظم الطلاب يقولون أنهم لا يحصلون على مساعدة من آبائهم ولذلك يجب أن نعمل أثناء الاجازة ونحصل على شيء من المال لنشتري ملابسنا وشيء من المال ـ أثناء الدراسة في الجامعة.

١٩

ت ن : هل يُحْتَرَم الناس لأنهم أثرياء ؟

علي : نعم. من قديم الزمان ، هذه هي الحقيقة / ؟ / . ـ الناس يحترمون لأجل ثرائهم.

عثمان : أنا لا أظن أن هذا صحيح . لأن الشخص الذي - يحترم لأجل ثرائه هو الذي ينفق هذه - أمواله - على الأشياء التي - - أعني إذا كان يعطي ماله لكل شخص في حاجة المال. هذا ربما يجلب احترام الناس . لكن البخيل فسوف لا يذهب لأحد ويساعده.

٢٠.

ت ن : ما هي أنواع الوظائف التي يريد الطلاب أن يحصلوا عليها عندما يغادروا الجامعة ؟ ما هي أفضل الوظائف ؟ (هذا يعتمد على الكلية التي أتوا منها . بالنسبة لكلية الآداب .)

علي : حسب الطلاب الذين تحدثت معهم، يبدو أن وزارة الخارجية . الحكومات المحلية

ت ن : لماذا تكون هذه أكثر شعبية ؟

علي : وزارة الخارجية تعطي فرصة جيدة للذهاب للخارج . للتعرف على مختلف الناس ، وتتبادل الآراء وهذا يساعد الطلاب / ؟ / أن يحكم بلده .

ت ن : وما هي ميزة الحكومة المحلية ؟

علي : الناس الذين يذهبون للحكومة المحلية / ؟ / سوف ينقلون إلى مدن أخري ، مدن صغيرة، ليس حول الخرطوم . ويكون لديك منزل وسيارة و - سلطة .

ت ن : ولكن ألا يريد الطلاب أن يعيشوا في الخرطوم بدلاً عن المدن الصغيرة ؟

عثمان : هم يفضلون ذلك . وفيما يتعلق بما يريد الطالب أن يقوم بعمله بعد إنتهائه من الجامعة ، اعتقد أن الطلاب يمكن تقسيمهم إلى نوعين . اعتقد أن بعض منهم هم جماعة يرون أن لديهم هدف أو غاية يعملون لها ، وهي الهدف الذي يقصدونه وهؤلاء طبعاً سوف يذهبون إلى المصالح التي يخدمون فيها هدفهم الذي يرمون إليه . والنوع الثاني هم أولئك الذين يريدون فقط أن يكون لديهم كمية كبيرة من المال ويشتروا عربة ومنزل ويتمتعون - انفسهم . وربما لا يعملون مع الحكومة . هم يذهبون إلى الشركات ، لأن هناك يحصلون على مرتبات عالية .

ت ن : هل هناك طلاب كثيرين هم اكثر إهتماماً بالهدف منهم بكسب المال ؟

عثمان : لا ، ليسوا كثيرين جداً . ليسوا كثيرين . هذا ما يبدو لي . ولكن لست أعرف

ما يجري حقيقة في عقولهم ، سواء أكانوا يتظاهرون فقط بأن لديهم أو عليهم كأنهم يخدمون أهدافاً معينة.

٢١

ت ن : ماذا تريد أن تعمل انت حينما تتخرج من الجامعة ؟

عثمان : أفضل أن أذهب وأدرُس.

ت ن : نعم ، في مدرسة ثانوية ؟

عثمان : المدارس الثانوية .

ت ن : في العاصمة المثلثة ؟ أو ـ ؟

عثمان : في أي مكان ـ لا يهم أين أسكن . واعتقد أنه يمكنني أن أذهب وأدرس.

ت ن : لماذا تريد أن تدرس ؟

عثمان : في الحقيقة في أي مصلحة حكومية تذهب إليها تجد الفساد هناك فساد . والخريج مثلنا عندما يذهب يجب أن يعمل تحت إمرة أناس قد يفرضوا عليه أشياء لا يقبلها ، ويتوجب عليه أن يوافق عليها لأنها أوامر من هم أعلى منه . واعتقد في وزارة التربية هذه الأشياء لا تحدث . ولذلك أنا ـ نحن سمعنا أنه إذا ذهبت مثلاً إلى وزارة ال ـ حكومات المحلية – الفساد شديد الظهور أو كبير جداً . ويجب عليك أن تقبل الرشاوي واذا لم تقبلها ربما تنقل أو أن كل الناس الذين تعمل معهم ربما يكونوا ضدك.

ت ن : ما نوع الفساد الذي هناك ؟

عثمان : الرشاوي ويجب عليك أن تدخل معهم فيما يعملون .

بالطبع اذا كانوا يسكرون أو يقامرون أو أي شيء أنت لا تقبله أو لا تعتقد فيه .

ت ن : من يعطي الرشاوي ؟

عثمان : الناس ، المقاولون ، والزبائن .

ت ن : كل هذه العطاءات التي تعلن ؟

عثمان : نعم . نعم .

ت ن : هل تعتقد أن هناك رشاوى فيما يتعلق بتلك العطاءات ؟

عثمان : نعم، توجد حقيقة . ولذلك اعتقد اني ـ اني مسلم ولا أقبل ذلك . ولذلك أذهب إلى وزارة التربية حيث لا أحد يرشيني ولا أحد يتدخل . ويمكنني أن أقرأ أيضاً / ؟ / .

٢٢

ت ن : لكن أتعتقد أن معظم الطلاب لا يمانعون من استلام الرشاوى ؟

عثمان : لا ، لا يمانعون . وبعض الناس يُحضّرون لها ، من الآن .

ت ن : بأى سبل يمكنهم أ يحضروا لها ؟

عثمان : حسناً ، لديهم أقارب هناك في وزارة الشئون المحلية أو الحكومة المحلية . ونذهب ويتم تعييننا ويكون عندنا درجان درج للحكومة ودرج لأنفسنا (ضحك) ، فيه يمكن أن نضع ما يعطينا إياه الناس . سمعت ذلك من الطلاب .

ت ن : هل يصير كثير من موظفى الدولة أثرياء بهذه الطريقة ؟

عثمان : نعم

على : عندهم بيوت وسيارات و . .

ت ن : يبنون بيوت كبيرة . .

(ضحك).

على وعثمان : نعم

على : هو حتى الوزير يقول أنهم يستلمون الرشاوى / ؟ / .

ت ن : ولا يمكنهم أن يبنوا تلك البيوت الكبيرة من مواهيهم ، فى ظنك ؟

على : نعم . . . .

٢٣

ت ن : هل تظن أن أفكارك الأخلاقية تغيرت كثيراً منذ مجيئك الجامعة ؟ أثناء تلك

السنوات التي قضيتها فيها أو هل تظن أن أفكارك هي تقريباً نفسها كما كانت قبل خمسة سنوات مضت ؟

عثمان : لا أظن أن هناك تغيراً ، لكن أظن أني توصلت إلى تفهم ما تلقيته كمسلَمة من أساتذتي في المدرسة الثانوية وما تلقيته أيضاً من والدي ، وقد توصلت إلى تفهم اعتقاداتي الاخلاقية بصورة أكثر وضوحاً و ـ بحيوية / ؟ /

ت ن : هل هناك أي شيء توصلت إلى الاختلاف فيه مع الاعتقادات التقليدية ؟

عثمان : لا ، لا يوجد اختلاف كامل مع ما اعتقده ـ ـ ولكن ربما يوجد اختلاف تجاه الناس ، هؤلاء المسلمون / ؟ / .

ت ن : هل يمكنك ان تذكر بعض الأمثلة التي تختلف فيها مع الاعتقادات الشعبية ؟

عثمان : مثلاً ، ما ناقشناه معك الآن ـ وما كتبته في ـ تلك المقالة ، التي اعطيتك إياها ، مثلاً ، الكرم والشجاعة . حتى عندما في المدارس الثانوية ، كنت اعتقد ما يعتقده الناس في المناطق الريفية في هذه الفضائل ، الشجاعة والكرم ، وأيضاً كنت اخلط الكرم والشجاعة مع الاسراف والتهور . لكن بدأت هنا اعرف أنه يوجد فرق كبير بين الكرم والإسراف والتهور والشجاعة.

٢٤

ت ن : ما الذي يفعله الناس وتعتبره أنت إسراف ؟

عثمان : مثلاً اذا انفقت مالك فقط في أشياء ليست ضرورية بالنسبة لحياتك أو اذا اعطيت مالك إلى أناس غير محتاجين إليه أو اذا انفقت مالك فقط لأجل أنك تريد أن يقول الناس أنك كريم .

ت ن : هل يفعل الناس ذلك ؟

عثمان : نعم .

ت ن : ما الذي يشتريه الناس إذن وهو غير ضروري ؟

عثمان : مثلاً عندي موريسماينر ، بالنسبة للسيارة فهذه تؤدي لي المهمة وهي في حالة

جيدة ، فليس هناك حاجة لأذهب واشترى سيارة تويناس أو سيارة زفير . أظن أنها ليست ضرورية .

ت ن : هل ينفقون مالاً كثيراً جداً على العربات ؟

عثمان : نعم . ومثلاً اذا كان يمكنني أن أشترى الأشياء من سوق قريب فلا حاجة لي أن أحضر إلي الخرطوم واشترى حاجياتي وفقط أقول أنى اشتريت هذا من الخرطوم واشتريت كذا وكذا من الخرطوم وأظن أن هذا ليس ضرورياً .

٣٦

علي : أثناء هذه الخمسة سنوات، آرائي الأخلاقية / ؟ / قد تغيرت . ما فائدة التعليم اذا لم تكن قد تغيرت ؟ أعنى ، الطالب / ؟ / يعرف أكثر مما كان من قبل ذلك لا بد أن يكون هناك تغير .

ت ن : نعم لكن هل غيرت أفكارك عن الصواب والخطأ ؟ ربما تحصل على فهم أعمق للأسباب التي تقف وراء القواعد الأخلاقية (ethical rules) كما قلت، لكن هل فعلاً غيرت نظرتك الأخلاقية ؟ هل لاحظت أنك تختلف من والدك على سبيل المثال ؟ أو من أسرتك ؟ أو من الناس الذين في مدينتك أو قريتك في أى نقاط معينة ؟ حول ما هو الصواب وما هو الخطأ، ما هو حسن وما هو قبيح ؟ أم أنك دائماً تتفق مع والدك ؟

علي : بالطبع لا . هو ليس من جيلي . فكرة الصواب والخطأ والحسن والقبيح ، بالطبع ، تختلف من جيل إلي جيل . لكن عثمان ذكر ذلك عن الكرم والشجاعة . وربما يكون هناك اختلاف حول الشرف .

٣٧

ت ن : من أى النواحي تختلف فكرة الشرف ؟

علي : كما ترى ، الشرف حينما يقصر على النساء، مثلاً . أذكر في ال - أنا كتبت قصة عنه في المقالة أيضاً - واحد من أصدقاء والدي وصف عمدة قبيلة الجعليين بأنه رجل شريف . وعندما سئل عن السبب قال بأن هذا العمدة لاحظ مرة أن الرجل الذى كان على السلم يصلح في المنزل - منزل العمدة - حاول أن ينظر من أعلى إلي النساء . فأخذ العمدة

بندقيته وضربه بها .

ت ن : وذلك كان شريفاً ؟

على : نعم .

ت ن : ما هي الكلمة العربية ؟

على : بالطبع توجد / ؟ / اختلافات ولكن هنا يمكن أن تقول أنها تعني بالعرض .

ت ن : نعم، ليس بالشرف أو الكرامة ؟

على : هو أيضاً ، لأن ، كما ترى ، هذا الشرف ، أقسام الشرف الدنيا ، الكرامة ، من الصعب أن تفرق بينها ، لأنه أحياناً الشريف ، لا يسمح لنسائه أن يخرجن بالنهار. واذا أردن الذهاب إلى بعض الأقارب ، فإنهن يذهبن بالليل وهو يسير أمامهن

ت ن : وانت لا تتفق مع هذا ؟

على : نعم . لا اعتقد أنه شريف

٣ – مقابلة مع على ، ١٦ ديسمبر ١٩٦٣ :

على : المثال الأول الذى سوف اعطيك أياه عن الكرامة حدث لي في السنة الماضية. كما تعلم ، حينما يتهم بعض الناس بأنهم يتملقون أناس آخرين لكى يحصلوا منهم على شيء ، يقول الناس أنه ليس لديه كرامة . الآن ، هذه الفئة لم أقلها - أعنى ، فقط أصدقائى المقربين - لكن سأقول لك هذا كمثال (حذفت القصة لأسباب خصوصية) ...

ت ن : هل تظن أنه اتهمك بالمداهنة أمام شخص آخر مع تعمد القصد لأساءتك ؟

على : أمام الشخص الآخر . بالطبع لا أقبل إساءته حتى لو كنت وحدي . لكنها أسوأ أذا كانت أمام شخص آخر ...

(يعتقد على أن السبب في أنه يريد أن يسيئه هو أنه نفسه شعر أن على قد أساء إليه.)

ت ن : ولذا شعر بأنه أسيء إليه ؟

على : شعر بأنه أسيء إليه

ت ن : ولذلك فهو يريد أن يسبك ؟

على : نعم - - لا يمكن أن انسى ، اعنى ، القصة ، لكن - لذلك أنا - ذهبت إلى س وحدثته بالقصة . - - - (حذفت التفاصيل هنا .)

ت ن : بماذ نصحك ؟

على : "كما ترى ، يجب أن تعامله مثل والدك وأنه إذا كان والدك " اساءك ، أعنى، فانت لن تسيئه " قلت أنا لم أسيئه. لكن أنا لن أقبل حتى اساءة والدى . كما ترى ، يجب أن احترم والدى وهو يجب أن يحترمنى (حذفت بعض التفصيلات الأخرى).

٢٨

ت ن : هل تقول أن هذا أثر في كرامتك أم شرفك ؟

على : كما قلت لك ، معاني الكلمات ليست محددة .

ت ن : لكن اذا وصفتها لشخص باللغة العربية ، هل تقول أن —— .

على : نعم ، أقول أن - الكرامة ، ليس الشرف . نعم أقول أن كرامتي قد جرحت .

٢٩

ت ن : هل تعتقد أنه كان يجب أن يعتذر لك ؟

على : يعتذر لي ؟

ت ن : نعم .

على : لا ، لا اعتقد . لا أتوقع ذلك ، لأنه أكبر . وأيضاً سوف يؤثر فى كرامته اذا جاء يعتذر لي، حتى اذا كان مخطئاً . الناس - الأكبر - الناس الكبار - حتى لو كان هناك شجار بين الأخوة الأثنين ، يتوقع حتى لو أن الأخ الأكبر هو المخطىء ، يجب أن يحضر الأخ الأصغر ليعتذر للأكبر .

ت ن : لذلك والدك لا يعتذر لك أبداً لأساءته لك ؟

على : لا ، ما أظن .

ت ن : هل تعتذر له أنت لأساءتك له ؟

على : نعم .

ت ن : هل حدث ذلك لك ؟

على : بيني وبين والدتي ، لكن ليس والدي ، أحياناً لا ترى - هي تسيء فهمي أو شيء من هذا القبيل لذلك أنا - أنا اعتذر .

٣٠

ت ن : هل تتذكر أي حادثة يمكن أن تحدثني عنها ؟ لهذا التصادم بينك وبين والدتك ؟

على : في الحقيقة أحدهما ، كما تري ، يتعلق بالزواج . و - أعني - عادة الآباء ، كما تعرف ، في هذا البلد يقررون كل شيء لأبنهم ، حتى الزوجة ، وهذا غريب جداً . لذلك - تقول الأم للإبن ، "ترى أنا عندي لك عروس" وتبدأ تصف هذه العروسة والعروسة ربما تكون إبنة عمه ، أعني ابنة عمه أو كذا - أوابنة عمته لكن قلت لها مرة أنا لن اتزوج هذه البنت. كما تري، أنا -

ت ن : يعني أمك خططت لتزوجك لبنت ما ؟

على : نعم .

ت ن : لكن ليس والدك ؟

على : ليس والدي ، نعم . كما تري . والدي يبدو أنه ليس مثل كل الآباء الآخرين لأن الآباء الآخرين يجبرون أبناءهم على الزواج وأنا غير رائح أجبر عليه. لكن لا زال والدتي كانت تخطط شيئاً. لذلك لا بد لي أن أوقفها ، أعني من البداية. أنا لن اتزوج هذه البنت. سوف اقوم باختيار زوجتي بطريقتي الخاصة.

أنا لن اتزوج مثل والدي أو كما تزوج جدي . لذلك غضبت جداً.

ت ن : ماذا قالت ؟

على : أعني ما هو الفرق بينك وبين الأبناء الآخرين ؟ ذلك الإبن وذاك الإبن يقبلون ذلك. ليس هناك فرق بينك وبينهم .

ت ن : هل اعتذرت لها بعد ذلك ؟

علي : نعم ، يجب أن اعتذر . بالطبع ، كما ترى ، هي غضبت ، وانا اعرف انه حتى لو أني أوضحت لها كل هذه الأشياء أن ـ أن فكرة الزواج تتغير من جيل . لكنها لن تفهم ذلك . اعني ، يجب على أن اتزوج مثل كل الآخرين ---

٣١

ت ن : هل يعارض الطلاب عادة حينما يخطط أباءهم الزواج لهم ، أم انك تعتقد أن معظم الطلاب يقبلون لك ؟

علي : ترى ، في الحقيقة ، أنا لا ألوم الآباء . ألوم الشباب . أعني، الأبناء. لأنه يقبل ذلك . والماضي ـ سبتمبر الماضي ، سمعت قصة غريبة جداً. ترى ، أحد الطلاب كان مسافر للخارج ليواصل محاضراته ـ دراساته ، وقد استوعبته الجامعة . وذهب إلى ـ هو بالمناسبة من أقارب ـ ذهب إلى الأقارب هناك ، ليقول لهم وداعاً ، لأنه مسافر . " لذلك " قال ، "انت مسافر . يجب عليك أن تتزوج . تلك هي زوجتك " وقد حضّروا كل الأمر ، قرروا الأمر كله، من غير أن يسألوه ، من غير ، أن يسألوا البنت . ويتوجب عليه فقط أن يذهب إلى زوجته وقد قبِل ذلك . لم يقل أي شيء .

ت ن : لماذا قبله ؟

علي : ترى ، قال أنا لا احتج ضد والدي منذ أن كنت صبياً صغيراً، ولذلك يتوجب عليّ أن أقبل كل شيء يقوله . حتى في هذه المسائل . أعني ليس من السهل أن ـ ـ الناس . أعني ، أنك سوف تعيش حياتك كلها مع هذه الزوجة . أنت لا تعرفها أنت لا ـ لا تعرف أي شيء عنها . لذا كيف قبلت ذلك ؟ " هذا ما يجب أن أفعله " . هذا ما قاله " يجب أن أقبل " تركها هنا وذهب إلى لندن.

٣٢

علي : قصة أخرى تثير عجبي أيضاً : أحد الطلاب اخبرني أن عمه كتب خطاب إلى والد الطالب، وقال بأن " الأبنة حالياً ، ابنتي ، صغيرة، أعني ، ولذا فهي هدية ـ هدية ـ لأبنك حسن " وعندما سأل الأب الطالب حسن ، اعني " هل تقبل ذلك ؟ هل تتزوجها ؟ قال نعم .

ت ن : من غير أن يكون قد رآها ؟

على : لم يكن قد رآها . أبداً في حياته . ترى . وهو لا يعلم أي شيء عنها . سواء أكانت قبيحة أو جميلة ، متعلمة ، اعني كل شيء يتعلق بها . هو لا يعرف أي شيء .

ت ن : لماذا قبل هو ؟

على : قال ، " عمي قال أنها هدية ، ولا بد أن تقبل الهدية "

ت ن : ماذا سيحدث إذا كان لم يقبلها ؟

على : غالباً ما سيكون عمه غضبان جداً.

ت ن : هل سيشعر بأنه أسيء إليه ؟ هل ستتأثر كرامته ؟

على : نعم ، نعم . ترى ، إذا أنك - اذا أحد - اذا أراد شخص أن يتزوج بنت وذهب إلى أهلها يطلب يدها . فكل شيء سيقرر للبنت ، بالرغم من أن كل شيء يهم البنت لكنها لا تسأل أو أي شيء . كل شيء يقرر بواسطة أبيها . واذا رفض الأب ، حينئذ سيشعر الشاب أن كرامته قد جرحت .

ت ن : هل ستشعر البنت أنها جرحت أيضاً ؟

على : البنت ؟ ليس البنت . الشخص الذي جاء يسألها .

ت ن : اذا كان كل شيء تم إعداده ورفض الولد ، ماذا ستقول البنت ؟

على : اعتقد - اعتقد ، أيضاً أن كرامتها سوف تجرح . لكن بالطبع ، هي لا تخبر أي أحد ، باستثناء أصدقائها أو - " لماذا رفض أن يتزوجني ؟ " وهكذا.

٣٣

ت ن : هل هذا هو الشيء المعتاد بالنسبة للطلاب أن يزوج الآباء ابناءهم وبناتهم ؟

على : نعم . غالباً ، أعتقد .

ت ن : هل لديك أي أصدقاء تزوجوا بمفردهم ؟

على : نعم ، لدى واحد . ترى ، لدى واحد . وهو الوحيد . في الحقيقة ، أعني ، كل

أقربائي هم ـ ـ لكن ماذا يرى الناس فيهم : أقربائي ، أعني ، لا يحبون ذلك . أعني يجب عليك ، ما يقولونه ، يجب عليك أن تغطي قدحك ولا تذهب وتغطي قدح الناس الآخرين . هل تفهم ذلك ؟ أعني ، البنت تعتبر كالقدح الآخر . أعني ، اذا لم تتزوجها ، فقد تفقد عرضها أو تسلك سلوكاً سيئاً أو كذا . لذلك يجب عليك أن تصونها . أعني يجب عليك أن تحمي أو تصون بنات العائلة ـ ـ . . أعني تغطية الأقداح كما قلت ، يجب عليك أن تتزوج البنات اللاتي من عائلتك . هذا أفضل .

ت ن : أفضل أن تتزوج شخص من اسرتك من أن ـ ؟

علي : ولا تذهب خارج ذلك . نعم

ت ن : وهذا ما يعنونه بتغطية قدحك ؟

علي : تغطية قدحك ، نعم . قبل تغطية أقداح الآخرين من الناس.

ت ن : نعم . لماذا يكون ذلك أفضل.

علي : أعني ، من الذي سيزوجك ـ اذا ـ معظم الناس يعتقدون أن هذا هو الشيء الصحيح – أعني هذه الأسرة ترى أنه أفضل أن تتزوج من نفس اسرتها ـ من الذي سيتزوج من أسرتك ؟ وكيف يتوقعون أن تتزوج من نفس أسرتك .

٣٤

ت ن : هل سوف تفعل ذلك ؟

علي : لا سوف لن أفعل ذلك .

ت ن : لم لا ؟

علي : أترى ، كل ال ـ معظم البنات من أسرتي غير متزوجات معظمهن ، وأولئك اللاتي لم يتزوجن بعد هن صغار جداً ، وحتى لو كن مستعدات للزواج ، سوف لن اتزوج منهن ، لأن ـ أعني ـ اعتقد أن البنت لا بد أن تكمل تعليمها الثانوي ومستواها التعليمي وأشياء أخرى ، أعني اشترط عدة أشياء ، وهي ليست من السهل توفرها في أسرتي . ولكن مرة أخرى ، كما ترى ، فالصعوبة هي ـ لا أدري ـ وهذه هي الصعوبة بالنسبة لمعظم ـ أعني ـ الناس المتعلمين في هذا البلد ـ لا يريدون أن يتزوجوا كما تزوج اباءهم أو كما تزوج أجدادهم ـ

يتركوا المسألة كلها ، أعني ، لأسرهم لتقررها . فهم يريدون أن يتعرفوا على البنت التي يريدون تزوجها يعرفوا أخلاقها ، وإهتماماتها ، يعرفونها شخصياً . يكونوا على صلة معها . وهذا ليس من السهل ، لأنه ، أعني ، بالطبع ، أن ذلك سهل في دائرة الأسرة ، ويمكنك أن تذهب إلي عمك ، وتتحدث مع البنات وهلمجرا . ولكن ليس من السهل أن تجد فتاة من خارج الأسرة لأنه ، كما ترى ، غير مسموح لك أن تدخل وتتحدث إليهن.

٣٥

ت ن : ماذا يحدث إذا خرجت الفتاة لوحدها ؟

على : إذا إكتشفوا ذلك ، فربما لا يسمحوا لها بالخروج مرة أخرى ، ربما يعاقبونها على ذلك . بجلدها - وبعض الفتيات ، كما ترى ، لأنه بهذه الطريقة ، فهي تجرح كرامة أسرتها. ويعتقد عموماً أنه حيثما إجتمع رجل وإمرأة فالشيطان ثالثهما . سيحدث شيء سيء .

ت ن : كيف تقابل فتاة لتتزوجها ، إذن ؟

على : قلت أن هذه هي الصعوبة.

ت ن : شخص في الجامعة تقريباً ؟

على : نعم

ت ن : هذه أسهل طريقة / ؟ /

على : هذه أسهل طريقة ، نعم ، أو صديق .

٣٦

ت ن : هل تعرف أي مناسبة أسيء فيها طالب بواسطة محاضر في الجامعة ؟

على : نعم ، أذكر ، في الفصل ، أن المحاضر كان يحاضر واذكر عبدالله ، كان جالساً ولم يكتب شيئاً ، كان فقط جالساً مستمعاً فجاء المحاضر وقال ، " هل لديك سكرتيرة تكتب لك ؟ لماذا لا تكتب مذكرات ؟ وشعر عبدالله بأنه أسيء إليه . لذلك غادر الفصل ونفس هذا المحاضر - عندما جاء الولد متأخر وقال له المحاضر - وكان ذلك في الصباح - وقال له هل تريد قهوة أم شاي ؟

ت ن : هل كان يظهر عليه النعاس أو ـ ؟

علي : فقط جاء متأخر ـ ولذا غادر الطالب القاعة .

ت ن : هل هذا محاضر لغة ... ؟

علي : نعم .

علي : نعم يساء إليك أمام الأولاد والبنات .

٣٧

علي : وحتى العامل مستعد أن يضحي بعمله . ناظر محطة ، في سكك حديد السودان كان في الوردية ، طلب منه الشخص الأعلى منه أن يعمل شيئاً وكان مشغولاً فطلب بدوره من شخص آخر أن يقوم بذلك لأنه مشغول . ويبدو أن ذلك الرجل لم يقم بالعمل ، ثم جاء هذا الشخص الأعلى رتبة وقال أمام الناس : يا ناظر المحطة أولم أطلب منك أن تعمل ذلك الشيء؟ قال له " كنت مشغولاً واخترت شخص آخر أن يقوم به . ولم يفعل " وهكذا غضب ناظر المحطة بدوره . وقال له " ماذا تريد أن تفعل ؟ أنا قلت لك أني اخبرت شخص آخر ليقوم به ولم يفعل ، أنا كنت مشغول . افعل أي شيء تريده . أفصلني أو أعمل أي شيء تريد أن تعمله " وفي الصباح ـ أخبرني ناظر المحطة هذا أن هذا المسئول الأعلى رتبة ناداه في الصباح واعتذر له .

ت ن : لأنه أساءه أمام الآخرين من الناس ؟

علي : نعم .

ت ن : هل كان سيعتذر له لو أنه قالها له منفرداً ؟

علي : لا اعتقد ذلك . إذا فعل ذلك منفرداً لا أظن أنه سيعتذر ـ يسيء إليه على إنفراد؟ سوف لن يقبل ذلك ، لكن يسيء إليه أمام الناس ، فهذا أفدح.

٣٨

ت ن : هل لديك نفس الأفكار عن الكرامة كالتي لدى والدك أو والدتك ؟ أم أنك لاحظت

أحياناً أن لديك أفكار مختلفة عن الكرامة ؟

علي : في بعض الحالات ، أعتقد نعم . كما ترى ، في مأدبة الزواج ، اذا كان العريس من أقربائك ولم يدعوك للحضور فسوف تذهب وربما يعذره والدي في ذلك ويقول " لأنني من أقربائه ، لذلك لم يدعوني لكن لا اعتقد أني أذهب .

ت ن : لماذا لن تذهب ؟

علي : لأني لم أدعى .

ت ن : هل من غير الكرامة أن تذهب على كل حال ؟

علي : نعم .

ت ن : أي نقطة أخرى لاحظت فيها اختلاف ؟

علي : كما ترى . من الصعب أن اتذكر بعض الأمثلة.

٣٩

ت ن : هل تشعر أنك تتفق عموماً مع والديك حول المسائل الأخلاقية ؟

علي : خذ مثال - السجاير والدى يعتبرها من غير الأدب أن تدخن أمامه . وحتى أخي الأكبر لا يدخن أمام والدى وبعض الأقارب أعني - يبدو لي غريباً أن لا تدخن أمام الأب.

ت ن : نعم هل فعلت ذلك ؟

علي : لا أفعله . لكن في الداخل أشعر ، أعني ، ليس لها أي علاقة مع الإحترام . وتبدو لي غريبة.

ت ن : هل حاولت أن تشرحها له ؟

علي : إلي والدى ؟

ت ن : نعم .

علي : لا . لم أفعل . لكنه يعرف أني أدخن ، يعني . ويعرف أن أخي يدخن أيضاً .

٤٠

ت ن : قلت من قبل أن العرض ينطبق بصفة رئيسية على النساء

علي : نعم .

ت ن : لم ذلك ؟

علي : ربما ينطبق على الرجال ، لكن غالباً ينطبق على النساء .

لأنهم يعتقدون أن ـ معظم الناس يعتقدون أن العذرية مهمة جداً . وتجد في المقالة أيضاً أن العذرية توصف بعود الكبريت " بمجرد أن تشعله فلا فائدة منه " اذا ارتكبت الفتاة الفاحشة ـ ـ

٤١

ت ن : لقد قرأت في مكان ما عن تقرير أحد قدماء الرحالة ـ ألماني جاء إلى السودان ـ اعتقد ، في القرن السابع عشر ، وفي أحد الأيام قتل مضيفه ـ رجل ـ أخته لأنها كانت غير مهذبة ، عديمة الأخلاق . هل تعتقد أن هذا يمكن أن يحدث حالياً ؟

علي : في المدن ، لا اعتقد أنه سيحدث . لكن في القرى والريف ، فهذا يحدث . والذي يرتكب ـ هذا هو ما يسمونه المحرم ـ الجرم الأخلاقي للفتاة ـ هو أيضاً يقتل أحياناً بواسطة أقرباء الفتاة . وفي معظم الأحوال في ـ الذي يريد أن يتزوج ـ لا يتزوج فتاة فقدت عرضها. واذا اكتشف أنها ليست عذراء في ليلته الأولى مع الفتاة التي تزوجها ، فسوف يطلقها .

ت ن : اذن العرض بالنسبة للنساء هو على وجه الخصوص العذرية ؟

علي : على وجه الخصوص هو العذرية . واذا كانت فتاة ، فسلوكها أيضاً سيء ويقال عنها أيضاً أنها ليس لديها عرض .

ت ن : وهذا ليس مهم بالنسبة للأولاد ؟

علي : في حالة السودمية.

ت ن : هل يحصل للولد سمعة سيئة ـ ؟

على : بالطبع يحصلها . والوسيط - لا أعرف الكلمة الإنجليزية له - الذى ينظم للإجتماع مع البنات والأولاد أو الأولاد والأولاد ، يقال عنه أيضاً أنه ليس له عرض .

ت ن : هل يوجد أناس يفضلون ذلك ؟

على : نعم .

ت ن : هل يحصلون على نقود مقابل ذلك ؟

على : بالطبع يأخذون بعض النقود مقابل ذلك .

٤٣

ت ن : لم يتضح لى معنى حينما يقال عن الشخص أنه مهذب.

ماذا تعنى كلمة مهذب ؟

ت ن : يعتبر من المهم جداً أن تكون مهذب ؟

على : أعنى - أن تتصرف بأدب ، أن تكون - بالطبع

ت ن : بأى طرق يمكن أن يكون الشخص غير مهذب ؟

على : فقط أن تفعل الأشياء القبيحة وأن تتصرف بقبح - فالولد الذى يسىء الناس الكبار يقال أن غير مؤدب ، غير مهذب . فهى تتعلق خصوصاً بالأخلاق الحسنة.

ت ن : نقطة واحدة مهمة ذكرها إبراهيم هى أن الشخص يجب أن لا يفعل أى شيء من غير لزوم .

يجب عليه أن لا يضحك كثيراً جداً . ويجب عليه أن لا يتحاوم كثيراً - إلا أن يكون لديه غرض محدد . هل توافق على ذلك ؟

على : كما ترى ، فى واحدة من الصحف ، حينما كتب أحدهم عن هذه النقطة ، يعتقدون أنه معيب إلى حد ما لأنه هو - الناس فى هذه البلد يتكلمون كثيراً جداً وحتى - تلاحظ ذلك فى سلامهم (تحيتهم) . فهى تستغرق خمسة دقائق أو ستة دقائق يسلمون على بعض. وأنا لدى عمّ ، يستمر حوالى ربع الساعة ، يسلم عليك كل الوقت . يتحدث ثم يسلم ، يتحدث ويسلم --.

ت ن : ما هو رأى الناس فيمن يكثر من الحديث جداً ؟

علي : بالطبع يعتبرون ذلك مثلبة . فيتحدثوا عنه ويتكلموا حوله . يقولون " يتحدث بكثرة شديدة" وهكذا .

ت ن : ماذا يعني أن لا تعمل شيء من غير لزوم ؟

علي : لا أدري ماذا يعني إبراهيم بهذا . . . .

٤٥

ت ن : من أي نواح تغيرت أفكارك عن الكرم أثناء سنواتك الجامعية ؟

علي : أعني . اني اختلف مع هذه - الشجاعة العظيمة جداً . كما ترى ، الناس في هذا البلد ، حينما يكونوا كرماء ، فانهم لا يفكرون في الإقتصاد أبداً. وصحيح أن القرآن يحث على الكرم . ولكن ليس بالطريقة التي يظهر بها . فالآية من القرآن تقول " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً" . ونقطة أخرى هي واحدة من النتائج السيئة لهذا - الكرم الكثير جداً - هي أنه يقود إلي العطالة . في ال - أعني - كما ترى - في الخلوة (بيت الضيافة) في القرية تجد هؤلاء المخبولون المتنسكون الذين يعتمدون على كرم الناس أعني لا يشتغلون ، لا يعملون أي شيء .

ت ن : ما هو رأي القرويين في ذلك ؟

علي : أه ، يرون أنه حسن . واذا ذهبت الى قرية الى أحد أقربائك هناك ، وصحوت في الصباح ، تجد أن أغلب الناس قد جاءوا بالشاي . ولا بد أن تشرب من كل شاي.

ت ن : جاءوا الى الخلوة ؟

علي : لا إلى الشخص الذي تقيم معه.

ت ن : لكن أليس أن هؤلاء الناس في القرية يعارضون وجود أناس يسكنون معهم طيلة الوقت من غير أن يعملون أي شيء ؟ ألا يتذمرون من ذلك ؟

علي : كما ترى ، حتى هنا في المدن تجد بعض الأقارب يقيمون مع أقاربهم هنا ولا يعملون أي شيء . يأكلون ويشربون و - يتحاومون .

ت ن : وهذا مقبول لكل شخص ؟

علي : أحياناً يقبلون ذلك.

ت ن : اذن لا يعتبر قبيحاً أن لا يكون لك وظيفة ؟

علي : بالطبع يعتبر قبيحاً . لكن - أعني - انهم لن يتحدثوا الى هذا الرجل الذي يقيم معهم ويقولوا " اذهب وابحث عن عمل ، وأي شيء من هذا القبيل . لكنهم لا يحبون ذلك.

٤٦

ت ن : هل سيأتي أقرباءك ويقيموا معك اذا وجدت منزل في الخرطوم ؟

علي : أغلب الناس الذين يأتون الى المدينة هنا هم - اعني ، يأتون من الخارج ، أعني ، من القرى . وبالطبع هم لا يعتقدون أن الحياة هنا أكثر تعقيداً و - يعتقدون نفس الشيء . لذلك فهم ، هم فقط يعتبرونها سهلة من غير أن يدركوا ماذا سيحدث لهذه الاسرة وبعض من أقربائي هنا ، يسكنون في منزل قريب من المحطة ، محطة السكة الحديد، وكلما أذهب إليهم ، أجد زوارا . يقيمون معهم لمدة سبعة أيام ، خمسة عشر يوماً . البعض يأتي فقط ليتحاوم في المدينة ويقضي إجازته هنا . أو يأتون لأجل العلاج ، وهكذا. ومع أن الأسرة ، هذه الأسرة ، دائماً تشكي . لكن لا يقولون أي شيء للزوار. اذا قالوا أي شيء فالزائر سيشعر بالطبع أن كرامته قد جرحت.

ت ن : نعم . لكنك قد غيرت آراءك من هذا الموضوع ؟

علي : نعم ، قلت ذلك . أنا أرفض هذا الكرم الكثير جداً .

٤٧

ت ن : ماذا عن الكرامة ، هل غيرت آراءك عن ذلك أيضاً ؟

علي : لا ، لا اعتقد اني ــــ .

ت ن : اذن تعتقد أن التغييرات هي عن الشجاعة والكرم ؟

علي : الكرم ، نعم . الشرف بمعنى العرض أيضاً . بالطبع ، اعتقد أن الناس في هذا البلد هم متشددون مع الناس . فهم متطرفون في هذه النقطة . يجب عليهم أن يعطوا الفتيات بعض الحرية . كما ترى ، في عطبرة ، واذا أخذت زوجتك إلى السينما أو إلى المسرح - لكن

اذا اخذت زوجتك الي السينما - كما ترى ، في الصباح ، كل الناس سوف يتحدثون عنك .

ت ن : لذلك لا يمكن أن تأخذها الي السينما ؟

علي : نعم نعم .

ت ن : لكن في الخرطوم يمكنك أليس يمكنك ؟

علي : في الخرطوم ، يمكنك ، نعم . والناس الذين يأتون من عطبرة الي الخرطوم مع زوجاتهم ، يأخذونهن الي الحدائق ، الي السينما ، الي المسرح. يوجد خليط - المدينة تحتوي على قبائل كثيرة ولا يهتم أحد بها.

ت ن : اذن يوجد فقط رجال في السينما في عطبرة ؟ أو هل توجد نساء أبداً ؟

علي : يوجد البعض الذين يصحبون نساءهم . لكن أعني ، ليس مثل هنا في الخرطوم ، وحتى أخي ، عمي ، يصحبونهم الي السينما.

ت ن : لأن هذا سيؤثر في شرفهم أم - ؟

علي : ليس الشرف . لكن ، كما ترى ، الناس - يقولون ، أنه أخذ زوجته الي السينما ويبدأون يحكون عنه. وعن زوجته . لا يحبون ذلك . وأحد أقربائي الذى تزوج - الذى تزوج في سبتمبر الماضى . قد احتج على ذلك . وقال لهم ، " لماذا لا تصحبونهن ، زوجاتهم ؟

ولا يعتقدون أنه سيفعل الآن ، عندما تزوج . وقد كتبت له خطاب قلت له " سوف لا تجد ذلك سهلاً هناك ، لكن هو أسهل في الخرطوم . "

٤٨

ت ن : ماذا تقول أسرتك إذا ذهبت الي بريطانيا وتزوجت فتاة بريطانية ؟

علي : بالطبع لا يحبون ذلك . كما قلت لك من قبل ، حتي ولو ذهبت لتتزوج خارج الأسرة، فتاة سودانية من خارج الاسرة ، يرفضون ذلك . فكيف تكون الحالة اذا ذهبت خارج البلد وتزوجت اجنبية ويرون أنك اذا تزوجت امرأة - بالطبع يفكرون في عدة مثالب لهذا الزواج . ويقولون " ماذا سوف يحدث للأطفال ؟ هل سوف يكونوا مسيحيين أم مسلمين ؟ وهذه الفتاة التي تتزوجها ، لها تقاليد مختلفة عادات مختلفة . "

ت ن : ماذا إذا تزوجت فتاة مصرية أو لبنانية مسلمة ؟ هل ستكون الأسرة أكثر استعداداً لقبول هذا الزواج؟

علي : كما ترى ، هذا ما تقوله والدتي عندما تحكى معى . هذا ما تقوله أمي . يمكنك أن تتزوج فتاة عربية ، فتاة مسلمة . لكن هذه النصرانية ـ تكون ـ أعنى ، تعرف معنى النصرانية ؟ مسيحية .

ت ن : تعني ، يجب أن لا تكون نصرانية ؟

علي : نعم .

ت ن : هل لهذا أي علاقة بالكرامة أو الشرف ؟

علي : اذا أخذتها ـ في رأى / ؟ /ـ تتزوج فتيات الاسرة ـ لتغطي قدحها ـ لتصونهن ـ بهذا المعنى ستتعلق بالعرض والشرف. لكن طبعا زواج الاجنبية له ، أعني ، مضاره حدثتك عنها .

٤٩

علي : ان أخ أحد الطلاب هنا في الخرطوم ذهب الى بريطانيا وجاء راجعاً. ترك زوجته هناك . في لندن ، نعم. وعندما جاء راجعاً لم يحدث والديه / ؟ / عن هذا الزواج . وأمه ـ كان هو الابن الأكبر ، أمه كانت فخورة بذلك ذهبت تحدث النساء أن محمداً سيتزوج ، وانا وجدت له فتاة جميلة ليتزوجها ، وهكذا . وبالطبع هي لم تدرى أنه تزوج مسبقاً . وعندما أراد السفر والرجوع الى الخرطوم مرة أخرى نادى أخته وأخبرها أن قد تزوج . ووالديه كانا حقاً غاضبين . الأن لا يزورونه . وهو لا يزورهم . وكل شيء بينهم قد أنتهى .

ت ن : هل شعرا بأنهما أسيئا ؟

علي : بالطبع . لانه ، كما تري ، هو لم يخبرهما . إذا ذهبت وتزوجت ـ فتاة ـ من غير اخبارهما ، فسوف يكونا ـ سوف يشعران بأنهما أسيئا .

ت ن : لماذا لم يخبرهما ؟

علي : لا أدرى .

ت ن : سيكون أفضل كثيراً لو أنه أخبرهما . أليس كذلك ؟

على : شخصياً . نعم . يخبرهما شخصياً ، لا أن يخبر أخته . وحتى لو أنه أخبرهما شخصياً ، أعنى ، لن يقبلا ذلك ، طبعاً . لأنه حينما تزوج بنفسه ، تزوج ، لم يتحدث إليها ، لم يفعل ـ ـ هو ابنهما .

٥٠

ت ن : يبدو لى أن الناس يستاءون بسهولة فى هذا البلد .

هل لديك هذا الإحساس ؟

على : . . . بسهولة يستاءون لكن لا أدرى ما تعنى بذلك .

ت ن : انهم كثيراً ما يشعرون بالإساءة .

على : . . . يبدو لى أن النوع ـ حساسية حادة ـ وهم / ؟ / حساسون جداً ، وهو يحترم الآخرين من الناس ويتوقع الآخرين ان يحترمونه . لا يعاملونه كشخص أدنى مرتبة

ت ن : الناس يعرفون ذلك جيداً أليس كذلك ؟ هم حساساون أليس كذلك ؟

على : هم حساساون : نعم . ـ وسيكون . طبعاً . إذا أساءهم شخص أجنبي ـ كما ترى ، السنة الماضية ، بعض من الطلاب كانوا متكئين على سيارة أ . ثم جاء مستر أ . ووجد بعض الوسخ على ال ـ على سيارته . وامر الطلاب بغضب أن يحضروا جردلاً من الماء ويغسلوا السيارة . قال الطالب " أنا لم أفعل ذلك " وكان غضبان جداً ، وكادا أن يتشاجرا . سأل مستر أ عن الاسم " ما اسمك ؟ " "ما هى كليتك ؟ " قال " فلان الفلانى فى كلية الطب . اذهب اين ما تريد أخبر أى شخص . أنا لم أفعل ذلك . أنا غير مستعد أحضر جردل ما لأغسلها . أنا لست خادمك " . لم يقبل ذلك ، الطالب

ت ن : لو أن أحد المحاضرين السودانيين قال ذلك ، هل كان يمكن أن تكون المسألة مختلفة ؟

على : لا اعتقد أن محاضراً سودانياً سيقول ذلك . سوف لن يأمره أن يحضر جردل ماء ليغسل السيارة . والطالب قال أنه لم يفعل ذلك . . . .

٥١

ت ن : هل يعتبر الطلاب أنه من الخطأ أن يعملوا أثناء السنة ؟

هم لا يعلمون كثيراً . لا يقرأون كثيراً . هل هم كذلك ؟

علي : نعم . لا يقرأون كثيراً .

ت ن : هل لديهم شعور سيء نحو ذلك ؟

علي : طبعاً ، لديهم ، لكن ، كما ترى ، حتى لو قرأ أحدهم كثيراً جداً ، أعني ، لا يقول اني قرأت كثيراً - أنا لم أقرأ ، اذا نجح - - - الطالب ، كما ترى ، أخبرني أنه لم يقرأ المذكرات ونجح . ولو أنه فشل فسوف يكون / ؟ / معذوراً ، كما ترى ، هو لم يقرأ .

ت ن : هل هذه طريقة لحفظ الكرامة ؟

علي : ربما كانت - أنا لست متأكد جداً . ربما تعتبر - .

ت ن : نعم ، اذا رسب أحدهم ، هل يؤثر ذلك في كرامته ؟ أم أنهم فقط يقولون معليش ؟

علي : بالطبع يقولون ذلك . يقولون لبعضهم البعض ، حظ سيء أو " حظ عاثر "

ت ن : كلهم لا يشعرون أن كرامتهم تأثرت من ذلك ؟

علي : اذا ذاكر كثيراً ورسب ، سيقولون كرامته تأثرت . ذلك أني أعرف أحد الطلاب الذي - هو ذاكر كثيراً جداً وعندما دخل الإمتحان هو - في النتائج النهائية ، وجد نفسه قد فصل . فلم يعيد السنة الدراسية ، ولم يذهب الى الخارج ، هو - لكن هو وجد وظيفة.

وطالب آخر قد أعاد السنة الأولى ، ثم نجح ودخل السنة الثانية وحدث أنه كان عليه أيضاً أن يعيد السنة الثالثة وقد وجد ذلك صعب جداً ، أعني أن يحضر المحاضرات و - .

٥٢

ت ن : ماذا ترى في إعادة السنة ؟ هل ذلك عار بالنسبة للطالب أم - ؟

علي : في الجامعة لا يعتبر عار لكن في المدرسة الثانوية والمتوسطة هو كذلك ، نعم . ولكن اذا طلب منه أن يعيد السنة الأولى والسنة الثالثة فذلك صعب عليه جداً - - - كما ترى ، اذ كان يتوجب عليك أن تعيد مرة واحدة ، فذلك حسن . لكن مرتين فهذا جد صعب - - -

ت ن : هل يضحكون من أولئك الذين يعيدون / ؟ / ؟

على : لا يفعلون ، لكن حينما تكون غائباً ، فبالطبع يتحدث الطلاب عنك . هو عاد السنة الأولى ، والآن عائد ال - - - .

ت ن : نعم ، ماذا يقولون عنه ؟

على : بالطبع ، يقولون أنه لا يذاكر كثيراً وهكذا . لذلك وجب عليه أن يعيد السنة الدراسية .

ت ن : يعني هذا يعتبر شيء سيء على كل حال ؟

على : أن تعيد مرتين ، نعم .

ت ن : واذا لم يعمل الشخص ما يكفي لكي ينجح ، فذلك أيضاً سيء ، أليس كذلك ؟

على : ذلك أيضاً سيء ، نعم .

٥٣

ت ن : ماذا اذا ذاكر الطالب كثيراً جداً ، هل ذلك يعتبر أيضاً سيء ؟

على : يقولون - الكلمة العربية كبّاب - كثيرة القراءة

ت ن : ماذا يجب على الشخص أن يفعل بدلاً عن القراءة الكثيرة ؟

على : كما قلت لك أنه إذا أنت - أنت - عليك ألا تظهر أنك تذاكر كثيراً . لأنك إذا نجحت ، يقول الطلاب بعد ذلك . يقولون أنه ، "كما ترى . هو لم يقرأ كثيراً وهو نجح . واذا لم ينجح ، اذا رسب ، فسيقولون ، سيجدون عذراً له . لذلك يعتقد الطالب أنه أمان له أن لا يظهر لهم بأنه يذاكر كثيراً.

٥٤

ت ن : ماذا يجب على الطلاب أن يفعلوا بعد الظهر بدلاً عن ذلك ؟ اذا لم يذاكروا . ماذا يجب أن يفعلوا ؟ ماذا يتوقع أن يفعلوا ، من جانب زملائهم ؟

على : أن يذهبوا الى النادى ، الى السينما . واذا ذهبت تذاكر في المكتبة بين الساعة الخامسة والثامنة ثم بعد العشاء حتى الساعة العاشرة والنصف - لا يعتقدون أنها - بالطبع

، في باطنهم يعتقدون " ذلك حسن " . لكن - لا بد أن تذهب بعد العشاء ، الى السينما وتعمل أشياء أخرى . كما ترى ، في السنة الثانية ، أنا كنت - نحن اثنين في غرفة واحدة وحدث أنه لمدة يومين أو ثلاثة ، لم يرى رفيقي وجهي ، ولم أر وجهه . وبعد الغداء هو يذهب حول الغرف يتحدث ثم جئت الى غرفتي لأخذ قسطاً من الراحة ، ثم بعد ذلك في الخامسة . أذهب الى المكتبة وبعد الخامسة هو يأتي الى الغرفة. وفي العشاء ، لا نلتقي عادة لأننا عادة لأننا نجلس في ترابيز سفرة مختلفة.

وبعد العشاء ، أنا أذهب الى المكتبة ، ولا أعرف أين يذهب . بعض الأحيان يذهب الى السينما واحيانا هو / ؟ / يذهب الى البار . وبالمناسبة خمسين في المائة من الطلاب يذهبون الى البار ويشربون وهكذا . وعندما أحضر في العاشرة ، فانني أنام . وهو يحضر ويجدني نائماً . وفي الصباح أصحو فأجده نائماً ، فأذهب الى المحاضرة وهو لا يزال نائماً . هو لا يذهب الى المحاضرات من الساعة السابعة الى العاشرة ، لا يذهب أبدا . وفي النهاية هو رسب ، ولا بد له أن يعيد السنة وقد نجح ، وقد سمعت أنه رسب مرة أخرى . في سنته الثالثة، وقد فصل . يعني هو كان يسخر مني ، كما ترى . أنا لا أقابله على مدى ثلاثة أيام وخمسة أيام . - - - -

٤- مقابلة مع عثمان ، ٢٣ ديسمبر ١٩٦٣ .

٥٥

ت ن : حسناً ، دعنا نبدأ بالكرم والضيافة.

عثمان : حسن .

ت ن : كيف يستقبل الأجنبي اذا حضر الى قريتكم ؟

عثمان : الغريب - ربما يعرف أحدا في القرية ويذهب إليه مباشرة أو ربما فقط يأتي إلى أول منزل يصل إليه . وصاحب المنزل سوف يستقبله وسوف يأخذه الى ما يسمونه بالخلوة أو منزل عادة يكون بعيداً نسبياً من الأسرة فيه يستقبل الضيوف.

ت ن : هل كل أسرة لها خلوة ؟

عثمان : نعم لكن حالياً هم فقط أضافوا الخلوة الى منزل الاسرة ، ولكن يعملون ما

نسميه الحوش وهو الذي يفصل منزل الضيافة من منزل الاسرة . والضيف أولاً - اذا كان الضيف جاء بسيارة أو أي وسيلة مواصلات أخرى ، فبالطبع سوف يقدم له - عادة - هم - يقدمون له أولاً الماء - الشربات ، مثلاً ، ليمون - أو يقدمون له البيبسي كولا - اذا كانت القرية متحضرة قليلاً . وبعد ذلك هم - يحضرون الشاي والقهوة . في القرى عادة يحضرون القهوة والشاي . لا يسألون الضيف عما اذا كان يبغى قهوة أم شاي . يحضرون الشاي أولاً ، ثم يحضرون القهوة.

ت ن : وهل يتوقع أن يشرب الضيف كلاهما ؟

عثمان : نعم . ولا يحضرون فقط ما يكفي للضيف - كل الناس الحاضرين أو أهل المنزل أو الاسرة التي جاءت لاستقبال الضيف. عادة يأتون ويستأنسون أو - معه ، وكلهم يشربون معه القهوة والشاي واذا جاء الضيف في الصباح ، فانهم يحضرون الأفطار بعد ذلك، وأيضاً بعد الأفطار يأتون بالشاي والقهوة كلاهما . وعندما يقول الضيف أنه يريد أن يسافر لأن لديه أشغال ، أحياناً يقولون " لا ، لابد أ تنتظر وتتغدى هنا ، وبعد ذلك أذهب لأداء أشغالك " واذا كانوا معقولين ، فربما يعذرونه بالطبع ويسمحون له بالسفر . لكن أحياناً يحلفون بالطلاق.

٥٦

ت ن : ماذا يعني ذلك ؟

عثمان : اذا شخص قال علي الطلاق (احلف بطلاق زوجتي) - عليّ الطلاق - فهذا يعني اذا لم تطيعه أو تجيب طلبه أو شيء من هذا القبيل ، فإن زوجته تكون مطلقة .

ت ن : هل حدث في قريتكم ان أي شخص طلق زوجته لهذا السبب؟

عثمان : لا - عندما - يحلف عليك الشخص - بالله أو بالنبي (صلى الله عليه وسلم - المترجم) أو بأي شيء آخر وربما تقول " لا أستطيع أن أمكث " . لكن اذا قال عليّ الطلاق ، يجب عليك أن تبقى . لا يمكنك - .

ت ن : هل طلق أي أحد حقيقة زوجته ؟

عثمان : لا . بالنسبة لهذا السبب - لا أدرى . لكن حتى في الشريعة التقاليد المحمدية ،

اذا كان انسان . لا يمكن للإنسان أن يطلق زوجته بهذه الطريقة . الطلاق ليس سهل . إلا إذا أحضرت شاهدين ، أحدهما الزوجة نفسها ، وتقول " أرجوكم أشهدوا انا ــ انا طلقت زوجتي " . ولكن بهذه الطريقة هم .

ت ن : يعني هي فقط طريقة لتعبير الشخص عن مشاعره ؟

عثمان : نعم .

ت ن : لا يقصدون أن يفعلونها ؟

عثمان : لا .

عثمان : نعم ، حرام ، وطلاق أيضاً . هما نفس الامر ، لكن كما ترى ، في الشريعة هذا ليس طلاق أبداً . كلاهما حرام وطلاق .

والفرق بين الطلاق : الطلاق هو الإنفصال لكن الحرام معناه اذا كان الشخص قال ذلك ـ أقسم بأنه سيمتنع عن شيء للأبد ، هذا معنى الحرام . وهذا هو الفرق . فاذا قال حرَم أو عليَّ الحرام مثل عليَّ الطلاق ، عليَّ الطلاق معناها الإنفصال عن الزوجة . عليَّ الحرام معناها سأمتنع عن البقاء في المنزل أو مع زوجتي للأبد . اذا لم تبق بالمنزل . مثلاً . هذا هو الفرق.

ت ن : هل تعتقد أن هذه هي الضيافة الحقيقية حينما يجبرون الضيوف أن يفعلوا أشياء مثل هذا ؟

عثمان : لا . طبعاً . حينما أذهب الى البلد ويريد والدي أن يقول عليَّ الحرام أو عليَّ الطلاق لضيف ، أنا أقول له لا ، أرجوك. بالطبع ، الضيف يعرف أن له عمل ويعرف ما في مصلحته. لذلك لا يمكن أن تجبره أو . يبقى بقولك عليَّ الطلاق ، أو عليَّ الحرام. لكن كما ترى ، النوع القديم ، تسميهم النوع القديم أو الناس الذين في عمر والدي . أحياناً هم . عندما لا يكون لديهم شغل لا استطيع أن ابقى لانى أريد أن اختبر ما اذا كان هذا الرجل مضيافاً أم لا . أو كريماً ام لا . ربما هو . ربما تدعوه ل ـ بعض الشاي . وربما هو يجلس وعندما تحضر الشاي ، قال آه أنا لا اتناول الشاي أنا لا أشرب الشاي وهو فقط يريد أن يختبرك أو يختبر ضيافتك . وانت تقول "آه ، ارجوك ، أشرب " وهو يقول " أنا لا أشرب

الشاي . ويحلف له بالله أو بأي شيء آخر - وهو يرفض . ولكنه حينما يقول هو عليّ الطلاق أو عليّ الحرام . فالضيف حينئذ يشرب يقول لماذا لم تقل ذلك من البداية ؟

٥٨

ت ن : لقد سمعت القصة الآتية . شخص وصل الى قرية قريبة من ود مدني بالليل وكان غريباً . واستقبل بحفاوة بالغة واعطي منزلاً يقيم فيه في الليلة. ثم ان المضيف الذي نزل عنده ارسل له ابنته لتؤانسه في أثناء الليل . هل سمعت بأي شيء مثل ذلك ؟

عثمان : مطلقاً أبداً . وهذا لن يحدث ابداً . لا أعتقد لا أظن . وهذا لا يحدث ابداً واذا حاول الضيف أن يعمل أي شيء أو يدخل الى مقر الاسرة فسوف يضرب ويطرد في منتصف الليل.

ت ن : لكنه لم يحاولأن يدخل الى مقر الاسرة . أرسلت له الفتاة

عثمان : لا ، لا ، لا . هذا لن يحدث ابداً . على الاقل لم أسمع في كل حياتي . وكل الناس لن يوافقوا على ذلك اذا سمعوا - واذا كان الشخص الذي أخبرك بهذه القصة قد سمع منه رجل كبير . فسوف يشتمه أو يضربه أو يجلده . وهذا لا يحدث أبداً . لذلك أنا - لا هي ليست حقيقية أبداً . لا ، لا ، هذه لن تحدث أبداً . هذه لن تحدث . إلا إذا كان المضيف يحتفظ بالمنزل لهذا الغرض .

٥٩

ت ن : إذا قُدِّم لك شاي وقهوة ورفضت الشاي ، على سبيل المثال ، هل يستاء الضيف؟

عثمان : لا ، ابدا لا . مثلاً بعض الناس - الناس - في البطانة ، عادة يشربون القهوة لا الشاي أبدا . وحينما يحضرون كضيوف على أي شخص فهم يقولون " أرجوك أعمل قهوة أنا لا أحب الشاي " . ويعملوا لهم قهوة . واحيانا يقول المضيف " آه ، دعنا نصنع شاي أيضاً . والحضور من الناس سيشربون الشاي. وانت تشرب القهوة .

ت ن : ماذا اذا رفض الغريب أن يتناول الغداء أو أي شيء لأنه ليس لديه وقت ؟ هل هذا يعتبر إساءة ؟

عثمان : اذا كان الشخص عادة يأتي الى تلك الاسرة أو الى المضيف وتعوّد أن يقول ذلك

، سيكون هذا بالطبع إساءة وسيقولون " أه ، هذا الشخص هو ليس كريماً نفسه ، رفض أن يأكل أو أن يشرب الشاى مع الناس لأنه هو - هو لا يريد أن يأتوا ويتناولوا الشاى أو الغداء معه حينما يمرون على قريته أو يأتون الى منزله " لكن اذا كان فعلاً مشغول ، هم - هم لا يقولون ذلك - وسوف لن تكون إساءة بالنسبة للمضيف .

ت ن : هل يظن أنك مستعلى أو متكبر أو شيء اذا رفضت أن تأتى إليه ، اذا قلت أنك مرهق وتريد أن تنام ؟

عثمان : بالطبع هذا سوف يكون - لا يمكن أن يقيموا حكماً إلا اذا رأوك تكراراً أو كذا ، بالطبع ، وربما يظنون اذا كنت - اذا انت عادة - اذا كنت فى العادة أو سلوكك يتضمن انك مترفع أو متكبر كذا / ؟ /.

٦٠

ت ن : افترض أن سائح أوربى أتى قريتك وقدم له الطعام وغيره وعندما يذهب ، يريد أن يعطيهما جنيهين ؟

عثمان : لن يستلموها ، لن يأخذوا القروش منه .

عثمان : يقولون - بالطبع - عندما استقبلناك ، استقبلناك كضيف ونحن لا نأخذ قروش من الضيوف أو نأخذ ثمن ما يأكل أو يشرب أو ما نام عليه .

ت ن : هل سيكون ذلك إساءة ؟

عثمان : نعم ، هى إساءة .

ت ن : هل تؤثر في كرامة الشخص أو شرفه ام ماذا ؟

عثمان : لا ، هى تؤثر - لا تؤثر فى كليهما - لا تؤثر فى أى منهما ، لأن الشخص الذى يدفع لطعامه عندما يأتى كضيف ، هم ربما يعتبرونه فقط شخص - خصوصاً - الاوربيين - يعتبرونه كالشخص الذى - ربما يقولون أن الاوربيين هم فى العادة يفعلون هذا وبالطبع ، هو يجهل عاداتنا ، لذلك هم - لا تؤثر فى أى كرامة أو ، شرف .

٦١

ت ن : ماذا عن احترام النفس ؟

عثمان : احترام النفس بالنسبة الى هذا ؟

ت ن : نعم . هل سيتأذى ؟

عثمان : لا . ما دام أن فاعل الفعل أو الرجل الذى قدم المال أو أعطى المال لا يعرف عادات الناس ، سوف لن يؤثر فى أى . لكن اذا كان شخصاً من القرية أو من القرى القريبة المجاورة أو من البلد ، طبعاً سوف يؤثر على كرامة المضيف يقولون نحن لا ـ يقولون عادة " نحن لسنا حلب نحن لا نبيع طعامنا لأجل المال . نحن افتتحنا هذه المنازل أو بنيناها للضيوف يأتون ويأخذون قسطاً من الراحة ويتناولون الغداء والشاى وسراير لأجل ـ حينما يقيمون ـ ولا نقاضيهم أى قروش .

٦٢

ت ن : هل كل منزل به محل ضيافة ـ خلوة ؟

عثمان : كل منزل .

ت ن : نعم

عثمان : اذا ذهبت فى البطانة ، نعم . فى البطانة كل منزل به خلوة

ت ن : نعم . اين البطانة ؟

عثمان : بين الخرطوم والقضارف وكسلا . فى هذه المنطقة

حينما تجد قرية ، تجد فى كل منزل خلوة . لأنهم أناس ـ تشعر كأنما هم متنافسون فى الكرم والضايفة . لذلك لا يمكن أن تأتى إلى شخص وتقول " انى ضيف " ويقول " انا ليس لدى خلوة . هل يمكننى أن اذهب بك الى فلان أو خلوة شخص آخر ؟ فهو يستقبله فى خلوته الخاصة به أو منزله . واذا لم يكن لدى الشخص خلوة أحيانا ، فربما يستقبلك فى منزل الاسرة ويحول الاسرة ويقول لـ ـ زوجته والاطفال " أرجوكم أذهبوا واجلسوا مع الضيوف ـ مع أسرة الجيران . يجب علينا أن نستقبل هذا الضيف . . .

٦٣

ت ن : عندما يقيم الناس وليمة زواج كبيرة ويدعون كثيراً من الناس ، هل ذلك لأنهم يريدون أن يكونوا كرماء أو لماذا أنهم يفعلون ذلك ؟

عثمان : لا ، هذه عادة غريبة جداً . هم يدعونهم ليتحصلوا منهم على المال . نعم تلك حقيقة .

ت ن : كيف ؟

عثمان : هنا في - حينما انت - حينما يتزوج الشخص ، يقيم وليمة ضخمة ويدعوا كل الناس الذين يعرفهم . وعندما يأتون يفرحون ويتمتعون . بالطبع هم - يتناولون الطعام والشراب . وربما يقيمون اليوم كله أو لبعض الساعات القليلة فقط . وحينما يريدون الذهاب الى منازلهم فانهم يدفعون له بعض المال . لأنهم يقولون " الزواج مكلف وهذه نوع من المساعدة "

ت ن : لكن من المؤكد إقامة وليمة الزواج أكثر تكلفة _ ؟

عثمان : نعم . أحياناً يعطي الناس العريس أو والد العريس مبلغاً كثيراً من المال.

ت ن : لكن مؤكد أنك لا تكسب مالاً في الزواج ؟ مؤكد أنك تخسر مالاً أليس كذلك ؟

عثمان : نعم . تخسر . لكن بعض الناس ، حينما يدعوا - عندما يتزوجوا ويقيوا وليمة كبيرة ، لا يأخذون مالاً من الناس . يقولون "آه - نريدك فقط أن تكون موجوداً وتحضر مناسبة الزواج فقط . نحن لا نريد القروش "

ت ن : نعم . هل يعتبر علامة على الكرم أن تقيم وليمة كبيرة ؟

عثمان : لا . ما دام أنك تستلم النقود . فهي ليست كرماً أبداً .

٦٤

ت ن : هل دائماً تستلمون النقود في قريتكم ؟

عثمان : نعم .

ت ن : من الضيوف في وقت الوليمة ؟

عثمان : نعم . والضيوف طبعاً يستعدوا لذلك . فهم يحضرون النقود ويقولوا " ان . دعانا شخص أو ذلك الشخص ولا بد أن نذهب ونحضر وليمته " فيأتون ويستأنسون مع العريس ووالده وأقاربه . وعادة يقابلون كل الناس الذين يعرفونهم من من القرى المجاورة أو البعيدة . ويستأنسون وربما يناقشون شيئاً يهمهم .

ت ن : لكن في الخرطوم ، لا تحصل على هدايا من الضيوف هل تحصل على شيء ؟ في الزواج ؟

عثمان : في الخرطوم حينما يقيموا حفل شاي لا يأخذوا مالاً . لكن اذا أقاموا غداءاً أو عشاءاً أو شيء من ذلك - فهم طبعاً ، انت - أنت تعطيهم القروش - هم - هم لا يسزلونك . اذا حضرت وذهبت من غير أن تعطي أي قروش ، لا يسألونك بأنك لم تعطي مالاً . لكن كما ترى ، حينما تقيم أنت نفسك وليمة ، وليمة زواج وتدعوا ذلك الشخص الذى لم تعطيه مالاً ، فربما يأتي و- ويحضر المناسبة وربما لا يعطيك أي مال لأنك لم تعطيه . ولا يوجد كرم في هذا .

٦٥

ت ن : إنه مكلف جداً أن تتزوج ، أليس كذلك ؟

عثمان : في القرى ، ليس مكلف مثل ما في الخرطوم . طبعاً في الخرطوم توجد أشياء كثيرة هي ال - ربما يحتاج لها لأجل الزواج وهي لا اعتبار لها في القرى . ولذلك عندما تأتي لتتزوج في القرية ، فأنك فقط تشتري عجلاً أو عجلين وسبعة أو ستة خراف وتقدمها في الوليمة وهذا كل ما في الأمر .

ت ن : كم تدعون للزواج في قريتكم ؟

عثمان : آه سيدعون ، سيدعون كل الناس الذين يعرفونهم ، سواء في القرى المجاورة أو في الخرطوم أو — .

ت ن : كم عدد الناس الذين يأتون إلى الزواج في قريتكم ؟ مائة أو مئتان أو خمسمائة أو— ؟

عثمان : آه ، هم - هم ربما يكونوا حوالي أربعمائة أو ستمائة ، لكنهم لا يأتون في

نفس الوقت / ؟ / مثلاً يقولون " يوم السبت ندعو ناس تلك القرية أو هذه أو تلك القرية يوم الأحد ، ندعو أهالي هذه أو تلك القرية " لذلك في نفس اليوم ربما يأتي حوالي مائة أو مائة وخمسون أو تسعون

ت ن : نعم هل تعتقد أنك ستفعل نفس ذلك حينما تتزوج ؟

عثمان : نعم . والدي سوف يصر - لكني فقط سأدعوا أصدقائي وزملائي في الجامعة . طبعاً . لكن والدي سوف يدعو من القرى المجاورة .

٦٦

ت ن : حينما تعطي الناس هدايا في عيد الأضحية هل ذلك علامة على الكرم ؟

عثمان : من الذي قال أننا نعطي هدايا _ ؟

ت ن : حسن ماذا تفعلوا في عيد الأضحية ؟

عثمان : آه - كل شخص يستطيع أن يشتري خروفاً أو _ ربما يشتري وينحر ذلك الخروف ويصنع وليمة صغيرة . وهكذا يدعو الناس . لأنها _ طبعاً قصة الأضحية نفسها هي قصة دينية .

هل سمعتها ؟ (كيف أن إبراهيم قد أمره الله أن يذبح ابنه اسماعيل ، (حذفت هنا .) ___

عثمان : وتذهب القصة إلى أنه حدث أن إبراهيم ذبح ابنه لوجب على كل مسلم أن يذبح ابنائه في كل يوم أضحية . لذلك هذا هو الفداء (فدية ، ثمن ، تضحية) . وهذا الخروف الذي يذبح في عيد الأضحى هو الفداء . لذلك ليس هي مسألة كرم أو - هكذا هم يقيمون الفداء . ينحرون حملاً بدلاً عن ذبح أبنائهم . لذلك يصنعون وليمة صغيرة ويدعون الناس ليأتوهم ليتناولوا الغداء أو الافطار معهم .

ت ن : يعني هذا واجب ديني ؟

عثمان : نعم هو كذلك . ولا يجب على كل انسان أن ينحر حملاً في يوم عيد الأضحية - اولئك الذين يستطيعون أن يشتروه فهو واجب ديني على اولئك القادرين على شرائه . هكذا هي هذه القصة

ت ن : أخبرني شخص بأنه اذا ذبحت حملاً ، يمكنك أن ترسل أجزاء منه إلى جيرانك واصدقائك .

عثمان : اذا كان اصدقائك لا يمكنهم ــ أو لا يستطيعون أن يشتروا حملاً فقراء أو كذا فانك ترسل شيئاً من اللحم إليهم .

ت ن : هل هذا ليس علامة على الكرم بدوره ؟

عثمان : ربما يشكرونك ، ربما يشكرونك ، لكنهم يقولوا " هذا الخروف الذي ينحره كل شخص ، يجب أن لا يحفظ لحمه في المنزل أو أن يؤكل بواسطة الاسرة لوحدها . يجب أن يعطي للجيران والناس الذين لا يستطيعون أن يشتروا خروفاً أو يذبحوا خروف لذلك هو . هو ايضاً يتعلق بمناسبة نحر الخروف نفسه . أيضاً . مسألة دينية .لذلك لا يوجد كرم هنا ، كما اعتقد . لكن الجيران أيضاً ربما يأتون ويشكرونك .

٦٧

ت ن : هل توجد أي ناحية أخرى يمكن أن يظهر فيها كرم الشخص باستثناء استقبال الضيوف ومعاملتهم بصورة جيدة ؟

عثمان : يمكنك ـ أن تظهر الكرم بمساعدة الناس . . .

ت ن : هل الكرم هو مساوٍ للضيافة ؟

عثمان : نعم . حسب ما ـ أعرفه ، لكن لا أدري اذا كان يوجد أي معنى آخر للكرم. وربما تساعدني اذا قدمت لي بعض الاسئلة التي ربما تقود إلى الإجابة .

ت ن : عندما وقع الزلزال في اسكوبلج في يوغسلافيا بدأ الناس في السويد يجمعون المال لمساعدة أولئك الناس .

هل تعتبر ذلك دلالة على الكرم ؟

عثمان : نعم ، لأن من يحتاج إلى المساعدة أو في ضائقة يجب عليك أن تساعده اذا كنت كريماً ، فسوف تساعده ـ ـ ـــ

ت ن : اذا تغيبت عن محاضرة وسألت طالب آخر لترى كراسة مذكراته وأعطاك المذكرات

، فهل تعتقد أن ذلك الطالب كريم ؟

عثمان : لا ، لا أدرى عما اذا كان ذلك يمكن أن يسمى كرماً أم لا لكن انا - حينما انا اتحدث عنه مع صديق آخر ، قلت - ربما أقول أنه متعاون . أطلق عليه صديق فاضل.

ت ن : أو اذا كنت مريضاً لمدة شهرين وأحد زملاؤك من الطلاب قام بتدريسك ما تم دراسته خلال تلك الفترة ، هل تعتقد أنه كريم ؟

عثمان : لا ، هو أيضاً متعاون ، هو صديق فاضل . لا استطيع أن أطلق عليه كريم . طبعاً بالرغم من ذلك ، يجب أن نطلق عليه كريم اذا نحن - - أنه هو أعطي شيء .

ت ن : حسن . لقد أعطي كثيراً من الوقت .

عثمان : نعم . لكن كما ترى انا - لا زلت أحافظ على معنى الكرم الذي تعلمته من أسرتي - .

ت ن : إذن يرتبط ذلك ب - .

عثمان : نعم ، باعطاء المال وبالضيافة

٦٩

ت ن : هل تعتقد أن البطاحين يولون تاكيداً على الكرم والضيافة أكبر من القبائل الأخرى؟

عثمان : نحن - أنا سمعت أناس كثيرين من القبائل الأخرى هم كرماء . لكن والدي وناس القبيلة - من قبيلة البطاحين - لا يعتقدون ابدا بأنه هنالك أناس يمكن أن يكونوا أكثر كرماً منهم . وهم كذلك - يقولون ذلك . لأنهم يقولون ، " نحن يمكننا - حتي الشخص يمكنه أن يعطي - أي شيء ، للضيف أو ليساعد الآخر " حتي ولو ترك نفسه فقط - من غير شيء يأكله أو شيء . ويذكرون - حادثة عمدة البطاحين - وهو يعيش الآن فقط

ت ن : ما اسمه ؟

عثمان : يسمى طه .

ت ن : من أي جهة جاء ؟

عثمان : هو يسكن في قرية - وهو حتى الآن - يسكن في قرية تسمى أبرق في البطانة

شمال الخرطوم.

ت ن : نعم ما هي القصة التي عنه ؟

عثمان : القصة التي عنه - يقولون - عندما يستقبل ضيفاً - هو عادة - كلما استقبل ضيفاً يذبح خروفاً . واذا جئنا مع بعض ، ووصلنا في أوقات مختلفة بالنسبة لكل واحد منا - كلما جاء احدنا ، فهو يذبح له خروفاً . ويقولون أنه في أحد المرات كانت عربة ، شاحنة تحمل خرفاناً ليست ملكاً للعمدة ، يملكها آخر - مسافر . وجاء بعض الناس وتلك القرية التي يسكن فيها العمدة - كانت محطة . وعندما استقبل ضيوفه ، بحث عن شيء ليذبحه لهم ، خروف أو بقرة أو أي شيء فلم يجد . فذهب الى السوق ووجد تلك العربة وبها الخرفان . وعندما جاء المالك قال له " آه لا لا تتحدث . في طريقك تجد قطيع غنمي . أنت يمكنك - أن تأخذ اثنين أو واحدة أو ثلاثة مما يعجبك لأن عندي ضيوف " وقصة أخرى عنه : يقولون أنه جاءه مرة رجل محتاج - يحتاج لبعض المال . جاء ، وجلس ليومين ، وفي اليوم الثالث، بحث حوله - ولم يجد له مالاً كافياً ليعطيه لذلك الرجل. هذا حصان . ال - حينما ذهب حول المحل ليرى اذا كان هناك لا توجد مشكلة . ثم فقط قال له " عليّ الطلاق تأخذ هذا الحصان وتذهب لتبيعه لتحصل على مال . ولذلك يقولون في أي قبيلة لا يمكن أن تجد رجل يمكن أن يعطي أي شيء - يمكن فقط أن يعطوا شيأً مما عندهم - مما يملكون ويحتفظون بما فيه الكفاية لأسرهم .

٧٠

ت ن : هل تعتقد أن الناس في قريتك شديدي الكرم أحياناً ؟

يبالغون في ذلك ؟

عثمان : الكرم الشديد يحصل حينما ال - حينما يأتي ضيف يكون رجلاً غنياً هو نفسه ، يكون رجلاً غنياً هو نفسه . وهم اعتادوا - حينما يأتي شخص هناك - اذا جاء لأجل مهمة عمل في القرية نفسها - لا يَدَعُونه أبداً يدفع مقابل أى شيء يريد أن يقوم بعمله . لذا اعتقد هذا - هذا الإسراف ليس كرماً . فالشخص الذي يأتي لمهمة عمل ويحضر ماله معه لذلك العمل ، لماذا لا تدعه ل - مقابل تكاليف عمله ؟ لذلك يمنعونه ويدفعون له كل ما يكلفه عمله . لذلك اعتقد هذا - هم - هم يبالغون . وشيء آخر اعتقد : عندما - إذا

أنت ـ إذا أنت من أقربائي وجئت في القرية وأنا ليس لدى مال ، فلا يمكن أن أطلب . بالرغم من أني اعرف لديك مال . وليس في ذلك شيء اذا سألتك وقلت " آه أرجوك هل تعطيني خمسة جنيهات ـ سلفني خمسة جنيهات ، وانا ـ وأنا أريد أن اشترى كذا وكذا وانا سوف أرجعها حينما أحصل على بعض المال " فهم لا يفعلون ذلك . لا يفعلون ذلك ـ حتى ولو كنت أخي ـ اذا كنت أخي وجئت كضيف ولا يمكن أن أطلب منك أن تعطيني شيئاً من المال واذهب اشترى أشياء لكن هنا في الجامعة، اتذكر حينما جاء أحد أقربائي هنا وليس عندى شيء من المال ، قلت " آه ليس لدى قروش . لذلك انت ـ لا بد أن تدفع كل تكاليف مواصلتنا في المدينة وغداءنا اذا تناولنا الغداء خارج الجامعة والسينما وكذا . رأوا ، يوجد ـ يوجد ـ .

ت ن : ماذا قال ؟

عثمان : إليه ؟

ت ن : لا ، ماذا قال ؟

عثمان : هو ـ هو ـ لم لم يقل شيئاً . قال :" جميل ، أنا سعيد جداً . لذلك صريح معى وأنا أريدها بهذه الطريقة " لكن هناك ـ لا يمكنك ـ لا يمكنك أن تفعل ذلك ، في القرية . ـ ـ ـ

٧١

ت ن : اذا لم يكن الشخص كريماً ، هل يؤثر ذلك في كرامته ؟ هل تقول أن الشخص غير الكريم ليس له كرامة ؟

عثمان : لا لا يمكنك أن تقول ذلك.

ت ن : ماذا تقول عنه ؟

عثمان : أنا ـ أنا ـ أنا لا اعرف عكس الكرم بالضبط . فقط يطلقون عليه بخيل (جشع)

ت ن : بخيل ؟

عثمان : نعم . الشخص الذى لا ينفق ماله إلا لحاجته الشخصية

ت ن : لكنك لا تقول بأنه ليس لديه ـ ؟

عثمان : لا ، لا ، لا ، لا تؤثر في الفضائل الأخرى . ولكن اذا هم ـ اذا أي شيء ـ اذا هو ـ اذا فعل أي شيء طيب ، يمكن أن يقولوا ، " آه هو فقط متظاهر . هو فقط يتظاهر ـ لا يفعل ذلك بطبعه " أو أنه في عادة عمله لهذا الشيء لأنه هو ـ هو ليس كريماً ـ لا يمكن أن يفعل ذلك .

٧٢

ت ن : اذا استضاف شخص ضيفاً فقط لأنه لا يريد الآخرين من الناس أن يتحدثوا عنه ، هل تقول أنه يكون كريم ؟

عثمان : يستضيف الشخص في أي ناحية ؟

ت ن : حسن ، يستقبل الضيف ويقدم له الطعام والشاي والقهوة وهكذا . لكنه فعل ذلك لمجرد أن جيرانه سيتحدثوا عنه بصورة سيئة اذا لم يفعل ذلك .

عثمان : (ضحك) طبعا . الناس دائماً يحكمون على سلوك الناس مما يظهر لهم . لا يدركون أنه يخاف من الناس . خائف مما يقوله الناس عنه . ما دام أنه استقبل الضيف ـ من ـ من الذي سيشكره ؟ الضيف سيشكره . وطبعا اذا انت اكثر كرما مني ، طبعا ، اننا ـ انا ربما لا أحبك .

ت ن : اذن القصد لا يكون ـ ؟

عثمان : لا ـ لا يؤثر في الفضيلة ذاتها . لأن الناس لا يعرفون ذلك ـ لا يعرفون ـ لا يعرفون ما ـ لا يمكن ان يعرفوا الدافع من وراء ما يفعل الشخص . لكن أحيانا عندما ، عندما يلاحظون ـ بالطبع ، هم ـ يمكنهم أن يكتشفوا ذلك ، ويمكن ان يقولوا انه هو فقط منافق .

ت ن : نعم ، نعم ـ ـ . . هل يؤثر ذلك ؟

عثمان : نعم . اذا تظاهر الشخص فقط بأنه كريم فالناس ربما يعتبرونه كذلك ـ يتظاهر ب ـ على ـ على كل الاشياء ، ربما يقول " آه لا تصدقوه ، هو فقط يتظاهر في كل ما يفعله أو يقول . اذا كان تظاهر بأنه كريم .

ت ن : نعم . هل تعرف أي شخص يسلك هذه الطريقة ؟

عثمان : (ضحك (... انا . لا أعرف شخص بالضبط يتظاهر بانه كريم ، لكن أعرف أناسا كثيرين ، عندما يأتى الضيوف ويزورونهم هم يستقبلونهم لكنهم . لا يسرون بذلك . لا يفرحون . لكن لا يطردون الضيوف . لا يمكن أن يقولوا للضيوف لا نستطيع أن نعطيكم الطعام ولا نستطيع أن ندعكم تجلسون في منزلنا .

ت ن : لماذا لا ؟

عثمان : آه لا يمكنهم . يخافون من الرأى العام أو . رأى الناس .

ت ن : هل تعتقد أن ذلك هو السبب الرئيسي في كرم الناس ؟

عثمان : (ضحك) لماذا . لماذا أن بعض الناس كرماء . ليس لماذا أن كل الناس كرماء . لأن الضيف ربما يذهب ويخبر الناس الآخرين فى القرية أو ربما يخبر اسرته، زوجته . دائماً الزوجات يذهبن وزوجته ربما تذهب وتخبر جارتها وجارتها تخبر الأخرى وسوف تنتشر فى كل المنطقة . ويقولوا . ذلك الرجل طرد الضيوف.

٧٣

ت ن : البطاحين مشهورون بأنهم شجعان أليس هم كذلك ؟

عثمان : شجعان نعم . هم كذلك .

ت ن : كيف يبرهن الشخص على شجاعته ؟

عثمان : اذا . هناك ربما فى المناطق الريفية . قد يكون هناك عدة حالات يمكن أن يبرهن الشخص فيها على شجاعته أو يبرهن أنه شجاع . أحيانا هم . قلت ذلك فى ال . فى تلك المقالة الصغيرة . قلت الشجاعة . ليس هناك فرق بين الشجاعة والحماقة احيانا والموقف نفسه لا يستلزم اظهار الشجاعة والناس فعلاً يظهرونها .

ت ن : نعم . مثلا ؟

عثمان : اذا كان هناك عجل أو ثور هائج يمكن أن تضربه فقط بعصا وترمي به /؟ / أو يمكن أن تقبض عليه فقط بحبل ، شخصان ربما يقبضان عليه بحبل . والبطحاني ربما لا

يفعل ذلك ، فربما يذهب فقط ويواجه الثور . وحتي لو - أما أن يقبض عليه من - من ذنبه ويحاول أن يرمي به على الأرض واذا أتاه الثور بوجهه ربما يقبض عليه من قرنيه ويحاول أن يرمي به على الارض . لكنه لا يدع الثور يذهب أبداً . حتي ولو - اذا أصابه أذى بهذه الطريقة إلا اذا كان غير واع وحتي لو كان غير واع ربما يقولوا له أيضاً " انت لست غير واع لكنك - كنت خائفاً . " هو فقط يتظاهر بأنه غير واع . ولذلك ليس هناك - كما ارى - ليس في هذا شجاعة . يمكن أن تكون شجاعاً مع الناس مثلاً: اذا ووجهت - اذا لقيك شخص في طريقك وفوراً اساءك واراد أن يقاتلك ، اذا قلت " آه لا أريد أن اقاتلك . انت رجل فاضل ، وأنا ليس لدى شيء فيما تقوله عني " ، وفقط قصدت تركه او الذهاب بعيدا عنه وهو أيضاً وقف أمامك وقال : " لا لا بد أن تقاتلني " . طبعااذا فورا قاتلت ذلك الرجل وهزمته ربما تكون شجاعاً . لكن أنت انت تذهب وتقاتل الحيوانات فليس توجد شجاعة في هذا حسب رأى .

٧٤

ت ن : هل لديكم ممارسات الزواج هذه التي أخبرني على عنها ؟

في الزواج أحد الرجال الشبان يجلد الآخر بالسوط ليثبت أنه شجاع .

عثمان : نعم ، لكن - .

ت ن : هل لديكم ذلك في قريتكم ؟

عثمان : نعم ، لدينا لكن ليس - ليس كثيراً . شباب البطاحين لا - لا يمارسون ذلك - يسمونه بطانا (جلد ، جلد بالسوط) لكنهم لا يمارسونه .

ت ن : ماذا تعني تسميته بالبطان ؟

عثمان : البطان - هو - هو من الفعل يباطن - لكن بالطبع هذا اكثر صعوبة - يباطن معناها - يجلد - أو يضرب .

ت ن : آه يعني هو الجلد نفسه - .

عثمان : يسمي البطان ، نعم . فشباب البطاحين لا يمارسون البطان .

ت ن : هل رأيته في قريتك ؟

عثمان : نعم . عندما كنا صغار ، كنا تمارسه أنفسنا .

ت ن : نعم . .

عثمان : كنا نذهب و . نحضر عروق الشجرة . آه ، هو صعب جداً جداً جداً جداً هو قاس جداً . ونحن لا نقوم به ، نخاف منه . لكن هناك . الناس الذين هم اكبر منا ، الاولاد ومن هم اكبر منا يقولون " آه يجب عليكم . اذا انتم لا تمارسون البطان مع ذلك . مع ذلك الشخص ، فأنت جبان " . ثم نذهب وكل واحد يحضر سوطه ونجلد بعضنا البعض.

ت ن : ماذا تفعلون بعروق الشجرة ؟

عثمان : نجلد انفسنا .

ت ن : بالعروق .

عثمان : نعم ، نحضر العروق . لانهم يقولون أن العروق سوف لا . سوف لا تنكسر أو لا تنقطع بسرعة . ولذلك نحضر العروق ، ونقوم ـــ بالطبع أحياناً، عندما يذهب . يذهب ، يذهب لمنزله ، ربما يصرخ ويخبر والده أو والدته أن شخص ما قال لي أو أخي الأكبر . الأكبر مني . قال لي أن أذهب وأمارس البطان مع ذلك الشخص .

ت ن : كيف تمارسونه ؟

عثمان : فقط هم يقفون . بالطبع ، كل واحد مرة . وطبعاً يقولون " أبدا انت أولاً " . ونقف فقط على بعد مما نجلس . تقف و . ب . تخلع ملابسك و . ظهرك عارياً والرجل مباشرة يضربه أو يجلده . وطبعا ال . الباقي من . من الجلد يتتالى على الظهر . وربما يضربك مرتين أو ثلاثة وعندما ينتهي من جلدك فانت أيضاً تضربه نفس العدد .

ت ن : هل تسبب لك جروح ؟

عثمان : نعم . ربما تسبب جرحاً ينتهي بعد بعض الوقت. ربما يسبب ازعاجاً .

ت ن : ماذا تقولون اذا تحمل الصبي ذلك ؟ هل تقولون أنه شاطر (شجاع) أو . ؟

عثمان : هم . هم عادة يتحملونه . هم . هم لا . لا يبكون وليس فيه شجاعة كما

اعتقد .

ت ن : لكن يعتقدون أن فيه شجاعة ؟

عثمان : نعم . يعتقدون أنهم شجعان.

٧٥

ت ن : نعم. هل توجد أي ممارسات تشبه هذا النوع ؟ - هل أحرقت ذراعك ، على سبيل المثال ؟

عثمان : نعم ، يفعلون - هم يمارسون ذلك بالتأكيد . لكن هذا - هذا يمارس فقط بواسطة ال - بواسطة الناس الصغار ، الاطفال الصغار عندما كنا في المدارس الأولية و - .

ت ن : نعم ، ماذا تسمون ذلك ؟

عثمان : شطارة (حرفيا هي الشقاوة ، مهارة ، ذكاء ، حذق).

ت ن : الشطارة . هل هي أيضاً علامة على الشجاعة ؟

عثمان : لا . هم فقط يقولون أن الاولاد الكبار لديهم هذه العلامات أو هذه الجروح ويجب أن يكون لدينا مثلها . فهي تظهر أنك ايضا رجل. لأنك اذا - اذا شعرت أنها تؤلك أو أنها صعبة ، يمكنك أن تتركها. لا يشاهدك أي أحد ، أنت تقوم بعملها بمفردك.

ليس فيها شجاعة أو - .

ت ن : هل يمكن أن يقوموا بها مع بعض ؟

عثمان : أحيانا . أحيانا ربما نناوىء بعضنا البعض ونقول ، " تأتى لنمارس " وقد ترفض ، ولا أحد يناديك - ونطلق عليك جبان .

ت ن : هل هذه الممارسة لا تزال موجودة ؟

عثمان : لا . نحن أنفسنا لم نمارسها.

ت ن : أليس لديك أي علامات كهذه ؟

عثمان : لا .

ت ن : ابراهيم لديه كثير منها .

٧٦

عثمان : نعم - أذكر قصة واحدة توضح - لقد أخبرت فقط بهذه القصة . وابطال القصة لا زالوا على قيد الحياة . ثلاثة فتيان من قبيلة البطاحين هزموا ثلاثمائة شخص . وهذا صحيح .

الفتيان الأربعة لديهم قطيع من الابقار دخل فى مزارع قبيلة أخرى تسمى - - وعندما ذهبوا لإحضار الابقار ، هم - هم - أخذوا حماراً من امرأة من - من قرية ، تسكن فى قرية في الطريق . " وقالوا " دعى هذا الحمار يحمل لنا الماء لنضع - ماعنا " و - معهم سيوفهم طبعا . هم رعاة ، سيوفهم ودرقاتهم مع عصى بالإضافة إليها . عندما هم - عندما سمعوا (؟) ال - - رفضوا أن يسلموهم أبقارهم . وجدوا الابقار فى - فى أحد القرى ، ليس فى - ، وسكان القرية يصلون الى خمسين شخص أو - وبدأوا مباشرة يجلدون الجماعة.

واستسلم أهل القرية . وأخذوا الابقار وذهبوا بها . وذهب أهل القرية الى كل القرى المجاورة التى يسكنها أناس من نفس القبيلة أو نفس الاعضاء ، نفس أعضاء القبيلة . وقد حضر حوالي سكان سبعة قرى قيل أنهم يصل عددهم ثلاثمائة شخص . مسلحون . وأولئك الفتيان الاربعة كان يمكنهم - يمكنهم أن ينجوا منهم . لكن كان الحمار كسلان جداً . لا يمكنه - لم يمكنه أن يسير . وقالوا " آه لقد أخذنا هذا الحمار من تلك المرأة فكيف نتركه ؟ ليأخذه أولئك الناس . ماذا نقول لها ، طبعاً هذا - - خوف محض " . لذا ، ساروا ببطء . عندما أتى الجماعة أمروا احدهم - كلهم أخوة - الاربعة الأخيرين / ؟ / كلهم اخوة - امروا أحدهم أن يأخذ الحمار ويطرد أمامه الابقار وبدأوا هم يقاتلون.

ت ن : بسيوفهم ؟

عثمان : بالسيوف وقد استطاعوا أن يمنعوا الجماعة من أن يتحركوا الى الامام. وأحدهم - طبعا عندما لم يتسطيع الجماعة أن يقاتلوهم بالسيوف - وبالحراب، طبعا هم - هم - هم كان مهرة في اللعب بسيوفهم ولذلك بدأوا يرموهم بالحجارة . ثم انهم - كسروا أسنانهم . وأحد الثلاثة انكسر ذراعه . وعندما هو - انكسر ذراعه لم - لم يجر منهم .

فثبت هناك وبدأ يغني لأخويه ليشجعهم أن يقاتلوا ولذلك استطاعوا أن يثبتوا ضد هؤلاء الثلاثمائة شخص . ولا زال هؤلاء أحياء الشبان الاربعة

ت ن : كيف هربوا في النهاية ؟

عثمان : عفوا ؟

عثمان : آه عندما هم - هم - الجماعة - جماعة ال - أو جماعة ال - - القبيلة أرسلوا للبوليس . ولما جاء البوليس كانوا قد استسلموا . طبعا عندما جاء البوليس . وهكذا انتهت .

ت ن : هل تعتقد أن هذه شجاعة حقيقية ؟

عثمان : نعم . هذه شجاعة حقيقية. وبالطبع يقولون أي - أي شخص ليس شجاعا طبعا لا يستطيع أن يثبت ضد هذا العدد .

٧٧

ت ن : هل تعتقد أن الطلاب جبناء عند يهربون من البوليس ؟

- - -

عثمان : من البوليس في المظاهرات ؟ نعم نعتقد بالتأكيد .

ت ن : هل كل الطلاب يعتقدون ذلك ؟

عثمان : لا . لا يعتقدون . طبعا سمعنا من بعضهم بأن الشخص يجب أن يهرب لأن هذه خطة فأنت تجري لأنك - لأنك لا تريد المظاهرة أن تنتهي بسرعة . فأنت تجري للتجمع في - في ركن آخر أو في مكان آخر وتعاود المظاهرة. لكن نحن " قلنا " آه ، نحن لا يمكن أن نؤمن بذلك . لا تجري أبداً ، لانك تجري لأنك خائف من ال - العصا أو السوط أو الجلد من جانب البوليس " ولذا فاني - أحيانا أذهب بالتأكيد أجري . لكن صديقي ذاك هو ، يذهب ولا يجري أبداً . وفي أحد المرات ضربه البوليس وأصيب إصابة بالغة . وقد مكث في المستشفى حوالي خمسة عشر يوما. ولذلك الاصدقاء - أصدقاءه ونحن قلنا له " يجب أن لا

تذهب . الكل ـ الكل عليك فوراً أن تجرى كما يجرى الناس الآخرين .

٧٨

عثمان : وصديقي هذا ـ هو ـ اسرته بالتأكيد ، اسرته عندها ـ عادة خاصة ، أو لها عادات خاصة . هم ـ هم لا ـ لا يخافون أى شيء . هذا ما يعملون عادة . اذا تحدثوا الي الوزير ، الي البوليس ، الي الحاكم الي الضابط أو الي ـ ، فقط يقولون ما يريدون أن يقولوا . لذلك فهم ـ هم يعتقدون أنه حتى أن تجري ـ اذا انت ـ لم تجرِ سواء من ـ من رجل ، من حيوان ، من معز ، من أى شيء آخر . لا تجرِ .

ت ن : هل تعتقد أن هذه مبالغة ؟

عثمان : نعم . وبالطبع أرى انها اذا كانت مسألة ـ اذا كان هناك مطر وخشيت ان يصيبك برد ، يمكن أن تجرى . يقولون لا . حينما تجرى فانك فقط تمارس ـ ـ ـ لا يهربون أبدا . حتى لو رأيت منزلك يحترق ، لا تجرِ . فقط تستمر وعندما تصل هناك يمكنك أن تنقذ ما يمكن إنقاذه . هكذا هذا ما يعتقدونه عن الجرى . لكن اعتقد أن البطحاني ـ طبعا ال ـ ولد القبيلة بدأ يفكر بصورة مختلفة حول هذه العادة / ؟ / .

٧٩

ت ن : اذا هددت الحكومة الطلاب واستمروا مع ذلك في الإضراب، هل تعتقد أن ذلك يوضح أنهم شجعان ؟

عثمان : هنا طبعا لا توجد ـ لا شجاعة . انت لا تواجه أي أحد / ؟ / وجهاً لوجه ، طبعا . هنا كل ما يفعله الطلاب مبني على العقل أو مبني علي ـ هم يدافعون عن شيء بالوسائل التي في أيديهم . طبعا قد تأتى مرحلة معية يسطيعوا فيها ـ لا يستطيعوا فيها أن يستعملوا هذه الوسيلة ل – أو هذه الوسيلة ربما تكون عقيمة أو بلا جدوى أو ـ

ت ن : أفرض أن الطالب يواجه المحنة التالية . إما أن يذهب السجن أو بخلاف ذلك يرجع الي الجامعة . اذا اختار أن يذهب السجن . هل تعتقد أن هذا يظهر أنه رجل شجاع ؟

عثمان : نعم ، اعتقد أيضاً الشجاعة فى الفكر أو الشجاعة فى التفكير ايضاً ـ فى التفكير ـ عندما تفكر فى شيء وانت ـ لا تستسلم عندما تعتقد أن هذا صحيح . وبالطبع،

اعتقد ، أن الطالب ـ الطلاب ربما يذهبون للسجن . أقول لا يمكنك ، لأننا حينما نصارع لنؤكد على الحرية الأكاديمية أو حرية الجامعة لأشخاصنا ، ربما نذهب هذه السنة أو ربما نتخرج هذا العام أو العام القادم ـ لكن بالنسبة للأجيال القادمة ـ لذلك لا يمكن أن ـ لا يمكن ان تذهب للجامعة ويجب أن تضحى ـ لأجل ـ "

ت ن : هذا يمكن نسميه الشجاعة الأخلاقية .

عثمان : نعم ، الشجاعة الأخلاقية

٨٠

ت ن : هل تعتقد أن الاساتذة السودانيين يفتقدون الشجاعة الأخلاقية لأنهم لم يستقيلوا؟

عثمان : بالطبع هم كذلك . انت تعرف ذلك اكثر منا . من ـ ـ من الوقت الذي بدأنا فيه الاضراب وجاءوا وناقشوا معنا . وقالوا " يجب أن تنتظروا ، ويجب أن لا تفعلوا أي شيء قبل أن نتخذ قرار ، " وهكذا . لذلك قلنا لهم انتم جبناء .

ت ن : ماذا قالوا ؟

عثمان : آه قالوا " انتم حمقاء "

ت ن : ماذا يعتقد الناس فى قريتك فى هذا الموضوع ؟

هل يقولون أن اساتذة الجامعة هؤلاء حمقاء ام أنهم شجعان ؟ أو ماذ يقولون؟

عثمان : آه يقولون ـ " هم جبناء " يسمونهم جبناء .

ت ن : هل يقولون ذلك ؟

عثمان : نعم طبعا ، فى القرى يقولون إن " الله لا يترك انسان يموت أو يدع انسان يموت بالجوع . وانتم كذلك ـ " يقولون ، لماذا هم يخافون أن يفقدوا وظائفهم فى الجامعة؟ يمكنهم أن يجدوا وظائف مثلما إنهم يمكنهم أن يعيشوا . سوف لا يموتون من الجوع أو ـ أو هكذا ـ لذا فهم جبناء " .

ت ن : لذا تعتقد أنه من الواجب أن يقرروا ـ ـ ؟

عثمان : نعم ، نعم ، لا اعتقد لأنهم ـ يمكن ـ هم ـ هم ـ لا يمكن أن يموتوا بالجوع ـ اقول ـ أقول هذا سيضع الحكومة تحت ـ تشعر ال ـ المشكلة ـ أنها ليست بالسهلة أن ـ أن تضيف الجامعة لوزارة التربية . هي ليست بالسهلة. وبالطبع هذا سوف ـ الحكومة ستواجه مشكلة ال ـ إكمال أساتذة الجامعة وإحضار أساتذة من الخارج وهذا ، طبعا نفسه صعب . لا يمكن أن يجدوهم بسهولة. ويحتاج ذلك الى وقت وهكذا . اعتقد أن هذا ـ اذا استقالوا ، فسوف ـ ربما يساعد الموقف ، في جانبنا.

٨١

ت ن : هل لديكم هذه الممارسة في جرح الانسان لذراعه ليظهر أنه شجاع ؟

عثمان :

ت ن : نعم

عثمان : انا ـ انا ـ انا رأيتها مرة واحدة . تمارس مرة واحد .

ت ن : في قريتك ؟

عثمان : نعم بواسطة أحد هو ـ نعم هو بطحاني نعم . لا ليظهر الشجاعة. كما ترى ، يقولون ، يعتقد البطاحين أن الإنسان في حالته العقلية المعتادة ربما ـ ربما ـ ربما يتخيل أن الشيء كبير أو لا يمكن مواجهته أو لا يمكن مقاتلته . لكن حينما هو ـ يواجه خطرا حقيقياً هو يصبح شخصاً أخر ـ موجود أخر . سوف لا يخشى أي شيء .

ت ن : لكن أليس لديكم هذه الممارسة في الزواجات ؟

عثمان : جرح الذراع هذا ؟ انا ـ انا أحاول أن ـ أن اشرح ذلك جرح الذراع هذا ـ تلك الحادثة نفسها ـ أنا رأيتها ، لكن لم أستطع احتمل ال ـ المنظر. أنا ذهبت ـ ذهبت بعيداً الى منزلنا ومكثت هنالك.

ت ن : هل تعتقد أنه شائع ؟

عثمان : لا . لا ليس شائعاً . لكن ذلك الشخص هو مشهور بحماقته . هم ـ هم ـ هم يقولون حينما أن الانسان ـ توجد امرأة تغني وأتى بيت شعر ربما هم يقولون ، يهز مشاعر أو عواطف الولد فربما يفعل أي شيء . ربما هو ـ رأيت ذلك الشخص الذي جرح ذراعه ـ

عدة مرات ضرب نفسه ، وأرجله بالسوط . وهكذا ترى ، عندما يرقصون - حينما ترقص أمرأة في ال

٥ – مقابلة مع على وابراهيم وعثمان ، ٧ فبراير ١٩٦٤م :

٨٤

ت ن : هل الامانة فضيلة مهمة ؟ ماذا ترى يا على ؟

على : لا اعتقد أنها كذلك - هي ليست مهمة مثل الفضائل الأخرى ، الشجاعة والضيافة واحترام النفس / ؟ / .

ت ن : لماذا ذلك ؟ . . . هل تعتقد أنت نفسك أنه أعظم لك أن تكون كريماً من أن تكون أميناً ؟

على : لا طبعا - اعتقد - اعتقد أنا شخصيا أنها اكثر أهمية ، أكثر أهمية من الكرم ولكن اخبرني الآخرون أن هذه هي الفضائل ربما يمكن شرحها بواسطة بيئات الناس الجغرافية . وبما أن الكرم هو - يمكن شرحه بهذه الطريقة - لكن الامانة لا اعتقد

ت ن : يعني حينما يفكر الناس في الشخص السوداني الفاضل أو كذا ، لا يفكرون في الامانة ؟

على : لا أظنهم يقولون أن الشخص السوداني هو الرجل الكريم، الشجاع، الشريف الذي يحترم نفسه وهكذا . لكنهم لا يضمنون الامانة.

ت ن : هل توافق على ذلك يا ابراهيم وعثمان ؟

ابراهيم : حسن اعتقد أن الفضائل هي / ؟ / - تقف في نفس المستوى مع الفضائل المهمة الاخرى التي ذكرتها، مثلا ، قل احترام النفس والكرم وهكذا . وفي الحقيقة أن السودانيين يحترمون الشخص الامين . فالشخص الامين على الدوام بمعنى أنه - هو صريح في - في ما يقوله وصريح في ما يراه وفي نفس الوقت أمين بمعنى أنه - أنه رجل يؤتمن ، خصوصاً حين التعامل بالسلع وهكذا وحين تناول أي نوع من الكلام المهم /؟ / . . .

على : ربما . . . أن الامانة مضمنة في احترام النفس . لأن الرجل - واحدة من خصائص الرجل الذي يحترم نفسه هي أنه أمين ربما أنهم يفكرون فيها بهذه الطريقة .

ت ن : نعم ماذا ترى في هذه الفكرة يا عثمان ؟

عثمان : اعتقد - أن ما قاله ابراهيم وعلي عن الامانة إنما هو آراءهم الشخصية وليس ما يراه الناس عنها . . . أعتقد أن الامانة هي مهمة مثل أهمية الفضائل الأخرى .

٨٥

ت ن : هل تعتقد أن الامانة مضمنة في احترام النفس ؟

عثمان : ما دام هي فضيلة اعتقد أنها - يمكن أن تضمن . اذا كان الشخص غير أمين ربما يجد نفسه في اشكالات. ربما يسخر الناس منه أو يستزلوه. أنا اعتقد أنها مضمنة في احترام النفس.

ت ن : ماذا يحدث للشخص غير الامين ؟ كيف يعامل ؟

عثمان : لا يحترموه ، لا يتعاملوا معه . مثلا ، اذا كان في حاجة ماسة وجاء وقال أنه يريد كذا من شخص آخر فسوف يقول له " آه أنت فقط كذاب. أنا لا أثق فيك . " يعني الشخص غير الامين لا يحترم.

ت ن : لماذا يجب أن يكون الشخص أميناً ؟ ماذا يظن الناس في ذلك ؟ ما هو دافعهم ليكونوا أمناء ؟

عثمان : فقط ليستمروا في الحياة . فقط يستمروا في الحياة . طبعا اذا رفضت، اعتقد لا يمكنك بسهولة أو بطريقة مريحة أن تستمر في الحياة مع الآخرين. اذا كان كل الناس يحفظون عهودهم وأنت لا تفعل ، بالطبع سيكون صعبا عليك.

٨٦

ت ن : افترض أن شخصاً أعطى وعدا لشخص في فراش الموت سراً ، وخرق الوعد - هل تعتقد أن يكون ذلك خطيرا .

علي : ماذا وعده ؟

ابراهيم : شخص في فراش الموت ؟ - أم شخص ميت ؟

ت ن : شخص في فراش الموت . . . طلب من أحد أن يعمل شيئاً ووعده أن يفعله ولا

يدرى أحد غيره بذلك . يعني لا تترتب نتائج سيئه بالنسبة له اذا خرق الوعد. ماذا تعتقد أن الناس يرون في هذا ؟

ابراهيم : حسن، هذا شيء خاص في المجتمع السوداني . هو يحترم بشده أي شيء يقوله شخص في فراش الموت هو دائما - يقدّر وهم ينفذونه خاصة فيما يتعلق بممتلكاته وهكذا. يعني هم - هم ينفذونه بغض النظر عن أي شيء آخر .

ت ن : حتى اذا لم يسمع به شخص آخر ؟

ابراهيم : نعم ، نعم . وخاصة اذا كان الشخص الذي في فراش الموت من اقربائك . و - . على أي حال عندك مثال : كان لدينا أحد أقربائنا توفي اثناء هذه الإجازة وكل شيء قاله نفذه ابناءه وبناته . وعادة هم يكتبون ذلك حتى لا ينسونه . اذا قال " حسن " من مالي اعطوا شخص اسمه كذا وكذا كمية كذا وكذا فيعطونه من غير تردد ، لأنه في المجتمع السوداني / ؟ / يحترمون ما يقوله الشخص الذي في فراش الموت .

ت ن : هل تعتقد أن ذلك صحيح ؟

عثمان : نعم ، كما قال علي ، اذا قال هذا الرجل الذي في فراش الموت لأحد أقربائه نفذ عملا ما أفعل شيئا له علاقة بممتلكاته ، فهذا الرجل يجب أن ينفذ ذلك. ولكن بالنسبة لشخص آخر أو شخص ليس من أقرباء الشخص الذي على فراش الموت ، اذا كان يتعلق بالمال - مثلاً ، اذا كان الشخص الذي علي فراش الموت مدين لذلك الرجل بمائة جنيه مثلا وقال له " ارجوك أن تسلم هذه - هذا المبلغ من المال لابنائي بعد موتي " وابناءه وورثته لا يعلمون عن هذه السلفية ، ربما هو - ربما هو - ربما لا يحفظ وعده . ربما لا يخبرهم بأنه - والدهم مدين له . بمائة جنيه.

ابراهيم : هذا اعتقد، هذا طبيعي . اذا دفع شخص علي فراش الموت لشخص آخر مبلغا من المال و - لأجل أن يعطيه لأخواته أو أبنائه ، ولم يفعل ذلك ، فهذا خطأ . هو خطأ الشخص الذي إئتومن أن يفعل ذلك. وهذا نوع من عدم الامانة. ومن الطبيعي ليس كل الناس ينفون ما وعدوا بعمله . . . .

٦ - مقابلة مع علي ٩ فبراير ١٩٦٤م :

٨٧

ت ن : ماذا تقول فى شخص يكرم أو يضيف شخصاً فقط لأنه لا يريد أن يسىء سمعته؟

علي : اعتقد ، فى هذه الحالة لا احترم هذا الرجل . فالدافع من وراء هذا الفعل ليس حسنا جدا ، اعنى ليس حسنا .

ت ن : هل تعتقد أن هذا رأي عام أم لا - ؟

علي : لا هذا رأى الشخصي.

ت ن : نعم . هل تعتقد أن الناس يختلفون هنا ؟ هل يضعون تأكيداً على الدوافع ؟

علي : الناس هنا - نعم . فالأخلاق الاسلامية تؤكد الدوافع. الدور الذي يلعبه الدافع - بالدوافع ، المقاصد .

ت ن : نعم . لكن أليس أنه تقريباً من الشائع أن الناس كرماء ومضيافين فقط لأنهم لا يريدون أن تسوء سمعتهم ؟

علي : ليس كلهم طبعا ، لكن بعضهم . بعض منهم .

ت ن : اذا أعطيت مالا لشحاذ هل تعتقد أنه يوجد أى فرق بالنسبة لك سواء اعطيتها إياه علناً بحيث يراك الناس أو عملت ذلك بحيث أن لا يراك أحد ؟

علي : أفضل أن أعمل ذلك سراً . بحيث لا يرانى أحد .

ت ن : نعم . لماذا ؟

علي : فى القرآن توجد أية تقول - أنا غير متأكد عما اذا كان هذا القول فى القرآن أو أحد أحاديث الرسول (صلى الله عليه - وسلم -) - بأنه حينما تعطى شيئا لشحاذ حاول دائماً أن لا تعرف ، حتي أن يدك اليسرى لا تعرف ماذا فعلت يدك اليمنى .

ت ن : هل تعتقد أن أغلب الناس يتفقون معك هنا ؟

علي : أنا لست متأكدا جدا . البعض ربما يتفقون . والبعض ربما لا يتفقون . لكن - .

٨٩

ت ن : أفرض أن شخصا ما أفطر فى رمضان - هل تعتقد أنه أسوأ بالنسبة له أن

يفعل لك علانية من أن يفعله سرا ؟

علي : طبعا . هي أسوأ اذا فعلها علانية.

ت ن : نعم . لماذا ؟

علي : اذا أنت عاصيا لله ، لماذا لا تفعل ذلك سرا ؟ أعني لا حاجة لك في أن تظهر ذلك ، أعني ، عدم الطاعة للآخرين من الناس ، تماما مثل البلد لا يريد أن يظهر مساوئه أو ما هو سيء فيه للعالم الآخر . للعالم الخارجي . يعني هذه مسألة بينك وبين الله.

ت ن : نعم . ما يجعلها أسوأ أن تقام في العلن ؟

علي : اعتقد أن الشخص سوف ، اعتقد . يستفز مشاعر الناس الآخرين الذين هم مسلمون.

ت ن : نعم ـ اذا أفطر الناس هل يؤثر نوع الدافع الذي لديهم نحو الصيام.

علي : طبعا ـ أهم دافع هو الدافع الديني . واذا فحصنا هذا الدافع الديني ، هذا يشمل دوافع أخرى ، دافع يتعلق بالصحة ، بالشعور بالجوع ، أن تكون عطوفا على الفقراء وهكذا . لذا أعني اذا كان أحد هذه هي دوافعك ـ أن تشعر بالجوع أو أن تكون متفانياً ـ هي تجعل / ؟ / بعض الناس يصومون ـ طبعا ، القرآن ـ اعتقد في هذه الحالة أن الدافع متضمن في الدافع الديني .

ت ن : اذن تعتقد أن ذلك يكون صحيحا ؟ اذا صام شخص فقط لان ذلك صحيح بالنسبة له من وجهة النظر الطبية ؟

علي : طبعا . اعني ، هذا أيضا متضمن في الدافع الديني . لأن الدين يوصي بالصيام لأسباب مختلفة . وهذا ربما يكون أحد الأسباب .

٩٠

ت ن : نعم لماذا تصوم أنت نفسك ؟

علي : طبعا ، الصوم هو أحد اركان الاسلام الخمسة .

ت ن : هل تؤدي كل هذه الواجبات ـ انواع الواجبات الخمسة ؟

علي : نعم . الخمسة واجبات أن - أو اركان الاسلام - لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والصلاة ، والصوم والحج . وطبعا بالنسبة لأولئك الذين يستطيعوا - الذين يستطيعون الذهاب الي مكة . ثم هناك أربعة الاثنان الأوائل - شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أعني ، كل شخص يؤمن بذلك . ثم يأتي الصوم والصلاة . وهنا ، وهنا يأتي الفرق ، لأن بعض الناس يؤدون الصيام ولا يؤدون الصلاة بعض الأحيان يصلون أو بعض الأحيان . . . .

٩١

ت ن : هل تخطط للذهاب لمكة حينما تكون مستطيعا ؟

علي : كما ترى جيل الشباب هذا يعتقدون أن الشخص عليه أن يذهب الي مكة عندما يصبح كبيراً في السن لأن كل ذنوبك تغفر عندما تذهب إلى مكة لذلك يقولون لماذا لا تتأخر ثم تذهب الي مكة وتؤدى الحج ؟ وهم - عادة ، يشعرون بالاستغراب عندما يسمعون أن شاباً يذهب الي مكة. أذكر في الداخلية قبل يومين قال أحد الطلاب أنه يخطط ليذهب الي مكة فضحك البعض.

ت ن : ماذا ترى أنت نفسك في ذلك ؟

علي : إذا الشخص يستطيع ذلك اعتقد أنه لا شيء في ذلك ليست هي مسألة عمر.

ت ن : يعني اذا كنت قادرا في ظرف خمسة سنوات سوف تقوم بأدائه أم أنك ستؤجله لأربعين سنة أخرى ؟ - . . . .

علي : ربما - تقريبا .

ت ن : أنت لست متأكدا . . .

علي : ليس شديد التأكيد . كما تري - أعني - في الاربعة سنوات الماضية كان معي نقود . لكن بدلا عن الذهاب الي مكة ذهبت زيارة لمصر وشرق أفريقيا و -

ت ن : هل تعتقد أن ذلك سيئ ؟

علي : اعتقد أنه ليس سيئا لأنه من ناحية هو نوع من التجربة تبادل الاراء ومعرفة آخرين من الناس وهكذا. والحج نفسه له فوائد أيضاً . اذن ذهابي الي شرق افريقيا هو

أيضاً نوع من الحج كما اعتقد.

ت ن : هل تعتقد أن الله سيعتبر أنه من عدم الاخلاص أن ينتظر الشخص حتى يصير كبيراً لتغفر خطاياه بدلا عن الذهاب حاليا الى مكة ؟

على : هذا يتعلق بالله وحده ، على ما اعتقد.

ت ن : هل أنت نفسك تعتقد أنه ليس من الإخلاص ؟

على : ليس هو عدم اخلاص ، لكنه عدم عمق الإيمان . هذا يعتمد على عمق الإيمان.

٩٢

ت ن : ما رأيك فى أولئك الطلاب الذين لا يصومون فى رمضان ؟

على : ماذا تعني بالطلاب المسلمين ؟ لأنهم كلهم طلاب مسلمون ، أو معظمهم مسلمون.

ت ن : نعم ما رأيك فى أولئك الذين لا يصومون ؟

على : اعتقد أنها مشكلة الدين . كما قلت تلك علاقة بين الله والشخص نفسه . وليس لي الحق أن أتدخل مع الله / ؟ / .

ت ن : هل أبداً صمت فى أى وقت فى السنة بالإضافة الى رمضان ؟

على : لا

ت ن : أما ترى أن على المرء أن يفعل ذلك أحياناً ؟

على : نعم إذا احتاج المرء الى ذلك . ولكن اذا لم يحتاج ، لماذا يصوم ؟ - بالرغم من أن الصوم هو أيضا ، أعني ، توصي عليه الاحاديث النبوية . ليس فقط أثناء رمضان – لكن -

٩٣

ت ن : هل تعتقد أن شخصاً وحيدا على جزيرة يمكن أن يكون له أى أخلاق ؟ هل لديه أخلاق أبداً ؟

على : أعني ، هذا يعتمد - على تعريف الأخلاق .

ت ن : نعم . لكن أنت نفسك ماذا ترى فى ذلك - رأيك أنت الشخصى ؟

علي : لا اعتقد أنه بأستطاعته ، لأن الأخلاق هي نوع من - تتعلق بالعلاقات بين أفراد البشر . يعني إذا لم يكن هناك بشر باستثنائه على الجزيرة لا اعتقد . . أي أخلاق.

ت ن : نعم . لكن هناك علاقة بينه وبين الله أليس كذلك ؟

علي : أتعني - المثال غير واضح .

ت ن : لديك شخص منفرد على جزيرة - - .

علي : وِلد هناك ؟

ت ن : لا، جاء الى هناك . أليس من واجبه أن يحافظ على رمضان مثلاً ؟ وأن يعطي الصلوات ، ولو كان منفردا على الجزيرة ؟

علي : نعم

ت ن : لكنك ألا ترى أن تلك واجبات أخلاقية . ألا ترى ؟

علي : لا لا أرى . - لان الأخلاق ، أعني ، تتعلق بالعلاقات بين البشر . ليس بين البشر والله.

ت ن : نعم يعني اذا كان شخص لا يؤدي واجباته الدينية هذا لا يجعله سيء أخلاقيا ؟

علي : رأى الخاص : نعم لأنه كما قلت لك ، هذا فقط يتعلق بهذا الشخص. اعني ليس لي الحق أن أتدخل مع ذلك الشخص / ؟ /

ت ن : يعني اتعتقد أن ذلك الرجل يمكنه أن يكون فاضلاً أخلاقيا من غير أن يؤدي واجباته الدينية ؟

علي : هذا أيضا سؤال عما اذا كانت الأخلاق غير معتمدة على الدين . هي مستقلة عن الدين .

ت ن : نعم - أليس للشخص واجبات تجاه الحيوانات ؟

علي : اذا كان هذا الشخص بمفرده على الجزيرة عذب الحيوانات ، هل نقول أن هذا سيجعله سيئا أخلاقيا ؟

علي : . . . كل ذلك يعتمد على تعريف الأخلاق .

ت ن : نعم ـ ماذا ترى أنت شخصيا ؟ هل تعتقد بأنه سيء أخلاقيا اذا كان قاسيا مع الحيوانات ؟

علي : . . . لا أعتقد .

ت ن : لا تعتقد ذلك ؟

علي : لا أعتقد .

٩٤

ت ن : نعم . أليس لهذا الرجل واجبات تجاه نفسه ؟

علي : . . . أنا ـ اعتقد اذا نحن ـ فيما يختص بهذه النقطة والنقاط الأخرى ، أي العلاقات بينه وبين الله والحيوانات ، ليفعل الشخص أشياء ، أعتقد أنه يجب أن يكون لديه فكرة واسعة ـ . أعني لا يركز فقط عندما ـ ناحية واحدة / ؟ / دون الأخرى . . . تعريف واسع للأخلاق ـ بحيث أنه يسهل أن يضمن الله . بحيث أن العلاقات بينه وبين الحيوانات والعلاقات بين الله والبشر تكون متضمنة في التعريف ، بحيث أن المعنى الآخر . . .

ت ن : اذن يمكن أن يكون سيئا أخلاقيا ، حتى حينما يكون وحيدا ؟

علي : نعم

ت ن : يعني بدلت رأيك ؟

علي : بدلت رأى .

ت ن : ماذا يرى الناس هنا في السودان ـ هل يعتقدون أن للشخص واجبات تجاه الحيوانات ؟

علي : طبعا ، لا يستطيع الشخص أن يقول / ؟ / لكن اعتقد أن أغلبهم لا يعتقدون . بالرغم من أن هذا موصى عليه ، أعني ، بواسطة الدين .

٩٥

ت ن : هل هو رديء أن تشرب الخمر لوحدك أو في مطعم ، مكان عام ليس أثناء رمضان ، اثناء بقية السنة ؟

علي : هذا أيضاً أعني ـ هذا شبيه بالصوم ، أن تفطر لا أن تصوم أعني . أعني هذا يظهر العصيان بالنسبة للناس بدلا عن فعل ذلك سرا ...

ت ن : هل تعتقد أن شرب الوسكي يستفز المشاعر في الخرطوم ؟

علي : في الخرطوم ـ لا اعتقد . لأنه في المدينة كما ترى ، هو شيء مختلف تماما .

ت ن : لكن في القرية ـ ؟

علي : في القرية ، اعتقد أنه سيستفز المشاعر .

ت ن : ماذا قد يقول الناس ؟ ـ أفرض أن لديك بعض الاقارب في قرية وعندما تذهب هناك . أنت تجلس وتشرب الوسكي في العصر ؟

علي : هذا سكران ـ أعني يطلقون عليه اسماء قبيحة وطبعا . حينما يفعل ذلك، فهذا يعني أنه يعصي أمر الله . بالرغم من أن كثيرين منهم الآن يشربون . أناس كثيرون ويعتبرونها فقط شيء عادي مثلما هو عادي أن تدخن .

ت ن : هل تعتقد أن ذلك قد يؤثر علي كرامتهم ؟

علي : . . . كراماتهم . . . اعتقد ـ من ناحية ، نعم . لأنه اذا كان الشخص لا يحترم شخص آخر . أعني ، أو يعامله كشخص دنيء المكانة فاذن هذا الشخص الآخر سوف يصمم / ؟ / علي أضهاد / ؟ . كرامة ال . . . أعني ـ . وطبعا . فالشخص الآخر ـ هم / ؟ / سوف يقول أن هذا كان سكرانا . ـ اعتقد أنها تؤثر في كرامة المرء / ؟ / اذا حدثت في العلن ليس سرا ، لأنها تقام سرا ولا أحد يعرفها .

٩٦

ت ن : هل لدى كل البشر كرامة ؟

علي : كل البشر ؟ ـ اعتقد أنهم ـ نعم ـ نعم . لكن الدرجة تختلف .

ت ن : من لديه أعظمها ؟

علي : عفوا

ت ن : من لديه أعظمها

علي : لكن هذا - في هذه الحالة - يجب أن يعرف الشخص الآخرين من الناس جيدا لكي يحكم . لكن اذا سألت شخص سوداني لم يذهب خارج البلاد فانه يقول أن السوداني هو الذي لديه أعظمها .

ت ن : هل لدى الاطفال الصغار أيضاً كرامة ؟ . . . .

علي : من الصعب أن تقول .

ت ن : هل يمكنك القول عن صبي في الثامنة من العمر أنه أفتقد كرامته في مناسبة ما؟

علي : طفلي أنا شخصيا - ؟

ت ن : طفل في السنة . هل يمكنه أن يفقد كرامته ؟ .

علي : هذا يعتمد علي عمره وأعني اذا انخدشت كرامته ، فالشخص لا يعرف ذلك لأنه لا يثور لذلك . اعتقد أنه من الصعب أن أقول ، لكن لديه كرامة .

ت ن : متى تتحدث عن الكرامة ، أو عن الكرامة باللغة العربية ، هل عادة تشير الى الاشخاص الراشدين ؟

علي : نعم للأشخاص الراشدين .

ت ن : ليس للأطفال ؟

علي : ليس للأطفال . لأنه ، أعني ، الأطفال ، هم لا يثورون . الناس لا يتكلمون عن كرامة الأطفال .

ت ن : هل يمكنك أن تسيء طفلا ؟

علي : اذا فعل شيء خطأ ، نعم .

ت ن : هل ستقول أن كرامة الطفل سوف تتأثر بالإساءة ؟

علي : اعتقد . نعم ، لكن - أعني . نعم ، لكن هو لا يثور ، كما ترى . يعني - الشخص قد يظن أن الطفل ليس له كرامة . لكني اعتقد أنه له كرامة .

ت ن : نعم لكن الشخص عادة لا يقولها ؟

علي : نعم ـ الشخص يلاحظ ذلك ، أعني ، عندما يجلد والده الاطفال أو الأولاد الصغار فهم لا يقولون شيئا .

ت ن : هل لدى النساء كرامة ؟

علي : هذا أيضاً اعتقد ـ هو فقط كما في الحالة الأخرى ـ ليس نفس الشيء ـ مثل الاطفال . لأنني قلت ، الاطفال ـ لانني قلت الاطفال لا يثورون . أحيانا هي تفعل ، لكن ليس دائماً . يعني أصبح الناس يعتقدون أن ، أعني أن كرامة النساء أقل ، ليست في نفس المجموعة / ؟ / مع / ؟ / كرامة .

٩٧

ت ن : هل يكون هناك فرق اذا كان للشخص منصباً عالياً في المجتمع ؟

هل الرئيس لديه كرامة اكثر من ـ ؟

علي : لا ، لا ، لا، لا اعتقد . ليست ، أعني ، لا تعتمد على منصب الشخص أعني ، الشخص العادي في الشارع : يعتقد بأن لديه كرامته ، تماما تماماً مثل عبود *. وأنه ليس كذلك / ؟ / بطريقة أقل .

٩٨

ت ن : هل في استطاعة المرء أن يضيف الى كرامته ؟ ليحصل على أكثر منها .

علي : نعم ، بواسطة احترامه لنفسه . اذا احترم نفسه فاذن لديه كرامة .

ت ن : أفرض أن أحداً افتقد كرامته بفعله لفعل شرير أو سيء ـ ماذا يجب أن يفعل لكي يسترجعها ؟ أو أيمكنك أن تقول أنك يمكنك أن تسترجعها ؟

علي : لا يمكن أن تستعيدها .

ت ن : لا يمكن أن يستعيدوها ؟ حينما يفتقدها ، تضيع للأبد ؟

علي : نعم لأنه ، كما ترى ، اذا كان شخص ما في السجن ثم يخرج من السجن واذا شخص آخر خدش كرامته ، فهذا الشخص الآخر قد يقول " هل خدشت كرامتك ؟ هل أنت لديك كرامة ؟ أنت كنت في السجن ؟

ت ن : لكن اذا كان شخص في السجن حينما كان صغيرا، ثم بعد ذلك عاش حياة فاضلة ، قل لمدة عشرين سنة - ثلاثين سنة ، ؟

علي : هي نقطة سوداء في حياته .

ت ن : نعم يعني من ثم لديه كرامة - فوق كل ذلك .

علي : هو لديه - كما قلت - أعني - اذا حدث أي شيء قبيح / ؟ / حيثما.. أنت...

٩٩

ت ن : بعض الطلاب ذكروا التعاون كفضيلة مهمة ؟ هل تعتقد أن التعاون مهم ؟

علي : التعاون نفسه هو نتيجة فضائل أخرى ، أعني ، ربما يُضَمَّن في الفضائل الأخرى الفضائل الاربعة المهمة . لأنها تقود / ؟ / للتعاون الضيافة وهكذا .

ت ن : ما هي الكلمة العربية التي تستعملها بالنسبة لل (Co. operation) ؛

علي : كامثلة للتعاون ، بعض الناس قد ذكروا أنه يجب عليك أن تتقاسم أفراح وأتراح أقاربك وأصدقاءك. يعني مثلا اذا مرض شخص تذهب هناك .

علي : لكن هذا هذا - هل هذا علامة علي التعاون ؟ - لا اعتقد أنه تعاون .

ت ن : ماذا تعتقد أنه علامة علي ؟

علي : إن - زيارة الناس المرضى - ؟ هي ليست خطأ من الناحية الأخلاقية أن - أو أخلاقياً صحيحة أن تذهب من الناحية الأخلاقية أن - أو أخلاقيا صحيحة أن تذهب وتزور رجلاً مريضاً.

ت ن : أو اذا كان شخص مقدم علي الزواج وجمعت مالاً له ؟

علي : هذا ربما - نعم ، هذا ربما يكون نوع من التعاون .

ت ن : هل تعتقد أن ذلك متضمن في الفضائل الاخرى التي ناقشناها من قبل ؟

علي : في الكرم ، اعتقد ، هي مضمنة . في الضيافة أيضا.

١٠٠

ت ن : هل تعتقد أنه مهم أن يكون لديك شخصية قوية ؟

على : نعم ، هى مهمة .

ت ن : كيف يظهر الشخص قوة الشخصية ؟

على : عن طريق عدم . . . . يحتاج الى تفكير كثير / ؟ / الشخصية القوية أعنى - هى ليست سهلة . اعتقد .

ت ن : نعم . هل تعتقد أنها مضمنة فيما قلته من قبل عن احترام النفس والشجاعة على سبيل المثال ؟

على : ربما أنه مضمن فى احترام النفس . . . . . .

١٠١

ت ن : أفرض أن شخص حقيقة لا يؤمن بالإسلام ، لكنه يصوم ويؤدى صلواته وهكذا لكي لا يستفز مشاعر الناس ولكي لا يعزل نفسه من الباقين . . .

على : لكن ليس لله ؟

ت ن : نعم .

على : . . هل تعنى ، هل أننى اعتبره سيءً أخلاقيا . أم . ؟

ت ن : نعم . ماذا ترى فيه ؟

على : فى هذا الشخص ؟ . . . هذا الشخص يتظاهر والتظاهر ليس محمودا .

ت ن : نعم لكن ماذا يجب على المرء أن يفعل فى هذه الحالة ؟ اذا لم يكن متظاهرا فإذن سوف يؤذى مشاعر الناس . .

على : نعم

ت ن : هل من الافضل أن تؤذى مشاعر الناس . لكن لا أزال اعتقد أن المسألة كلها تعنيه هو والله . لكن افترض أنك اتيت بلدك لاسرتك وهى متدينة جدا ، هل تعتقد أنه يجب

• الفريق إبراهيم عبود – رحمه الله – حكم السودان فى الفترة من عام ١٩٥٨ إلى ١٩٦٤م – المترجم

عليك أن تؤدى صلواتك وغيرها سويا مع بقية الأسرة ، حتى ولو كنت لا تؤمن بها ؟

علي : هذا ما يفعله الطلاب دائما : يذهبون الى أهلهم . . . ويصومون

ت ن : هل تعتقد أنه صحيح ؟

علي : لا اعتقد أنه صحيح. لأن دافعه وراء صيامه ليس . . .

ت ن : نعم . لكن اذا لم يوصوموا فإن أسرهم ستندهش وتنزعج . . .

علي : نعم ، نعم .

ت ن : هل تعتقد أنه هذا سيكون أفضل من أن يكن الطلاب غير صادقين

علي : من الصعب أن أقرر . من الصعب أن أقرر .

ت ن : نعم . ماذا تفعل أنت نفسك ؟ افترض أنك لا تؤمن بالإسلام أبدا ، وذهبت الى أهلك ، الى أسرتك وهي متدينة جدا - هل ستصوم فقط لكي تكسب ود أسرتك ؟

علي : هذا يعتمد على مستقبلي - أعنى - اذا كان يكفى - لن أصوم ، إذا لم أكن أصلاً أؤمن بالله أو بالإسلام . لكن كثير من الناس يحبون هذا النوع من المستقبل.

١٠٢

ت ن : أنت تقول أن احترام النفس هو فكرة سالبة. أن الشخص يمكنه أن يفقد احترامه بطرق عديدة. لكن ألا يمكنه أن يفعل شيئا ليكسب احترام النفس ؟

علي : لا اعتقد . لا اعتقد .

ت ن : اذا حاولت لتكون فاضلاً أخلاقياً وهكذا ، ألا يمكنك أن تضيف لإحترام نفسك بهذه الطريقة ؟

علي : ليس ، أعنى - احترام النفس نفسه بوصفه فقط فاضلاً أخلاقيا . أعنى ، لا يمكنك أن تفرق بين الأثنين . فسوف لا تفقد أيهما / ؟ / فستفقد احترامك ذاته / ؟ / .

ت ن : نعم . لكن اذا حاول الشخص بجهد شديد أن يكون فاضلاً أخلاقياً ألا يضيف ذلك الى احترام نفسه ؟

علي : لا أعتقد .

ت ن : إذن تعتقد أنه عبارة عن الإمتناع عن فعل الأشياء القبيحة ؟

علي : نعم

ت ن : نعم . لكن اذا حاول الشخص بجهد شديد أن يكون فاضلاً أخلاقيا ألا يضيف ذلك الي احترام نفسه ؟

علي : لا أعتقد .

ت ن : إن تعتقد أنه عبارة عن الإمتناع عن فعل الاشياء القبيحة ؟

علي : نعم

ت ن : أفرض أن لديك شخصين ، شخص لا يفعل أي شيء ليس الافعال الحسنة ولا القبيحة، وشخص آخر يحاول أن يفعل الاشياء الحسنة هل سيكون هناك أي اختلاف في احترام النفس بالنسبة للشخصين ، لا أحد لا أحد منهما يفعل الاشياء القبيحة . فالأول لا يفعل أي - أشياء حسنه ، والآخر يحاول أن يفعل الأشياء الحسنه . هل سيكون موافقا لاحترام النفس لديهما - ؟

علي : . . أجد أني أميل لأقول أن الثاني وليس الأول يحترم نفسه

ت ن : أنت متردد قليلا حولها - أليس كذلك ؟

علي : نعم .

١٠٢

ت ن : هل الصبر يركز عليه في السودان ؟

علي : الصبر ؟

ت ن : نعم .

علي : غير مركز عليه، لكن اعتقد أنه أيضاً متضمن في الأخريات . لأنك اذا أنت شجاع فأنت صبور . إذا أنت كريم وهكذا . . . . .

١٠٤

ت ن : افرض أن أخاك فعل شيئاً قبيحاً - يسرق شيئاً أو يقتل شخص - هل تقول أن كرامتك - أنت شخصيا ستتأثر ؟ (السؤال مكرر).

علي : اعتقد أنها ستتأثر ، لأنه ، كما ترى ، أن الروابط الاسرية قوية جداً وما يفعله أحد - أحد اعضاء الاسرة بالتأكيد يؤثر أيضاً على الاعضاء الآخرين في الاسرة .

ت ن : نعم وشرفهم أيضاً ؟

علي : لا الشرف ، في هذه الحالة - أعني ، الكرامة - لا يوجد فرق بينهما.

ت ن : إذن ستقول أن شرفك وكرامتك ستتأثران إذا قتلت شخصاً ؟

علي : أعني ، في هذه الحالة ، الشرف هو نفس الكرامة .

ت ن : يمكنك أن تستعمل أي من هذين الكلمتين هنا ؟

علي : نعم . . . .

١٠٥

ت ن : ما رأيك في الفخر (Pride) ؟

علي : أذكر ، في أول لقاء أني قلت لك أنه ليس حسن أن تكون فخوراً فلا أحد يشكر نفسه إلا إبليس.

ت ن : نعم - هل يؤثر ذلك في الكرامة ؟

علي : . . . بمعنى ، نعم - لأنه بمعنى لا يحترم نفسه .

ت ن : سيفقد المرء احترام نفسه الى حد ما - ؟

علي : الى حد ما ، نعم .

١٠٦

ت ن : هل تعتقد أن الفتاة ستفقد احترامها اذا لم تلبس ثوبها ؟

علي : نعم .

ت ن : ما ترى أنت شخصيا اذا لم تلبس إحدى أخواتك ثوبها علنا ؟

علي : علنا ؟ لن أدعها تخرج من المنزل. لا تذهب خارج ال ـ

ت ن : لماذا ؟

علي : يجب أن تلبسه ، أعتقد هنا مرة أخرى، يأتي العرض ـ أو الطهارة هي نوع من أنواع الحماية للفتاة . ونوع آخر من نوع أخر هو لبس الثوب. أعني لا تذهب من غير ثوب في الشارع.

١٠٧

ت ن : هل تعتقد أيضاً أن الفتيات يجب أن يطهّرن ؟

علي : في شكل السنة طبعا .

ت ن : هل تعتقد ذلك ؟

علي : نعم هي نوع من الحماية للبنت .

ت ن : إذا بدأت النساء والفتيات يعترضن على ذلك ماذا ستفعل ؟

علي : طريقة السنة ؟ لا اعتقد أنهن سيستحجن . لأن النساء والبنت والرجال هنا ، يعتقدون أن البنات يحمين من ـ ولذا فهم يرون أنها نوع من الحماية. هي متعلقة بالعرض يريدون حماية البنت .

٧ مقابلة مع عثمان ، ١١ فبراير ١٩٦٤م :

١٠٨

ت ن : ماذا تعني بالكرامة ؟

عثمان : الكرامة اعتقد أنها تعني ـ الكرامة ربما تعني احترام النفس . كما اعتقد. لكن اذا كانت تعني بأي شيء سوى احترام النفس فربما تعني فقط الرزيلة. ربما تكون رزيلة وليس فضيلة. اذا افترض شخص الكرامة ولم يهدف الى احترام النفس . فالكرامة ربما رزيلة. ربما تعني متكبر (haughty) ، ليس ـ

ت ن : نعم . لكن هل يمكن للشخص أن يفترض الكرامة ؟

عثمان : لا. لا اعتقد . الكرامة هي شيء على الشخص - الشخص أن يحاول أن - يحميه أو يحفظه ، كما اعتقد . لكن لا يعترضه.

١٠٩

ت ن : ماذا يفعل الشخص ليحمي كرامته ؟

عثمان : حسن . الكرامة والشرف هنا هما نفسهما من ناحية المعنى كما أرى وحينما تأتي للسؤال عن حماية عرض الشخص فهي تعني نفس الشرف. مثلا . - أي شيء يحميه الشخص أو يحفظه كشيئ عزيز - مثلا ، زوجته ، أو أخته ، أمه وهكذا ، فهو دائما يحاول أن - أن - هو يعتبر كرامتهن وشرفهن مثل كرامته وشرفه هو نفسه. لكن اذا ارتكبت زوجة أحدهما الفاحشة ، مثلا ، فهذا يكون خدشا لكرامته .

ت ن : ولشرفه ؟ هما نفس الشيء ، الشرف والكرامة ، هنا هما نفس الشيء. أخته - أي من أقربائه - اذا ارتكبت واحدة من نسائه الفاحشة وعرف ذلك ولم يعمل أي شيء ربما يطلق عليه - أنه ليس عنده شرف أو ليس لديه كرامة .

١١٠

ت ن : نعم . هل هناك أي شيء آخر بجانب الفاحشة قد تؤثر في الشرف أو الكرامة ؟

عثمان : ربما يكون هناك أشياء أخرى لكن من الصعب أن أجد مثلا.

ت ن : اذا خرجت اختك من غير ثوب هل تقول أنت أن هذا مناسب ؟

عثمان : لا ليس مناسبا .

ت ن : ماذا يحدث بالتالي ؟

عثمان : أن تلبس ثوب أو نوع من اللبس وهذا مجرد عادة كما اعتقد . هي عادة.

ت ن : أفرض أن أمرأة خرجت من غير ثوب في قريتك ألا تقول أن ذلك يؤثر في شرفها؟

عثمان : أه هم - هم سيعتبرونها مجنونة. لا هم - إلا أن يكون شيء - قد حدث لها ، اعتقد. لا أحد سوف يسميها - أنها - أنها تفتقد شرفها أو كرامتها . سوف -

يسألون ويقولون / ؟ / هل هي مجنونة أم أنها بخير ؟ لأنها تسير من غير ثوب " احيانا في قرى بين - من عمر سنة الى اثنى عشر ، اعتقد يمكن أن يخرجن من غير ثياب . .

١١١

ت ن : اذا قتل شخص في الاسرة شخصاً آخر هل يؤثر ذلك في كرامة أي أي أحد في الاسرة ؟

عثمان : ما يؤثر في كرامة أي شخص في الاسرة في هذه الحالة اذا قتل هذا الشخص ذلك الرجل - قتل ذلك الرجل - حينما كان نائما أو من غير سلاح أو بأي طريقة فالطرف الآخر غير مستعد أو جاهز فهذا ربما يؤثر في الكرامة أيضا . ربما يؤثر في الكرامة ، طبعا ، أعني لا أعني الكرامة. لا يؤثر في الكرامة.

ت ن : لكن الشرف ؟

عثمان : لا ، الكرامة يقولوا - جبان.

ت ن : أي كلمة تستخدمها هنا ؟ أي كلمة عربية تستعملها هنا ؟

عثمان : هي نفسها - كما ترى لا توجد كلمة مقابلة في الانجليزية. يقولون هو غدار.

ت ن : ليس شرف أو كرامة ؟

عثمان : ليس كرامة، لا ، هي فقط اسم سيء - بعض - بعض - بعض القبائل معرفوفون بهذه الدرجة ، غدارون . لا يقاتلون أحدا وجهاً لوجه. هم فقط يأتون في الليل أو عندما يجدونه نائما أو -

ت ن : هل هذا رأيك الخاص أيضا أنه لا شيء في أن تقتل الرجل اذا لم يكن نائماً أو أنه ليس بدون سلاح ؟

عثمان : أعتقد أنه ليس صحيحاً .

ت ن : لكن هذه هي العادة في قبيلتكم ؟

عثمان : نعم حتى لو - اذا كان هذا الرجل هو الذى تبحث عنه لتقتله ، لا بد أن تنوه وتخبره حيثما خرجت من منزلك ، أليس السلاح معك ولا تكمن اذا وجدتك وأنت ليس لديك

سلاح. أو ـ . "عادة لا ، يهاجمون الناس من غير أن يكون الطرف الآخر مستعداً لذلك لا تؤثر في الكرامة. ربما يطلقون عليه غدار غدار يعني الشخص الذي يهاجم الناس حينما لا يكونوا مستعدين. فقط يكمن أو يختبى من شخص .

ت ن : نعم ، نعم . اذا أساءك أحد هل تقول أن كرامتك تتأثر ؟

عثمان : اذا قبلت الاساءة وأنت لست خائفا منه ، طبعا لأنك ـ أحياناً أنت تقبل الاساءة من الشخص الذي ـ تعتبره ليس ندا. مثلا اذا قابلت شخص سكران ، ثم بدأ يسيئك، ربما لا يسيئك أبدا ـ فأنت فقط تتركه. ولك لا يؤثر في الكرامة . لكن اذا ـ هي تعتمد على ال ـ القصد. وأحياناً ، هناك بعض الناس تكون ليس لك علاقة طيبة معهم، اذا لقيك شخص من هؤلاء منفردا وأساءك، طبعا اذا لم تستطع أن تفعل شيء فهذا يؤثر في كرامتك . لأنك فقط ـ أنت خائف منه. لا يستطيع أن يسيئك، أعني ـ

ت ن : هل يؤثر أيضاً في شرفك ؟

عثمان : حسن ، هنا لا يمكن للشخص أن يطبق الكلمة شرف على هذا الموقف فهي الكرامة هنا . أحياناً تستخدمان ترادفيا. لكن هنا تؤثر على الكرامة وليس الشرف.

١١٣

ت ن : ماذا يعني أن تقبل الاساءة ؟

عثمان : الطريقة التي تظهر بها ، إساءته ربما تكون . النتيجة / ؟ / نفسها ليست ـ هي ليس نفسها . . . أو بنفس الاسلوب . ربما تتحدث معه فقط و . . . وتقول " آه أنك لا تستحق أن يضيع الشخص معك وقته ويقف معك أو يتشاكس معك أو يسيئك أنت لا ـ أنت ـ ربما تقول له بأنه لا يستحق حتى الاساءة الواحدة أو يستحق أن يساء وأنه فقط مجنون أو كذاب.

١١٤

ت ن : هل أساءك شخص مؤخراً ؟

عثمان : ليس الشخص الذي لا . . . ـ أو شخص أصغر مني و ـ هو ابن خالي اعتقد هو في المدارس الثانوية ، بالسنة الثالثة. الثانوية. في أحد المرات في أثناء الاجازة

تشاكسنا. وكنا جديين ـ كلانا كنا جديين وهو أساغني لكن أنا رأيت أنه أصغر مني . . .. وإذا تشاكست معه فربما لا يصاب أبداً . وربما يلمني ويقول آه أنت اكبر . . . ولا قبلت اساءته و ـ فقط أصبحنا متغاضبين مع بعض وبعد اسبوع أو كذا تصافينا . لكن ليس بواسطة شخص ليس أصغر .

١١٥

ت ن : ماذا يجب على الشخص أن يفعل ليصون كرامته ؟

عثمان : ليصون كرامته ؟ . . . اعتقد آخر مرة كنا نتحدث عن الامانة واحترام النفس والفضائل الاخرى ـ يقولون اذا الشخص هو ـ يحفظ احترام نفسه ـ أصبح أمينا وهكذا ، فالناس يحترمونه. لا أحد يجرح كرامته بسببه . . وهكذا . لكن اذا هاجم شرف الناس وكرامتهم ربما لا ربما لا يحترم وأي شخص يجد أي ـ أي فرصة ليفعل نفس الشيء له ، سوف يفعل نفس الشيء معه ، سوف . . .

١١٦

ت ن : نعم ماذا يجب على الشخص أن يفعل عندما يفتقد كرامته ؟

عثمان : أحيانا هو ـ لم أر حقيقةً أحداً منهم، لكن يقولون عادة يطيرون بعيدا عن القرية أو حدودها مثلا شخص من شمال السودان ربما يحاول أن يذهب الى جنوب السودان ويسكن هناك للأبد ولا يرجع أبدا ـ وأحيانا ـ مثلا ، عندما يسيء شخص رجلا آخر. قال له أنه ليس لديه كرامة ولا شرف لأن أختك وزوجتك كذا وكذا فسيحاول أن ينفي ذلك ويقول " آه دعنا ـ دع ـ دعنا نعمل اختبار ويعملون لها اختبار وهو ـ لعله يسمى في الازمان القديمة ، وطبعا . . . هذا النوع من الاختبار . يحضرون المرأة المتهمة ـ بأنها زنت ، مثلا. هم يضعون سبعة فؤوس ـ رأس الفؤوس ، كما ترى ، الجزء الحديدي من الفؤوس ، كما ترى ، الجزء الحديدي من الفؤوس ، كما ترى يضعون سبعة منها في النار حتى تحمر. وتأخذ كل واحد دوريا وتحاول أن تمسكه في يدها حتى تسود أو حتى تبرد وتقذفه حتى تكمل السبعة سبعة قطع حديدية. ثم بعد ذلك يأتون ـ أيضا يضعون سبعة إبر ، إبر صغيرة في حلة كبيرة في زيت يغلي ويأمرونها أن تأخذ تلك الإبر اثناء غليان الزيت . و ويقولون اذا ال ـ حرارة الحديد أو الزيت لم تؤثر في يديها فهي ـ فهي ـ آه يقولون هي . . آه يقولون هي . . .

ت ن : ما هي اللغة العربية ؟

عثمان : شريفة ـ مشتقة من شرف ـ نعم شريفة نعم هي شريفة . . . ـ

ت ن : هل تعتقد في ذلك . . . .

(ضحك)

عثمان : لا هو فقط تقليد. إذن آما هي ـ اذا اتهمت أحدى قريباتي بفعل هذه الجريمة ـ فاما أن تنجح في الاختبار أو تقتل ـ فقط أخوها أو عمها ربما يقتلها .

ت ن : هل حدث هذا في قريتكم ؟

عثمان : لا ، اذكر ـ والدي أخبرني أن أحدا من قبائلنا قد أخبروه بأن زوجته تفعل مثل ذلك أو تفعل ـ ترتكب الفاحشة ـ مع شخص أخر ـ فلم يخبر بذلك. لم يخبر أسرتها صراحة بذلك. لكن اشار بطريقة ما الي أخيها أو كذا . ووجدها أخاها نائمة وفورا كسر عنقها. وأخبر والده وقال " أه لقد ماتت فقط موتا عاديا . . . .

ت ن : ماذا ترى في ذلك ؟

عثمان : أه هو قاسي في رأى.

١١٧

ت ن : نعم. ماذا يجب على المرء أن يفعل للمرأة التي ترتكب الفاحشة.

عثمان : اعتقد ـ اذا كان زوجها لا يريد أن يبقيها، يمكنه أن يطلقها واعتقد ربما اسرتها ـ ربما تحفظها وتحاول أن تراقبها / ؟ /. يفعلوا أي شيء لكن لا يقتلوها في اعتقادي . نعم، أشعر بأن ذلك قاسي وعلى وجه التأكيد اذا كان شخص من أقربائك فلا تستطيع، كما اعتقد ـ لا تستطيع . والصعوبة هي أن هذه الكلمات ، الكرامة والشرف وال (dignity) و ـ . لا يمكن أن يفرق بينها. فمثلا عندما يقول الشخص الأكاذيب ربما تقول أنه ـ أنه غير مهذب (not dignified) ـ هو لا يحترم نفسه. والشخص الذي يسرق أيضا ـ ربما لا يفقد شرفه ولا كرامته لكنهم يقولون أنه لا يحترم نفسه ولا يصدقوه ، بعض أحيانا هي الشرف واحيانا هي الكرامة واحيانا هي ال (dignity) وأحيانا هي إحترام النفس.

١١٨

ت ن : نعم - اذا خرق شخص عهداً خطيراً ، هل سيؤثر ذلك في إحترام نفسه ؟

عثمان : أي نوع من العهد ؟

ت ن : عهداً خطيراً ، عهد مهم جداً .

عثمان : هذا يؤثر معاملة الآخرين له أو معه . المعاملة له . لأن الشخص الذي يعرف بأنه كذاب أو لا يحفظ عهده، ربما أن الناس - سوف لا لا يؤثرون لا في الشرف ولا الكرامة.

ت ن : هل تعتقد أن الشخص يمكن أن يحترم نفسه حتى لو خرق عهداً مهماً جداً ؟

عثمان : اذا فعل ذلك مرة واحدة وكان لديه عذر، طبعاً ، يمكنه .

ت ن : لكن اذا كان عذره هو أنه بذلك سيكسب شيئا لنفسه ؟

عثمان : لا لا اعتقد. أيضاً هذا مبني على - مبني على معاملة الناس الآخرين .

إذا فقدت إحترام الآخرين لك ، طبعا، هذا ربما يؤثر في كرامتك.

إذا لم يحترمك أحد ، فلن تبقى لك كرامة.

لذلك ربما تؤثر في كرامتك اذا ربما تؤثر في كرامتك اذا عرف عادة ، أنه لا يحفظ العهود وأنه كذاب.

١١٩

ت ن : نعم - ماذا تعتقد أن الشخص يجب أن يفعل لكي يجعل الآخرين يحترمونه ؟

عثمان : في الحقيقة ، أنا لا أعرف الموقف في المدن هنا لكن هناك، في القرى أو في المناطق الريفية، يشترطون كثيراً . أو شروطهم عظيمة جداً. مثلا - خصوصا الناس الكبار في السن - كلما سألك أحدهم أن تقدم له مساعدة يجب أن لا تقول " لدي - آه ، لدي عمل أريد أن أقوم به " حتى لو كان لك عمل ، سوف لا تقول ذلك فقط تذهب وتعمل ما طلب منك أن تعمله. فقط تحترم الناس كبار السن وأن تكون عطوفا على الآخرين ولا / ؟ / تكون

رديناً مع أي شخص ولذلك يحترمونك فقط اذا فعلت ذلك. وأنت متدين بالطبع. فهم يحترمونك. أحيانات لا يستطيع الإنسان أن يفعل كل ما يطلبونه . . . .

ت ن : هل تعتقد أنه مهم جداً أن يحترمك الآخرين من الناس ؟

عثمان : . . . نعم ، اعتقد أنه مهم . مهم لأنه عندما أصبح رجلاً ولدى أسرة وأتي لا أعيش لنفسي ، هم يريدون التعاون معهم . لذا لا يثقون . ربما يكونوا انانيين. أناس أنانيين . . . . يحترمونه لهذا فأن هذا شيء آخر مهم / ؟ / .

١٢٠

ت ن : هل تعتقد أن المسئول الذى يأخ الرشاوي يفقد كرامته ؟

عثمان : مسئول ؟

ت ن : نعم .

عثمان : المسئولون هنا فى المدن مثلا ، يعيشون وسط الناس الذين ربما يكونوا هم مسئولون أنفسهم وهم يأخذون رشاوى بدورهم. لذا - (ضحك) ليس ، اعتقد هنا فى السودان - كل النظام الإدارى هو فاسد بحيث أنها لم تعد رزيلة ، فى اعتقادى. فقط تسمع الطلاب والناس الذين لا يؤمنون بهذه الأشياء إطلاقاً ، يعتبرونها رزيلة لكن حتى الناس فى القرى يقولون آه اذا لم ترش ذلك الرجل فأنه لن يعمل ذلك الشيء أو لا يعمل الأشياء ذلك وقبل أن يظهر هذا. هم - هم لا يحترمون الناس الذين يأخذون الرشاوى . لكن فى الوقت الذى صارت فيه مثل العادة. ولذلك فهم لا يبالون. ولديهم - ربما لا يكون لديهم فكرة - ربما لا يتحدثون عنه بوصفه شيء أو فاسد أو كذا. لأنها كذلك . . بحيث أنهم يعتقدون أن كل شخص يأخذ الرشوة. حتى الأساتذة فى الجامعة، دائماً يقولون، أى مسئول - هم لا - .

أذكر أن أحد أقربائى الذى - أرسلوه بعيداً - عندما دخلت أنا المدارس الثانوية. هم حضروا وأحضروا معهم خمسة جنيهات مع صفيحة من ال - وقال أنه من أقرباء الطالب كذا وكذا. لذا يعتقدون أن أى شخص يتلقى - يتقلى الرشوة.

ت ن : هل تعتقد أنت نفسك أنها تؤثر فى كرامتهم ؟

عثمان : نعم، اعتقد ذلك. اعتقد أنها نوع من المرض . لأنك حتى لو كنت غنياً جداً أو

تريد أن تتخلى عن المسألة أو إستلام الرشاوى فلا تستطيع. لا تستطيع ، لا تستطيع أن تفعل ذلك. لذلك من البداية يجب على الشخص أن لا يستلم الرشاوى.

ت ن : هل تقول أنها تؤثر أيضاً في شرفهم ؟

عثمان : اعتقد أنها تتعلق بأحترام النفس والكرامة ولذلك ليس لها أهمية بالنسبة للشرف أو كذا. اعتقد ذلك.

١٢١

ت ن : هل لدى كل شخص كرامة ؟

عثمان : نعم ، كل شخص يجب أن يكون لديه كرامة. لكن أحياناً يحرمون الناس من الكرامة بسبب خطأ يتعلق بأبائهم أو أمهاتهم أو أى شخص أخر في الأسرة مثلاً . فإذا كان طفلاً رجل مهذب ودائماً صادق وأمين وهكذا ، لديه كل هذه الصفات الشخصية، دائماً بسبب خطأ والدته أو والده والذين قد يكون ماتوا الآن. نعم فط يلصقون به نفس الشيء ويقولون " ليس لديه شرف. لماذا ؟ لأن والدته كانت كذا وكذا وكذا . لأن والده كذا وكذا وكذا لذلك فالناس - الناس يحرمون الآخرين كرامتهم. لكن اعتقد أن كل شخص لديه كرامة إلا أن يفعل شيئاً يؤدى لحرمانه منها.

١٢٢

ت ن : كيف يحرمون الاطفال من شرفهم ؟ كيف يظهرون ذلك؟ أعنى ؟

عثمان : الفكرة هي - يعتقدون أنه اذا لم يكن لدى الشخص شرف أو كذا هم يقولون - هو - هو يورثه لأسرته. فالأسرة ترث ذلك منه. ولذلك يمنعون أطفالهم من اللعب مع أطفال تلك الأسرة. وأحياناً أولئك الذين يعتقدون بأن لديهم - الذين آباءهم يعتقد بأنهم ليس لديهم كرامة أو شرف. عندما يأتون ويلعبون مع أطفال الآخرين هؤلاء - أحياناً هم - يطردونهم خارج / ؟ / منزلهم أو كذا . طبعاً أنا ضد كل المسألة.

ت ن : هل هناك أى أطفال من هؤلاء حالياً في قريتكم ؟

عثمان : لا . نحن قليلون جداً. لا تيستطيع أن تقول - لا تستطيع أن تقول لأى شخص بأنه ليس لديه شرف أو ليس لديه كرامة. ربما ينفجر قتال لذلك - لا اعتقد أنهم

موجودون - قريتي في الحقيقة، هي صغيرة جداً، فقط والدي وعمي وشخص آخر. هي مجرد نوع من المعسكر قريبة من المزارع وكذا. لكن ال- . عادة هم - منزلهم هو - ملكهم - أي شيء يحضرونه / ؟ /

١٢٤

ت ن : هل تعتقد أن كل الناس ، كل القوميات لهم كرامة ؟

عثمان : نعم الناس يعتقدون أن أي شخص لديه كرامة وكرامته يجب أن تحترم. وشرفه يجب أن يحترم لأنه ربما يثور اذا فعلت أي شيء لشرفه أو كرامته ، أو خدشت كرامته.

ت ن : إذن ليس هناك فرق إذا كنت سودانياً أو مصرياً - ؟

عثمان : نعم

ت ن : أو أي قومية أخرى ؟

عثمان : لكن طبعاً، ربما أحد - القرويين عندما يأتون هناك في المدينة ويرون بعض - يرون النساء / ؟ / من غير ثياب / ؟ / . ويقولون " آه كيف يعيش هؤلاء كالناس هنا مع كل شخص يسير من غير ثوب في الشارع أمام الغرباء في السوق . هؤلاء ليسوا رجال أبدا ". هم فقط مثل النساء ، هكذا يقولون . لكن لا يقولون بأنه ليس لديهم كرامة أو شرف وهكذا. يقولون أنهم يفتقدون شيئاً هنا في — .

١٢٥

ت ن : هل يجب أن يظهر المرء إحترامه لأي شخص ؟

عثمان : يعتمد هذا على ال - الناس والإتقاد الذى لديهم. مثلاً ، يعتقدون أن السكران يجب أن لا يحترم و - الشخص الكبير في العمر وغير جاد أيضاً لا يستحق الإحترام ويعتقدون أن كل شخص يجب - أن يحترم أحياناً - طبعاً العبيد يدخلون في هذا القسم.

ت ن : هل يعتقد انت نفسك أن الشخص الكبير في العمر غير الجاد يفقد كرامته بهذه الطريقة ؟

عثمان : يقول الناس أن الشخص الكبير وغير مهذب .

– مثلاً يقولون «آه» الناس الكبار يجب أن لا يهزأوا ولا يهزلوا أو – مع الناس الذين هم أصغر منهم ، لأنه أحياناً سوف يتحدث هؤلاء الصغار عن أشياء هي ليست – هي أصبحت لا يتحدث عنها الناس الكبار لذلك فالرجل الكبير الذين يحب ذلك – يجب أن لا يهزر مع هؤلاء الأولاد أو كذا – ربما يكون له هذا القدر ويتركهم يذهبون – – ربما هو فقط – يقولون هو – هذا الشخص – هذا الشخص الكبير يجب أن يوضع في نفس مكانة هؤلاء الأولاد . يعنى اذا احترمت رفقاءك الذين هم اندادك فإنك تحترمه . لأنه ليس جاداً . يقولون أنه يفقد احترامه أو احترام نفسه بهذه الطريقة يقول الناس الكبار ذلك .

ت ن : يعني احترام النفس ؟

عثمان : نعم، إحترام النفس.

ت ن : لكن ليس الكرامة؟

عثمان : ليس الكرامة.

١٢٦

ت ن : ماذا يعني أن تعامل شخص كنديد مساوٍ لك ؟

عثمان : كمساو.

ت ن : أو هل يمكنك أن تقول عن حالة لم تعامل فيها كمساو؟

عثمان : الناس دائما يتوقعون الآخرين أن يعاملوهم أو ـ كمساويين، حينما يكونون في نفس العمر أو ـ أو هذا . مثلاً . شخص في عمري، يتحدث معي وهو ـ مثلاً . عندما هو ـ في حالة أي شيء ، لا يعترض على اشتراكي معه أو ـ . يعني ـ أن تعامل النديد المساوى، نوع من الإحترام ، فقط إحترام شخص أخر. أنا احترمه ، وهو يحترمني وأعامله كند مساويٍ مساو لي .

ت ن : هل تشعر أنك أسئت اذا لم يعاملك شخص كند مساو ؟

عثمان : نعم ـ اذا كان عمره مثل عمري ـ يفترض أن يعاملني كند مساو واذا لم يعاملني ـ طبعا أشعر بأني اسئت. يعني هذه الطريقة ستكون ضد الإحترام (dignity) مثلاً يمكن أن تسميها ـ

ت ن : هل هي ضد الكرامة ؟

عثمان : ضد ال (dignity) الإحترام أو الكرامة ، كما اعتقد.

ت ن : ما هي الكلمة التي تستعملها بالنسبة لل (dignity) هنا ؟

عثمان : إحترام النفس.

١٢٧

ت ن : اذا لم يكن الشخص كريماً هل يؤثر ذلك في إحترامه لنفسه (dignity) ؟

عثمان : لا ، لا اعتقد ذلك. هم - هم يقولون - يقولون طبعا ، يفترضون - أن الكرم يورث أما من القبيلة - القبيلة ككل هي - تكون أو معروفة بالكرم - أو أسر معينة من القبيلة معرفون بالكرم . ولذا اذا أنت تنتمي الي أسرة أهلها - أهلها معروفين بالكرم ، فهذا لا يؤثر في إحترام النفس (dignity) ، في اعتقادي ولا الكرامة أو الشرف، ولا احترام النفس . ولكن اذا كان شخص ينتمي الي أسرة معروفة بالكرم ولم يكن كريما كما سوف / ؟ / لتلك الاسرة، يحترمك - هو لا يمثل / ؟ / . فقط يطلقون عليه اسماء قبيحة، يعيرونه، وهذا بالطبع لا يؤثر في إحترام نفسه (dignity) أو الشرف.

ت ن : نعم . ماذا ترى في هذا ؟

عثمان : اعتقد أن الكرم عموما حسن (good) أن تعرف بين الناس بأنك غير كريم - طبعا ، في هذه الحالة لا اعتقد - الموقف - أو الموقف المالي لهذا الشخص ربما يكون قائم /؟/ على أشياء أخرى .

١٢٨

ت ن : هل تحدث والديك معك أبد عن الكرامة ؟

عثمان : لا أذكر ، لا اعتقد لكنهم - هي مسألة مدح - هم يمدحون الناس الذين لديهم كرامة - يثنون على الناس الكرماء (generous) يعني ، حينما كنا صغار وأحدنا يأخذ قرشاً من والده ويذهب ويشتري شيء حلوة مثلا لا يعطي الآخرين معه نقول - نسميه بخيل (greedy). لسنا كرماء بهذه الطريقة. يمكن أن نعيره لأنك غير كريم. يعني - أحيانا نحن - نحن سمعنا - تسمعهم يتحدثون عن الناس الذين يملكون أموالاً طائلة ولا يعطون أي شيء لأولئك الناس الفقراء أو الناس الذين . . . وحتى اذا كان لديهم ضيوف لا يقدمون الطعام لهم ولا يدعوهم لتناولوا طعاما - يعني لا يحدثوك بوضوح عن هذا - فقط تسمع

قصة وتسمع / ؟ / أن هناك أناس غير كرماء و . . . سواء كانوا هم يمارسون الكرم أم لا يمارسونه، فلا تلاحظ ذلك.

ت ن : النساء لا يسمح لهن أن يشاركن في الحفلات ، أليس كذلك ؟

عثمان : النساء يذهبن الى الحفلات لكن ليس مع - مع الرجال لكن عندما تكون هناك كورة أو رقص، مثلاً، فانهن يحضرن ويجلسن مع بعض لكن لا يختلطن. لكن عادة عندما يذهبن الى هناك في مكان ويجلسن ويغنين والرجال سيكونون في الجانب الآخر - ليست حفلة بالضبط.

ت ن : ماذا يحدث اذا اختلطت امرأة مع الرجال ؟

عثمان : (ضحك) حسن - فقط يطردونها بعيدا ، . . . .

ت ن : ماذا ستفعل انت شخصيا عندما تتزوج ؟

عثمان : طبعا سوف أعمل نفس الشيء (ضحك) حتى لن اعمل - آه ، سأقيم حفلات للرجال ولذلك لن تأتي النساء لتختلط بالرجال. يعني هي تقليد ، واذا فعلت أي شيء غير معروف ماذا سيقول الناس - على أي حال ، هم - سوف لن يكونون معجبين إطلاقاً سيقولوا، سوف تحطم - تحطم التقاليد. كل الناس يقفون ضدك وسوف - يكرهونك حتى أسرتك ووالدك -

١٣٠

ت ن : هل تعتقد أنك ستطلب أن تلبس بناتك التوب أيضاً ؟

عثمان بناتي ؟

ت ن : نعم.

عثمان : ربما لا يكن حريصات على ذلك لكن اذا لم أصر على أن بناتي يجب ألا يلبسن الثياب، أو يحملن الثياب فربما يتكلم الناس ويقولوا " أما ترى كل واحد يذهب ويتعلم يأون وفقط لا يسيرون حسب تقاليد أبائهم وهكذا. وأيضاً يقولون أن هذا ضد الدين. يعني أيضاً هذا يؤثر احترامهم لك . عندم تسكن في البلد أو في المجتمعات الريفية وربما تأتي و - عندما تكون جاداً وتتحدث عن شيء يتعلق بهم فلا يسمعون ذلك. ولا فأنت فقط من المدينة وليس قروي. لا تعرف أي شيء عن القرية. يعني ليس لديك حق في التحدث. لذلك الشخص

/ ؟ / دائماً - لكنني اعتقد أنهم - أنهم مسئولون عن القرية. بدأنا نملك اعتقادات مختلفة ومعقولة وهكذا - فقط لانهم يكرهون - فقط لانهم يكرهون - الرجال الكبار في السن. لا يحبون الرجال الكبار. يقولون " الرجال الكبار، الرجال الكبار هم دائما ضد ما - نرجو أو نرغب في عمله " يقولون " ما يقوله الرجال الكبار هو دائماً ليس معقولاً "

١٣١

ت ن : هل تعتقد أنك سوف تتمسك بالعادات القديمة أم أنك ستخرق بعضها ؟

عثمان : بعض هذه العادات نفسها هي ليست - ليست حسنه في اعتقادي يعني اعتقد أن تلك التي ليست حسنة - قبل أن آتي الى الجامعة قبل أن أذهب الى المدارس الثانوية أرى أن بعضاً منها غير حسن، وسوف لا أحافظ عليها أبدا أو أتمسك بها.

ت ن : ما هي هذه ؟

عثمان : مثلا ، عندما يموت أحدا يأتي الناس ويجلسون ويجتمعون مع بعضهم في بيت الفراش ويمكثون لأوقات طويلة، لشهرين، فقط يجلسون هناك من غير عمل أي شيء ويتركون عملهم ويبقون لشهر وفقط أسرة الفراش تنفق عليهم . . . هذه عادة أنا - أنا لا أقبلها .

ت ن : ماذا ستقول لهم ؟

عثمان : آه أقول - اذا - اذا مات لي شخص - والدي وهكذا، والدتي، أختي أو أي شيء - مباشرة بعد الدفن ، أقول " شكرا جزيلا . الآن يجب أن تغادروا هذا المنزل / ؟ / .

كل شيء على ما يرام. لن تستطيعوا أن تفعلوا شيئاً، ولن تستطيعوا أن تعيدوه ، من الموتى . لا . . " أو سوف آتي الجانب الديني وأقول " آه ، هذا مراد الله . لذلك لا تستطيعوا أبدا - وانتم فقط تتجمعون وتجتمعون هنا لتثوروا ضد الله أو اعملوا أي شيء؟ أو تعملون ماذا ؟ لذلك اعتقد أنه لا يوجد سبب لتجلسوا هنا أو . . . تجلسوا هنا فقط وتتركوا اعمالنا وتقعدوا هنا "

ت ن : هل تعتقد أنهم سيقبلون ذلك ؟

عثمان : آه ، البعض - بعضهم سوف يتذمرون والبعض سيقول " آه ، هذا الولد - لا نعرف شيئاً عنه قبيحاً وربما يكون معيباً " وطبعاً البعض سوف يتذمرون.

ت ن : هل سوف يظنون أنك غير مضياف ؟

عثمان : أحياناً . بعضهم ربما يظن ذلك . لكنني ربما لا أكون الشخص الوحيد الذي يمكن أن ينفق على ـ طبعا ربما يكون هناك ـ اذا كان هذا . . . أزواجهن ، يريدون أن يفعلوا نفس الشيء و ـ والدي ، واخوانه وهكذا . على الرغم من أن الآخرين من الناس ربما يذهبون ويقيمون قراشهم ـ يسمونه قراش ـ عندما يجلسون ـ في منزلهم . هذا هو الأول .

١٣٢

والثاني هو عن ذلك ـ ما يسمونه ـ البعض يسمون الشيء الذي يعملونه للبنات ـ الطهارة، التي ـ التي لا أومن بها ولا أقبلها أبداً . حتى أني حاولت ـ أحياناً أن أعط ـ أن أعط ناس القرية بأن هذا ـ هذا الشيء هو خطير جداً وهو شيء وثني ـ هو ليس أبدا / ؟ / ديني وليس له علاقة بالإسلام.

ت ن : ماذا يقولون ؟

عثمان : آه، لا يقبلون ذلك يقولون ـ يقولون " لا نريد بناتنا أن ـ يرتكبن الفاحشة قبل أن ـ أن يتزوجن وهكذا ، من غير أن يكتشفن هذا ما يقولون لكن اعتقد أنهم ـ وهذه عادة اعتقد أني لن أتمسك حتى لو أن زوجتي ، على أي حال سوف أحذرها بأنها اذا فعلت هذا الشيء لبناتي في غيابي سوف أطلقها . لأني اعتقد أن هذا شيء قاسي جداً . العملية نفسها قاسية جدا .

ت ن : نعم هناك نوعان ، أحداهما عملية كبيرة و . . .

عثمان : عملية ، نعم وأخرى صغيرة عملية السنه .

ت ن : نعم . هي أنت ضدهما الاثنين ؟

عثمان : لا عملية السنه ـ يقطعون جزءاً يسيراً من جذع البظر ولا اعتقد أن هذا ـ وهو لا يسبب أبداً الألم الذي تسببه تلك العملية الصغيرة. لكن تلك تجعل البنت على السرير لمدة ـ لمدة ـ حوالي الشهر في السرير .

ت ن : هل تسمح بعملية السنه ؟

عثمان : نعم سوف أسمح بالسنه ، نعم ، عمليه السنه ، وهي لا تجعل ـ أي شخص يستطيع أن يعملها ـ .

ت ن : هل تعتقد أن هذا شيئاً حسناً ؟

عثمان : لا ، فقط هو شيء - ديني . النبي محمد (صلى الله عليه وسلم المترجم) أمر بذلك - فقط قال يأخذوا هذا - هو الجزء وهو - خارج . ولذلك - مادام أنه لا يؤذي كثيراً جداً، فالشخص قد لا يكون اعتراض عليه . لكن ال . . . العملية التي - أحياناً البنت تموت فهذا هو الثاني .

١٣٣

مرة أخرى ، بعض الأنواع التي يسمونها أفعال شجاعة أنا أيضاً ضدها مثلاً، شخص - اذا كان يعرف أنه لا يستطيع أن يجابه الموقف لماذا يذهب ؟ لكن اذا أنا استعديت وكذا، وربما أذهب طبعاً، لكن حينما اعرف أني لا أستطيع أن أواجهه، أنه يستحيل على . لن أذهب إلا أن يكون الشخص لا يعرف - مثلاً اذا أحد ذاهب للمساعدة في منتصف الليل يجب أن أذهب وأرى ما اذا كنت استطيع أن أساعد. لكن لا يمكن أن أذهب فقط وأواجه شيئاً لا أستطيعه . . .

١٣٤

ت ن : هل تعتقد أن هناك أي اعتقادات خاطئة عن الكرامة ؟

هل هناك أي شيء لا توافق عليه ؟

عثمان : لا استطيع أن افكر في أمثلة ، لكن كما قلت لك من قبل هذا، الآن قتل مرتكبات الفاحشة أو مرتكبي الفاحشة وهكذا ، لا اتفق مع ذلك. طبعاً اذا حدثت في أسرتي فلن - لن أقتلها . طبعاً لا أستطيع.

١٣٥

ت ن : ماذا عن العرض ؟

عثمان : العرض ؟ هو مثل الشرف ، الذي تحدثنا عنه . الشرف والعرض ؟ هما - لكن العرض دائماً يتعلق بالنساء عندما يسمونه / ؟ / عرض . يقولون اذا أساء / ؟ / أحد زوجتك أو أختك ، لا بد أن تقول له نفس الشيء . أو سيحاول أن يلصق أي رزيلة بهن ، أو بأي واحده منهن . لذلك يسمون هذا صيانة العرض . لأنه / ؟ / بعض أوقات الشدة في

الأسرة ، هي العرض وهكذا / ؟ / ـ الناس يكونون شديدى الحرص أن ـ يرغبون في . . وبناتهم لا يخرجن ويشحذن ، لأن بعض الناس ربما يقولوا " لا يمكن أن نعطى أى طعام إلا اذا عرضن أنفسهن عليه. أحياناً يقتلونهن ، لأنهن يخرجن تحت تأثير الجوع ربما يكن . . بعض الناس ربما يقتلونهن .

ت ن : هل تعتقد أن هذا قد حدث ؟

عثمان : نعم يحدث . أحياناً يقتلونهن من قبل ـ أثناء المهديه أثناء المهديه طبعا ، جيش الخليفه ـ كان مكونا من قبائل غرب السودان ، التعايشه ــ ـ ـ وهكذا . والناس هنا في شمال السودان يعتبرون الرزيقات و . الرزيقات و . . . . وهكذا أحياناً يقتلون زوجاتهم وبناتهم لأنهم يخشون أن يأتي الرزيقات ويهاجمون . وحتى في ال . . . . ، أهل القرية كلهم كانوا موجودين ، الرجال والاخوان والناس . والذكور في القرية كلهم كانوا موجودين، الرجال والاخوان والناس، والذكور قد قتلهم الرزيقات ذهبن واغرقن انفسهن غرقن في النهر. فهن يخشين من أن يستعملهن الرزيقات كنساء لهم / ؟ / . كلهن في النهر، اغرقن أنفسهن . يعني هذا شرف أحياناً . . . . .

١٣٦

ت ن : هل تعتقد أن الشرف هو بهذه الاهمية ؟

عثمان : اعتقد أنه مهم جداً . فهو يصل الي الحد الذى اذا فقد الشخص شرفه ، فهو أما أن يقتل ابنته أو زوجته أو نفسه أو مباشرة يرحل هذا ـ أقل شيء يمكن أن يفعله الشخص هو أن يرحل عن المنطقة وما حولها . وعلى وجه التأكيد ، حينما ـ على وجه الخصوص ، حينما تتعلق بالعرض أو النساء . آه يعتبرونه مهم للغاية .

ت ن : هل تتفق مع ذلك ؟

عثمان : آه ، لا أتفق أنه مهم جداً بهذه الدرجة ، حتى أنه يصل الي ارتكاب القتل أو الجريمة ، اذا أحد ــ .

١٣٧

ت ن : هل للنساء قدر من الكرامة مثلما للرجال ؟

عثمان : في رأي الناس من كذلك - هو كذلك - النساء مخلوقات ضعيفة لا شيء يعملنه - لا يستطعن فعل أي شيء - يمكن - يقولون هذه الفضائل الكرامة والشرف و - لا يمكن اعطاءها للنساء أو توضع في أيدي النساء ، لأنهن ضعيفات وسوف يفقدنه . لذلك دائماً بأيدي الرجال . هم لا - هم لا يلومون المرأة ، على أي حال ، على ما تفعل ، عندما يعاقبونها . فالرجل / ؟ / يعاقب نفسه بمعاقبته لها / ؟ / .

١٣٨

ت ن : نعم - ماذا عن الاطفال ؟

عثمان : لا ، طبعاً ال . . الناس ، لا يلومونهم ، كما اعتقد .

ت ن : هل تتحدث عن كرامة الطفل ؟

عثمان : لا . لا اعتقد . من حيث أنها كرامة الاسرة وشرف الاسرة . لأنهم يقولون أن الامر كله يلتصق بالاسرة يتصل بالاسرة لا بالأفراد لأنه اذا ارتكب شخص واحد من الاسرة ما يخدش شرف الاسرة فهذا شرف الاسرة وليس شرف الشخص . يعني - .

ت ن : نعم ، يمكن أن تتحدث عن شرف الاسرة . لكن هل تستطيع أن تتكلم عن كرامة الاسرة أيضاً ؟

عثمان : لا ، اعتقد كرامة الشخص - لكن شرف الاسرة . لكن أحياناً ينسبونها للاسرة وأحياناً للفرد . عندما الشخص - يقولون أنه يمثل الاسرة فيتحدثون عن شرفه .

١٣٩

ت ن : هل تعتقد أن احترام النفس والكرامة له أي علاقة بالدين ؟

عثمان : ربما يكون متضمن في بعض التعاليم ، لكن لا اتذكر . الكرامة واحترام النفس؟ لا اعتقد أنهما مذكوران بوضوح - لكن بعض الاشياء التي يجب أن تكون لدى المسلم كصفات لشخصيته ربما تتضمن احترام النفس والكرامة، لكنها ليست - اعتقد - لا اعتقد أنهما مذكوران بوضوح في التعاليم . ربما يكونان مضمنين في بعضها .

ت ن : لا تزال ، تعتقد أنهما مهمين جداً ؟

عثمان : ـ لا استطيع ـ أن أعطي بوضوح ـ اجابة دقيقة عما اذا كانا مهمين جداً لا أستطيع ـ فقط نحافظ عليها أو نتمسك بهما ، لأن الناس ـ

١٤٠

ت ن : هل تعتقد أن الشخص يجب أن يكون مسلماً جيد لكي يحظى باحترام النفس؟

عثمان : اذا كنت تسكن في مجتمع مسلم ، يجب أن تكون مسلما فاضلاً لكي تحظى بأحترام النفس لكن اذا ـ فقط مثل اسلامنا ـ ، أنا مثلاً ، أدخن لكنني لا أفعل أي شيء بجانب التدخين . لذلك اعتقد أني لست مسلما جيداً . لأنه ـ بالرغم من أن الإسلام لم يقل ـ امنعوا الناس من التدخين ـ لكن هو نوع من الاسراف ـ فقد تفقد مالك في أشياء ليس لها فائدة. نعم ، اعتقد ذلك طبعاً. لكن . . . في مجتمع مسلمين، الشخص يجب أن يكون مسلماً فاضلاً لكي يحظي باحترام النفس ، ليكسب احترام النفس .

ت ن : اذا لم يصوم الشخص ، هل ذلك يؤثر علي كرامته أو إحترام نفسه ؟

عثمان : لا . اذا لم يكن مسلما . واذا كان مسلماً ، أيضاً لا يؤثر ، لأنهم يقولوا اذا كان مسلماً اذا كان لديه أعذار سوف لن ـ لن يفطر ـ يفطر نعم ، دائماً يقولون ، المسلم سوف / ؟ / لن يفطر إلا أن يكون مريضاً أو له أي عذر. لكن اذا لم يكن مسلماً فلا يؤثر ، لأنه ليس مسلماً.

ت ن : لكن اذا كان شخص من بلد مسلم لا يصوم ماذا يرون فيه ؟

عثمان : هنا في مجتمع الجامعة، طبعاً لا يعرف أحد عما اذا كان قادم من أسرة مسلمة أو ـ لكن هناك في القرية . طبعا ، هو . . . يواجه / ؟ / القرية . اذا كان يصوم أو يفطر. اذا لم يكن صائماً ، طبعا لا يستطيع أن يذهب الي أسرتهم ويقول، " أريد طعاماً " لا أحد يعطيه طعاما . واذا اكتشفه والده ، ربما يقول له " آه هل لا تزال رضيعاً أو طفلاً ؟ . . هم ، هم يربطونه بالصبر والشجاعة وهكذا .

ت ن : هل تنعكس علي شرف الاسرة ؟

عثمان : لا

ت ن : من أي ناحية ؟

عثمان : لا أبدا لا .

ت ن : ألا تعطي الاسرة سمعة سيئة ؟

عثمان : (ضحك) . نعم ، . . . الناس الذين كلهم مسلمون ، وكل الاسرة لا تتمسك بالتعاليم الإسلامية أو كذا ربما - نعم . الناس قد لا يحترمون هؤلاء، يعني هم / ؟ / هم لا دينيين أو كفار ، كما يقولون . لذلك لا يستحقون أي أسف. فهم لا يتعاونو ن معهم ، لكن، طبعاً، في المساء . . . . الناس ، لا يعرفون الإسلام جيداً ولا يتمسكون . . . لذلك لا يؤثر في الشرف أو الكرامة . . . .

١٤٢

ت ن : ماا تعتقد أنت نفسك في زملائك الطلاب الذين لا يصومون ؟

عثمان : طبعاً بما أنهم غير مسلمين فلا ألومهم .

ت ن : نعم ، لكن أولئك الذين يقرون بأنهم مسلمون ولا -

عثمان : ولا يصومون ؟ آه أقول أنهم مرضى أو ----- والله لا يأمر الناس أن يعملوا شيئاً قد يؤذيهم. . . . . .

ت ن : نعم لكن ماذا عن أولئك الطلاب الذين ليس لديهم أي مرض أو أي أعذار شرعية أخرى ؟ أولئك الذين هم فقط لا يحبونه ؟

عثمان : لا يحبونه وهم طلاب مسلمون - آه ، نحن لا نحترمهم ، كمسلمين أو حتى ربما نتحدث إليهم ونتكلم معهم ونقول " ليس لديكم حق " ويقولوا " أنه عذر غير شرعي . ما دام أنه ليس وقت الإمتحانات يمكن أن تنام بالنهار وتشتغل أثناء الليل.

ت ن : هل حاولت أن تقنع أي أحد أن يصوم ؟

عثمان : لا، لا أبداً . كل الناس - مسلمون - ونسبة الطلاب المسلمين ليست جداً - عالية جداً. طبعاً أنت - أنت لا - أنت لا تعرفهم - لا تعرف عما اذا كان الشخص مسلماً أم لا - لأنه حتى الناس الذين لا يصلون بانتظام - الذين لا يؤدون صلواتهم بانتظام - أحياناً تجد شخصاً مؤدياً لصلواته - يأتي زمان تجده يتزلف منها أو- ولذلك لا تستطيع أن تعرف ما اذا كان مسلماً أم ليس مسلماً . هو فقط يعترف / ؟ / أنه لا يحبها وليس

١٤٣

ت ن : متى تقول أن الطالب مسلم حقيقي ؟

عثمان : أولئك الذين / ؟ / دائما يؤدون صلواتهم بعد غروب الشمس في الجامع و ـ ـ في يوم الجمعة في الجامع وصلاة ال ـ بين الثامنة والتاسعة في المساء في الجامع ، والشخص الذي يأتي عادة يحضر صلاتهم ـ نحن تماماً نعتقد بأنه مسلم .

ت ن : هل تعتقد أن ذلك يكفي ؟

عثمان : آه ، فقط يظهر طبعاً . ما يجري في ضميره ـ حتى في الاسلام نفسه ـ يوجد ـ لا تستطيع أن تكتشف ما في عقول الناس . اذا هم فقط يظهرون كذلك ، فنحن نعتبرهم كذلك. إلا أن تكتشف أنهم ـ. اذا قيل لك ، نحن لا يمكن أن نؤمن ، لا نؤمن " نحن نقول اذا فعل ذلك ، فهو فقط متظاهر ، هو يتظاهر بأنه مسلم. لكن هو ـ هو يذهب ويسكر ويباشر الفاحشة وهكذا في مكان ـ ويقامر وهكذا، نحن نقول " آه ربما تكون مخطئاً. ربما تكون قد رأيت شخصاً آخر، وفقط اخطأته ب ـ ـ " على أي حال ، عادة لا نسلّم له بسهولة ـ نصدقه بسهول . نحن نعتبره مسلماً / ؟ / لأنه ـ اذا قال لنا شخص إلا أن يكتشف الشخص بنفسه.

١٤٤

ت ن : نعم. هل تعتقد أنه من المهم أن يكون لك دافع حسن (good motive) لتكون كريماً ومضيافاً وشجاعاً وهكذا ؟ ماذا ستقول عن الشخص المضياف فقط لأنه لا يريد أن يحصل على سمعة سيئة ؟

عثمان : (ضحك) آه ، طبعا وفقا لاسلامي / ؟ / ـ نفسي ـ أقول أنه ليس كريماً أبداً. لأني اعتقد ـ فالشخص قد ينظر إليها من ـ ـ . الناس أحياناً كرماء ويعطون ـ ينفقون أموالهم على الناس الذين لا يحتاجون إليها ، مثلا . .فقط هم يتظاهرون بأنهم كرماء مثلاً يقابلون أى شخص لا يحتاج لأى شيء منهم ويقول ، " يجب أن نذهب لا بد أن نشترى لك شيئاً ولا بد أن نفعل ذلك " لكن اعتقد أن الكرم يجب أن يكون نوعاً / ؟ / ـ . أن تعطى

الناس الذين يحتاجون للمال. خارجاً من ـ . فقط نشعر بذلك. الدافع الانساني ، كما اعتقد يجب أن يكون دافعاً انسانياً . . . .

ت ن : ماذا تقول عن شخص اذا اكتشفت أنه مضياف وكريم وهكذا فقط لأجل سمعته ؟

عثمان : (ضحك) نحن في الحقيقة كل الناس في القرية هم كذلك يريدون أن يبحثوا عن السمعة وهم ـ يقولون ، ما فائدة المال، اذا لم يجلب لك سمعة حسنة ؟ فقط سمعة . ثم طبعاً ـ آه لا يظنون بالطبع أن المسلمين لا يفكرون في هذا . المسلمون يعتبرون ـ كلهم عيال الله. الناس عيال الله ولذلك عندما يحتاجون لها، فأنت تنفقها عندما لا تريدها. لكن اعتقد أن ذلك صعب. من الصعوبة أن تجد أي شخص في المناطق الريفية يفكر بهذه الطريقة ـ فقط هم يطلبون السمعة.

ت ن : هل تعتقد أن ذلك خطأ ؟

عثمان : نعم ، هو خطأ .

ت ن : ماذا يجب علي الشخص أن يفعل بدلا عن ذلك ؟

عثمان : آه ، طبعاً يمكنك أن تفعل ذلك اذا لم تكن تريد المال. وحتى لو كنت تتوقع ذلك ـ ولو لبعض السنوات في المستقبل ، فإن لديك ما يكفي، والباقي يمكن أن تعطيه للفقراء. من غير بحث عن السمعة وكذا ـ على أي حال، أنا في ذاتي نفسي مسلم. أؤمن بالاسلام وفي الاسلام يقولوا ، عندما تريد أن تعطي بعض المال لشخص يجب أن لا تذكر اسمك أو ـ حتى اذا لم تفعل ذلك من غير أن تظهر نفسك له أو تظهر امامه. اذا استطعت فقط أن ترمي بها في منزله من غير أن يراك ، فهذا افضل نوع من الكرم. يعني الشخص يجب أن لا يبحث عن السمعة من الآخرين / ؟ / .

ت ن : نعم ، عندما يجمع الناس مالاً لشخص يريد أن يتزوج ـ

عثمان : نعم ؟

ت ن : هل يحدث أنهم يعملون قائمة ويعلنون الكمية التي أعطوها ؟

عثمان : نعم أحياناً . بالرغم من أني أيضاً لا أومن بهذا . هذه واحدة من العادات التي لا اقبلها.

ت ن : نعم . هل ذلك معتاداً أم أنه يحدث أحياناً ؟

عثمان : لا ، هذا هو المعتاد عادة أن الشخص الذي يقيم الوليمة نفسها هو يقيمها لغرض . فهو إعتاد أن يذهب عندما يدعى لمناسبات الزواج و ـ ويدفع مالاً . ويعني ـ أحياناً فقط يعطونه المبلغ جملة وهم ـ ـ لكن أحياناً يعبر الشخص الذي يدفع المال على ـ هم يصرون على وجوب تسجيل أسمائهم. لأنه ربما يقول ـ ويقول " آه، فلان وفلان أو ذاك الصديق جاء ولم يعطيني أي شيء " لذلك يجب أن تسجل اسمه لأنهم يتذكرون ذلك.

ت ن : نعم بكم يجب أن تساهم ؟

عثمان : آه ، أحياناً أحياناً هم اذا حضر أحد لمناسبة زواجك واعطاك حوالي خمسون قرشاً، فانت عادة تعطيه اكثر من ذلك. إلا أن لا يكون لديك ـ فيمكنك أن تعطيه الخمسين قرشاً. لكن أحياناً ما بين الأقارب يدفعون كمية كبيرة جداً ـ جداً من المال ـ عشرة جنيهات أو ـ

ت ن : هل تعتقد أن ذلك دلالة على الكرم ؟

عثمان : لا هم فقط يساهمون في المناسبات ذاتها، لأنها ليست نوعاً من الكرم أبدا.

١٤٦

ت ن : ما هي في رأيك اكثر الفضائل أهمية ، الفضائل التقليدية السودانية ؟

عثمان : طبعاً أقبل معظمها ، لكن مع التغير ليس في صورتها الحالية.

ت ن : نعم . ما هي الأكثر أهمية على حسب ما تقول ؟

عثمان : الشجاعة والشرف.

ت ن : نعم .

عثمان : الشجاعة والشرف هما الاكثر أهمية في رأي .

ت ن : في رأيك الشخصي.

عثمان : في رأي الشخصي.

ت ن : وبعد ذلك ؟

عثمان : يأتي تقريبا / ؟ / الكرم . (ضحك) لأنه ، كما ترى ، اعتقد . . . سائرون نحو الفردية في رأي. وبمرور الوقت فالكرم سوف - ربما لا يكون له الأهمية التي كانت له في المناطق الريفية . يعني - .

ت ن : الشجاعة والكرامة ؟

عثمان : والشرف ، الكرامة أحياناً - .

ت ن : أي كلمة عربية تستعملها هنا ؟

عثمان : شرف وشجاعة .

ت ن : شرف ليس كرامة ؟

عثمان : لا . لا . على أي حال ربما تكون ثانوية ، لكني لا - .

ت ن : ماذا عن إحترام النفس ؟

عثمان : اعتقد أن هذه فضائل ثانوية. على أي حال، في حالتي، قد لا تجد وقت لتكون في هذا الطريق لمدة طويلة أو لكذا وكذا من الساعات بحيث تتصل بهؤلاء الناس وتنمي إحترام النفس أو هذه الأشياء.

وزارة التربية / ؟ / . أنا ربما اكون عاملاً معظم اليوم وأذهب لأخذ قسط من الراحة - بعد ذلك، طبعاً أقوم ببعض العمل أقرأ مثلاً، لا أخرج إلى الاندية لا أؤمن بالاندية - اذهب وألعب الورق و - يعني هذه - ربما يكون لها أهمية ولا تزال فكرتي عنها لا تزال اعتقاد، طبعا أنا اؤمن بها بالطبع.

٨ - مقابلة مع علي وعثمان ، ١٩ فبراير ١٩٦٤م :

١٤٧

علي : سأبدأ باعطائك بعض / ؟ / أمثلة أخرى عن الكرامة. التاريخ يحدثنا أنه عندما فتح اسماعيل بن محمد على حاكم مصر، السودان ووصلوا الى مدينة شندي حيث ألتقى فيها بالملك نمر. وطلب اسماعيل من الملك نمر ، أعني ، أن يعطيه كمية محددة من المال ومن البقر والضأن وهكذا، عبيد طبعاً. واثناء مناقشة هذه المسألة غضب اسماعيل وقذف الملك نمر

يغليونه. طبعا الملك نمر غضب جدا في ذلك الوقت ، لكنه لم يقل أي شيء. لكن ليلاً - أولاً قال لاسماعيل عال العال سوف أحضر كل هذه الاشياء لك وهكذا - في الليل، أقام نوعا من الاحتفال / ؟ / وجلب الخمور الخمور البلدية، المريسة، جنود اسماعيل. وحينما سكر كل الجنود واسماعيل، أحضر رجال القبيلة، اسماعيل ، القصب وهكذا وأشعلوا كل العشش بالنار. يعني إحترق كل الجنود وايضاً اسماعيل نفسه، اعتقد أن هذه / ؟ / مثال جيد بالنسبة للكرامة.

عثمان : لأن الملك نمر شعر بأنه قد أسيء إليه ، اسماعيل / ؟ / ساء كرامته.

علي : قد عومل بصغار (بدونية)

ت ن : هل تعتقد أنه فعل فعلاً صحيحاً ؟

عثمان : طبعا حينما - حينما يفارق الشخص فقد الروح. والاشياء التي سببها طبعا لم يفعل فعلاً صحيحاً. على الاقل ربما قد يستعد للمعركة مع اسماعيل . اعتقد أنها نوع من الفعل البشع ليست - . فالسودانيين دائما يصرون على أنه لا بد أن تكون هناك فرص متساوية لكلا الفريقين. - - -

١٤٨

عثمان : اذن قصص كثيرة تسير في نفس اتجاه الكرامة. أحيانا سمعت ب - ب - ربما تسمع أن شخصا فقط أساء حاكم الاقليم - حاكم الاقليم الانجليزي - لأنه أساءه أو حتى - ضرب جنديا لأن الجندي دفعه خارج المحكمة. وقد عوقب مقابل ذلك. ودفع حوالي ١٥ أو ٢٠ جنيه ، مقابل تلك الجريمة فقط. يعني الناس هنا مشهورون بأنهم حادي المزاج.

ت ن : هل الملك نمر مشهور بالشجاعة ؟

عثمان : لا ، هذا لا يظهر بأنه شجاع.

ت ن : هل أظهرها بأي طريقة أخرى ؟

علي : مجرد حقيقة أنه هرب ، اعني ، لا توضح أنه شجاع طبعاً.

عثمان : - نعم - على أي حال قبيلة الجعليين تعتبر أنه - شجاع. لكن القبائل الاخرى، عندما يتشاجروا مع أحد من قبيلة الجعليين ويدعون - هم - هم - ربما يدعونه بأنه ليس

شجاعا أو هو جبان - هو هرب.

كان يجب عليه أن يثبت ويقاتل محمد الدفتردار الذى جاء ليعاقبه .

ت ن : هل تعتقد أنه كان من المعقول بالنسبة له أن ينتظر ؟ اذا لم تكن امامه فرص ؟

عثمان : لا لن يكون معقولا . - - لكنه فعل ما هو غير معقول، فى المقام الاول، طبعا، الفرصة الوحيدة بالنسبة له - ما هو معقول منه في ما فعله ، في رأى، هروبه بعيدا.

ت ن : اذن لن تلمه على كونه جبان ؟

عثمان : لا إلا حينما اكون غضبان مع جعلى، أسميه حبشى أو جبان.

١٤٩

ت ن : نعم هل لديك أى امثلة أخرى ؟

عثمان : ماذا عن المثال الآخر الذى حدثتنى عنه ؟

علي : آه هو عن أحد أقربائى. كان يعمل فى بورتسودان . كان يؤدى وظيفته بصورة جيدة. ثم طلب منه أن يدرب شخصاً آخر. وأخيراً قام بتدريبه. وبعد بضع سنوات رقى الشخص الذى تدرب. أعنى رئيساً على قريبى ثم إن قريبى هذا - أستقال وجاء هنا الى الخرطوم. وعندما سألته عن لماذا فعل ذلك ، قال انه - هذه كانت اساءة أنه أسىء إليه.

ت ن : هل تشعر بذلك - هل السودانى يشعر بأن ذلك اساءة حتى لو كان الشخص الآخر أفضل ؟

علي : أعنى ، مجرد حقيقة أنه دربه ، أعنى - .

ت ن : نعم، لكن أفرض أنك دربت شخصاً وأصبح أفضل بكثير منك أنت ؟

عثمان : نعم، طبعا، هذا ليس سبب لتستقيل. حاليا أظن أنى أعرف عن الكثيرين الذين دربوا بواسطة أناس كبار في السن واصبحوا - ممتازين. وهم رؤساؤهم فلم يستقيلوا.

ت ن : هل شعروا بأنهم أسىء إليهم ؟

عثمان : أحياناً ، عندما تسألهم هم - هم يثورون ويقولوا أن هذه الحكومة فاسدة لأن هذا شخص هو ... - ولذلك أصبح رئيس بالنسبة لى ، لأن لديه أحد أقربائه فى الحكومة

الذي - الذي جعله أعلى، هو لا يستحقها. يعني ، حقيقة هم - هم شعروا بأنهم اسيئوا. لكن عادة، لا يستقيلون إلا بالنسبة لبعض الناس بعض الناس ربما يستقيلون.

ت ن : نعم ، نعم . هل يشعرون بأن كرامتهم تتأثر ؟ أو إحترام أنفسهم ؟

عثمان : هذا ربما -ربما يعتبر ل - يمكن اعتباره بأن له تاثير على الكرامة. لكن ليس خطيراً مثل الاشياء الاخرى.

ت ن : هل شعر قريبك بأن احترام نفسه قد تاثر بتلك الحادثة ؟

علي : لا، لا اعتقد . لكن كرامته .

عثمان : لكن الناس عادة يسمون شيئا كرامتهم وهو ليس كرامتهم ، حقيقة هي ليست كرامتهم، هم فقط يقولون أنها كرامتهم. وبعض الناس الذين هم حادّي المزاج أو متقلبي المزاج عادة — .

١٥٠

ت ن : نعم ، هل تستطيع اعطائي مثال ما - مثال ما آخر ؟ - - -

عثمان : نعم ، استطيع أن اتذكر مثالاً واحداً. قالوا في أحد المرات - - - أن جد أبو سن الحالي - أبو سن هم اسم العائلة التي - منذ القدم كانت في رئاسة قبيلة الشكرية - يقولون أنّ ابو سن الكبير عادة يجلس في مظلة دكان في السوق وبمجرد أن يرى شخص لا يحبه - فهو يأمره بأمره - يأمره أن يأتي ثم يعيّره ومرة أثناء جلوسه ، يقولون جاء رجل إلى المكان الذي يجلس فيه يسلم عليه. وقد شعر أبو سن بهذا - شعر بأن هذا الرجل لا يحترمه. فلما رآه مرة أخرى قال " آه نادوا ذلك الرجل" وعندما اقترب منه نظر إليه وقال له " ماذا تلبس ؟ قال " أنا ألبس بنطلونا " من أي شيء صنع ؟ " قال من الكاكي " آه - هذا الكاكي، والدك قبل أن يموت ، كان يشتهي بشده أن يكون له بعض الملابس من الكاكي. لكن لم يستطيع - مات قبل أن يحقق رغبته " ولذلك - هذه كانت نوع من الاساءة، أن والدك في حياته ، فقط يرغب أن يكون لديه بعض الملابس المصنوعة من الكاكي ولم يحقق رغبته. يعني حتى لو لم تسلم على شخص - ربما هو يعتبر ذلك أساءة لأجل أنك لم تحترمه . . . .

ت ن : هل هو يتوقع الآخرين أن يحيوه ؟

عثمان : نعم ، نعم .

علي : ليس لأنه أعظم ، على ما اعتقد ، لأنه كما قلت لك ، أي شخص يعتبر نفسه ك - مساوٍ لأي شخص آخر . اعتقد لأن أبو سن كان شيخاً كبيراً. أكبر من المدرس لذا يتوقع من المدرس أن يسلم عليه .

ت ن : هل يتوقع الناس كبار السن أن يسلم عليهم أولئك الذين يصغرونهم؟

عثمان : نعم في الاسلام يقولون : الصغير يسلم على الكبير، اذا كنتم اثنين ونحن ثلاثة فأنتما تسلمان على الواقفين، الشخص الماش يجب أن يسلم على الشخص الراكب على جمل أو بقرة، وهكذا. هذه قاعدة ـ ـ ـ

١٥١

عثمان : سوف أقص قصة عن ابراهيم موسى مادبو. كان له شجرة يستعملها كمحكمة. عادة يأتي بعد الافطار ويجلس هناك ويستمع لشكاوى الناس. وبينما كان هناك جاء مامور المديرية، المامور الانجليزي للمديرية. وال ـ ونادى / ؟ / أيضاً الناظر أو شيخ القبيلة وأرسل إليه وكان ابراهيم موسى غضبان جداً جداً، وشعر بأنه أسيء إليه عندما أرسل مامور المديرية يطلبه. قال للشخص الذي أرسل إليه " أذهب وقل له اذا كان يرغب يجب عليه أن يحضر. أنا أنا لن اذهب إليه أنا ليس هنا تحت إمرة الانجليز. سأخبرهم ماذا يفعلون في منطقة ـ قبيلتي ، عندما يهتمون بأشياء تتعلق بقبيلتي " وجاء المامور الانجليزي وعندما وصل الشجرة التي يجتمع عندها شيخ القبيلة مع مستشاريه في الوقت الذي وصل فيه ـ ـ ومامور المديرية ذهب واخبر بذلك الحاكم. قال الحاكم " هذا ـ هذا جيد. نستطيع أن نسأل شيخ القبيلة عن ذلك. " وسأل ابراهيم. قال " نعم، هذا الجزء من البلد ليس وليس ملككم وليس ملكه ولذلك يجب أن لا يرسل في طلبي. يجب أن يحضر إليّ، في المكان الذي أنا فيه ـ ـ . " وقد سأل ابراهيم عما اذا كان يريد من المامور أن يعتذر إليه أم يريد أن يسوي المسألة قال لا يجب أن يعتذر المأمور عن ما فعل هذه إساءة لي. اذا ـ فعلها مرة أخرى، يجب أن تستبدله بآخر. ولذلك جاء مامور المديرية واعتذر. ولذلك هذا أحياناً ربما تكون / ؟ / اساءة ، في رأي . ستعتبر / ؟ / كاساءة.

عادة ، طبعا ـ الاشياء تغيرت ـ اليوم كل مكان القرى لديهم أيضاً نفس الفكرة عن هذا.

اذا قلت بالخطأ فقط أي شيء لوالد / ؟ / أو / ؟ / لرجل كبير ، ربما يعتبرها اساءة ، ربما تعاقب على ذلك أو تعيرّ ويقولوا أنت غير مؤدب " أو كذا لكن اليوم فى اعتقادى هذه ربما لا تعتبر اساءة.

علي : لا اعتقد لو أنى كنت مكانه ، مكان موسى ، كنت اعتبرها أساءة. لأن مامور المديرية عامله كما يعامل - كما يعامل أى شخص آخر - - - - .

عثمان : اعتقد أنه ما دام مامور المديرية هذا ، الناظر هذا أو شيخ القبيلة يأتى تحت إدارة مامور المديرية. يجب أن يعامله هكذا. لماذا فعل هكذا ؟ أو طلب منه أن يحضر ليقابله ؟

ت ن : اذن هل تعتقد أيضاً أن هذه كانت اساءة ؟

عثمان : لا اعتقد أنها اساءة. لا اعتقد أنها اساءة: اعتقد أن الناظر تحت إدارة مامور المديرية لم يسىء إليه عندما أرسل له يطلبه .

ت ن : اذن انت لا تتفق مع علي هنا ؟

عثمان : - نعم . اعتقد عندما يرسل المدير الى أحد معاونيه أو كذا ، فهذه ليست اساءة أو بعض الناس الذين يعملون معه . يعنى مامور المديرية طبعا - حقيقة - كان الناظر تحت إمرة مامور المديرية، رئاسة المامور . لذلك فهى ليست اساءة.

علي : نعم . لكنه يرى فى نفسه - أعنى - أن لديه امتيازات وليس مثل الآخرين ولذلك يجب ألا يعامل مثل الآخرين.

١٥٢

ت ن : هل تعتقد أن الناس حاليا يؤكدون علي كرامتهم ؟

عثمان : نعم ؟ حاليا ؟ لا اعتقد ذلك. الناس حاليا - أحيانا يقبلون أشياء تؤثر فعلا فى كرامتهم. وفقط يقولوا لن تسبب فرقا "

علي : لا تسبب فرقا ، لكن طبعا، لا يستطيع أن يفعل أى شىء .

ت ن : نعم . هل تستطيع أن توضح ذلك بمثال ؟

عثمان : مثلاً ، في منطقة الجزيرة مفتشي الغيط الذين يشرفون على مرابيع معينة أو مناطق معينه. هم أناس شباب، تماما في عمرنا - يأتون أحيانا ويسبون الناس الكبار ويعيرونهم بأنهم متراخين كسلانين " انتم لا تولون اهتماما لعملكم. أنا فقط أفصلكم، وهكذا يقبلونها.

ت ن : لكن أيشعرون بأنهم أسيئ إليهم ؟

عثمان : نعم، يشعرون أنهم اسيئوا - يقبلون ذلك .

ت ن : لماذا يقبلون ذلك ؟

عثمان : آه ، يقولوا " هم رؤساؤنا وحتى اذا ذهبنا وشكونا من ذلك، سوف لن يستمعوا لنا" لكن بعض الناس لا يقبلونها. لدرجة أنهم - يشاجرونهم وبعد ذلك ينابذونهم.

ت ن : هل تعتقد أنه ينبغي لهم أن يحتجوا ؟

عثمان : اذا - . طبعا اعتقد أن مفتش الغيط يجب عليهم أن يستعملوا لغة معتدلة شيئاً ما، لا أن يسيئوا الناس لأنه حتي لو كان الشخص أدنى منك أو يأتي في المرتبة بعدك يجب عليك أن لا - يجب لا تسيئه. قل له فقط أنه لم يؤد عمله وأنك تريده أن يفعل ذلك . .

عثمان : ذلك يعتمد علي نوع الإساءة . اذا عيرني شخص " أنت بغل وابن حرام " مثلاً ، آه ، هذا يعتبر استفزاز عظيم. ربما أنك تقتله (ضحك)

ت ن : اتعتقد أنه سيكون من الصواب أن تقتله ؟

عثمان : لا ليس صواباً طبعاً . ربما تعير بالمثل وتسوى المسألة.

ت ن : هل تعتقد أنك قد تستثار كثيراً بالدرجة التي تكون فيها محقا أن تقتل شخصاً آخر ؟

عثمان : لا اعتقد . إلا إذا جاءت مسألة العرض مثلا. اذا لم تكن شديد الحرص على مسألة قتل ذلك الشخص أو كذا . . . - فقط خائف من أن الناس ربما - عندما يسمع الناس بذلك ، يعيرونك بأنك جبان أو شخص . . . . سوف يعيرونك أو فقط أنك لست . . وربما يكون هذا نوع من الاستفزاز الذى يعتقدون أنه يبرر للشخص أن يقتل ، - لكن عادة هم يقتلون كليهما.

ت ن : هل حدث لك مؤخراً في قريتكم ؟

عثمان : لا لكن هناك حالات - نشرت في الصحف اليومية. عن شخص وجد آخر مع زوجته وقتل كليهما . طبعاً قد حوكم على القتل وتم شنقه. البعض ربما يقنعون أنفسهم بأن يجلدوه جلداً قاسياً أو كذا - - -

١٥٣

ت ن : هل تعتقد أن هذه الفضائل التقليدية تنطبق سوياً على الرجال والنساء ؟

عثمان : هنا ؟

ت ن : نعم .

علي : طبعا بعض منها ينطبق فقط على الرجال . . مسألة الشجاعة .

عثمان : اعتقد - عادة يفهم بأنها تنطبق على الرجال ، لأن النساء عادة لا يشاركن هنا بدور كبير في الحياة هذا طبعا يعود الى بعض العوامل أنه - هنا في السودان . . ليس للنساء فرصة كبيرة ليشاركن في الحياة ولذلك لا يستطيع الشخص أن يقول أنها تنطبق سوياً على كلا الجنسين ، ربما يكون هذا هو السبب - في أن المرأة لا تشارك في الحياة ولذلك لا يستطيع الشخص أن يقول أنها تنطبق بصورة متساوية. حتى هنا في المدن حيث يرى النساء أنهن يشاركن بدور في الحياة ، عادة هن لا - يعتقدن أن الفضائل التقليدية لا تنطبق عليهن حتى المرأة المتعلمة التي ترى أنها مساوية للرجل هي ليست شجاعة أبداً

١٥٤

ت ن : هل تعتقد أنها يجب أن تنطبق على الرجال والنساء بصورة متساوية ؟

عثمان : اعتقد أنه سيكون من الأفضل . المجتمع سوف يسير بصورة صحيحة عندما تكون فضائل معينة - فضائل معينة مثل تلك التي تتعلق بالشرف والكرامة ولذلك عندما تنطبق بصورة وتحترم تماما من جانب الجنسين، هذا ربما يكون سليماً . والشجاعة الى حد ما. لن يكون ضرراً في ذلك .

ت ن : هل توافق ؟

علي : هل تعتقد أن يقبل الرجل ذلك ـ يقبل ذلك ـ أنا أسأل عثمان ؟ هل تعتقد أن الرجل سيقبل إساءة زوجته عندما تجده مع إمرأة أخرى ؟ أعني ، الرجل له الحق ، طبعاً أن يجلدها لكن ـ .

عثمان : ليس تجلده . على الأقل ربما تطلقه أو أن تطلب ذلك ـ تطلب الطلاق. أو ربما تذهب الى منزل أسرتها ووالدها وهي ـ اعتقد لها الحق أن تسير بالتساوى واعتقد بالنسبة لى، سوف لن ــ زوجتي وجدتني متلبس بهذه الجريمة . أن تطلب الطلاق أو حتى تسيئني. أنا شخصياً لن أقبل أولاً / ؟ / . لأني اعترفت أني استحق ذلك.

علي : اعتقد ، اذا انطبقت بصورة متساوية على النساء، فالحياة الإجتماعية كلها سوف تنقلب وبالتالي ـ سيقلب هذا الحياة الإجتماعية كلها.

عثمان : نعم ستؤدى الى ذلك.

ت ن : من المؤكد أنه سينتج عنها تغييرات بالنسبة للسودان ، كلاهما ، نعم

ت ن : هل تعتقد أن ذلك سيكون حسن أم قبيح على وجه العموم ؟

على : طبعا ، أني لا أحب الظروف السائدة حالياً. لكني أيضاً لا أريد أن ينطبق تغييرٌ جزريٌ بصورة متساوية على النساء لكن تدريجياً .

عثمان : لا، إني أريد التغيير / ؟ / . ألا تريد أن تشارك ؟ لترى أن هناك تغييراً كاملاً؟ ـ

على : ليس كاملاً في رأى

عثمان : هل هو لا يسير حاليا بصورة تدريجية ؟ طبعا في المدن اعتقد أن الحياة تختلف عن الحياة في البلد .

١٥٥

ت ن : هل تشعر أنها تتغير ببطء أم سريعاً ؟

عثمان : في المدن هنا تغيير سريع. حتى تغيير بالنسبة الى ـ في قراهم. الشخص يلاحظ أنه يوجد تغيير ، بعض التغيير. مثلاً ، قبل عشر سنوات لا تتفادى إمرأة سودانية

زوجها باسمه . واليوم الناس الذين في أعمارنا أو دون أعمارنا ، تناديهم زوجاتهم - بأسمائهم. أحياناً يأكلن معهم من على نفس السفرة وهذا طبعاً لم يحدث في الأسر القديمة . هناك أشياء كثيرة تغيرت حالياً .

ت ن : هل تسمح لزوجتك أن تأكل من على نفس السفرة ؟

ت ن : حتى لو كان معك ضيوف ؟

علي : (ضحك) ذلك يعتمد على أنواع الضيوف طبعاً .

إذا كانوا أقربائي وأصدقاء وثيقين، فلا غبار علي ذلك. لكن إذا لم تكن تعرفهم - كما ترى، هذا صعب شيئاً ما، لأن الشخص يريد أن يغير قليلاً، وأعني لا يستمسك بما هو
تقليدي. نحن في نفس الوقت يجد نفسه أنه من غير وعي، منه قد تمسك بها. هذا نلاحظه بين في وسط الطلاب. تجد كل واحد منهم يريد أن تكون له صديقة ويمشي معها وهكذا. ولكن حينما نأتي لتطبيق ذلك على الأخت بالنسبة له فهو لا يريد ذلك . يعني من غير شعور، هذا النوع من التناقض، التناقض النفسي، هي صعبة جداً .

هوامش الأبواب

الباب الأول
مجال الأخلاق

١- بالنسبة لتاريخ مفهوم (term) "ايديولوجية" ("Ideology") انظر نيس (Naess) وآخرين ١٩٥٦م.

٢- ربما يعتقد أنه لا ضرورة لتأكيد النقطة القائلة بأن لغة العلم (science) يجب أن لا تكون دقيقة. ومن العجب مع ذلك أن نلاحظ كيف أن فكرة اللغة المثالية (ideal language) الخالية من الغموض والشك وأنواع عدم الوضوح الأخرى قد كان لها تأثير عميق على الفلاسفة التحليليين.

٣- هذا المصطلح (term) اقترحه عليَّ بروفسير هـ. تورنبوم (H. Tornebohm) في مناقشة.

٤- مثلاً جودفري ويلسون (Godfrey Wilson) في دراسته للأخلاق النياكيوسانية (Nyakyusa ethics) (Wilson 1960) .

٥- مور (Moore) 1903 ، ص ٢.

٦- تيلر (Taylor) 1961 يحوي تعبيراً واضحاً لهذا الرأي.

٧- بالنسبة لمقاييس التجرد أي الخلو من الغرض (disinterestedness) والشمولية (universalizability) ، انظر برانت Brandt 1958 ، باب ٢ وهوسبرز (Hospers) 1961 ص١٦٩ - ١٧٤، حيث توجد مصادر أخرى. وفي رأي فإن هذه المقاييس كان من الأفضل اعتبارها بمثابة مقاييس مقترحة لصحة الأنساق الأخلاقية. (انظر فصل ٥ و ٦ أدناه.)

٨- أي أن "أخلاق" ("ethics") مثل المفاهيم الأخرى التي تتعلق بالأشياء الثقافية (cultural entities) ، لها "تركيب مفتوح" ("open texture") . قارن ذلك مع النقاش التفسيري "للدين" في ألستون (Aliston) 1964 ، ص ٨٧ - ٩٠.

٩- لاد (Ladd) 1957 ، هيتون (Hytten) 1959 يحويان مسحاً نقدياً للتعريفات المعاصرة "للأخلاق".

١٠- لاد (Ladd) 1957 ، ص ٤٥.

١١- لاد (Ladd) 1957 ، لا يَسلّم من هذا النقد.

١٢- قارن لاد (Ladd) 1957 ، ص ٤٥.

١٣- دوركايم (Durkheim) 1953، ص ٣٥ – ٣٦، قارن لاد (Ladd) 1957 ، ص٤٩.

١٤- توجد مراجع كثيرة جداً حول مسألة لماذا يجب أن يكون الشخص أخلاقياً . انظر مثلاً تيلر (Taylor) 1961، ص ١٤٢ -١٤٩، فصل ١١ حيث توجد فيه مراجع أخرى.

١٥- ماكبيث (Macbeath) 1952 ، براندت (Brandt) 1954 ، ولابد أن أذكر في هذا السياق كتاب م و أ إدل (Edlle) علم الإجتماع والأخلاق (Anthropology and Ethics) 1959.

١٦- مثلاًإستعمال مور (Moore) لمنهج الفصل (method of isolation) انظر ماكبيث 1952، المحاضرات ١٢ – ١٤. (Lectures XIII - XIV)

١٧- قارن ماكبيث (Macbeath) 1952، ص ٥٧.

١٨- نفس المصدر السابق ص ٤٢٤.

١٩- براندت (Brandt) 1954 ، ص ٥٥.

٢٠- براندت (Brandt) 1954 ، ص ٦٤.

٢١- لقد أكدً لاد (Ladd) الشرط الثاني والخامس والسادس على أساس المشابهة للإستعمال المعتاد وقابلية التطبيق عبر الثقافات (intercultural applicability) والفعالية (effectireness) (انظر ص ٤٥، ٨١) أما الشرط الثالث حول المجال المهم (interesting field) فهو لم يُرسم بوضوح، غير أن الإشتراط بأن يوفر التعريف إماكنية تنمية "نسقٍ نظري صحيح ودقيقٍ وشامل" (ص ٤٤) هو من المحتمل أن يكون قد قُصد به بيان هذه النقطة. والشرط الأول حول الوضوح قد حُظي بالإهتمام في صفحة ٧٣ والصفحة التالية لها حيث أن المقاييس الحدسية قد تمّ رفضها. أما بالنسبة للشرط الرابع – وهو أنه يجب أن لا يحدد التعريف مجالاً شديد المحدودية – فإن لاد (Ladd) يعتبر أنه حتى بالنسبة للتعريف الواسع مثل تعريف براندت (Brandt) يتناقض مع الدرجة العالية "للدقة" المنطقية (Logicalrigor) والتحقق الموضوعي (objective verifiability) (ص ٣١٦) وسوف أقول في البابين التاليين أن إصرار لاد (Ladd) على منهجية مبسطة جداً يقوده إلى نظرية أخلاقية شديدة المحدودية

بالنسبة لأهداف الأخلاق الوصفية.

٢٢ – لاد (Ladd) 1957 ، ص ٨٢.

٢٣ – لاد (Ladd) 1957 ، ص ٤٥، ٧٦، ٣١٦.

٢٤– لاد (Ladd) 1957 ، ص ٣١٦.

٢٥– لاد (Ladd) 1957 ، ص ٨٥.

٢٦ – لاد (Ladd) 1957 ، ص ٨٥.

٢٧ – لاد (Ladd) 1957 ، ص ١٠٧.

الباب الثاني

التصور الاستنباطي

١– استيفنسون (Stevenson) 1944، ص ١٧٤ والصفحات التالية لها.

٢– قارن مثلاً كتاب النفعية لـ مل (Mill's Utilitarianism) أو هوسبرز 1961 (Hospers) ، الباب ٥، ويبقى كتاب مور (Moore) 1912 كأوضح تعبير للنظرية النفعية في الأخلاق قارن أيضاً اسمارت (Smart) 1961 .

٣ – لاد (Ladd) 1957 ، ص ٢٧٨.

٤ – لاد (Ladd) 1957 ، ص ٢٧٧ – ٢٧٨.

٥– قارن لاد (Ladd) 1957 ، ص ٢٧٩.

٦– براندت (Brandt) 1959 ، ص ٢٩٥.

٧– نيس (Naess) وقالتنغ (Galtung) توصلا إلى هذه النتيجة في إعادة صياغتهما لأخلاق غاندي السياسية وناقشا ما إذا كان نسق المبادىء الذي أعاد صياغته (reconstructed system of principles) كامل، متسق ومستقل! انظر نيس 1955 (Naess) .

٨– باوند (Pound) 1959 ، ص ٥٩، ٦٩.

٩– ڤيزمان (Waismann) 1959 ، ص ١١٩ والصفحات التالية لها.

١٠– انظر هارت (Hart) 1961 ، ص ١٢١ – ١٣٢.

١١– هارت (Hart) 1961 ، ص ١٢٩ والصفحات التالية لها.

١٢– إن تاريخ فكرة المقال الخطير (dangerous article) في قانون الأحوال الأمريكي

(American Case Law) توجيهي جداً! انظر ليفي (Levi) 1961، ص ٩ – ٢٧.

١٣- قارن تأكيد إيدل (Edel) على الحاجة إلى فحص أو دراسة "المحتوى الثقافي الكامل" للمفاهيم (ethical terms) الأخلاقية إيدل (Edel) 1959، ص ١١٨.

١٤- إن التعريفات المعتادة للمضمون (connotation) تبدو مفصلة للمفاهيم المغلقة (closed terms). وقد أوضح بلاك ، مثلاً أن "مضمون المفهوم هو المجموع الكلي للخصائص التي يجب أن يملكها الشيء لكن ينطبق عليه المفهوم (ص ٢٤٨)، وبناءً على هذا التعريف فإن مفاهيم التركيب المفتوح ستبدو أنها ليس لها مضامين. لكن كما بين لي بروفسير نيس أن هذا موضوع مثير مشكل يحتاج إلى مزيد من الإيضاح.

١٥- يبدو أن مل (Mill) كان له دراية قليلة بهذا عندما ذكر أن هناك أشياء كثيرة هي "جزء من السعادة"، كما عبر عنها تعبيراً خاطئاً نوعاً ما (Utilitarianism ch. IV).

١٦- قارن مثلاً لاد (Ladd) 1957 ، ص ٢٨٢ – ٢٨٤، أو برانت (Brandt) 1959، ص ٣٥٤.

١٧- إن اسمارت (Smart) 1961 هو مستثنى أو شاذ.

الباب الثالث

دراسة الأيديولوجيات

١- قارن أوفستاد (Ofstad) 1961 حول القرارات الثابتة لكنها ضعيفة التكامل (ص ٣٨).

٢- لاد (Ladd)، ص ١٤.

٣- هير (Hare) 1962 ، ص ١.

٤- هير (Hare) 1957 ، ص ١٨٢.

٥- ذكر أرسطوطاليس بعضاً منها في دراسته للعجز عن ضبط النفس (incontinence) (الأخلاق النيكوماخية) (The Nichomachean Ethics Bock Seven).

٦- عبر هير (Hare) عن نفسه بصورة أكثر حذراً في كتابه الأخير (هير (Hare) 1963، الباب ٥).

٧- فيرث (Firth) 1951، ص ١٨٩ – ١٩٠.

٨- قارن نيس (Naess) 1956، ص ١ – ٣.

٩- ريتشاردس (Richards) ، 1938 ، ص ٥٠.

١٠- قارن لاد (Ladd) 1957 ، ص ٢٣-٢٥، ٢٦٣ - ٢٦٥.

١١- نيس (Naess) 1956 ، ص ٥.

١٢- إن أهم دراستين يمكن مراجعتهما هما نيس (Naess) 1963 ونيس 1956 (Naess).

١٣- لاد (Ladd) 1957 ، ص ١٣.

١٤- لاد (Ladd) 1957 ، ص ٨٥ والصفحات التالية لها.

١٥- لاد (Ladd) 1957 ، ص ١٠٨.

١٦- بانتون (Banton) 1961 ، ص ١١٦؛ ساوثهول (South Hll) 1961 ، ص ١٠٦.

١٧- قارن دراسة ج. ل. أوستن (J.L. Austin) حول "صنائع الكلام" (speech-acts) (أوستن (Austin) 1962, 1961).

الباب الرابع
أخلاق الفضيلة

١- إن نظرية الحياة الباطنية (inner lfe) لأخلاق الفضيلة هي أيضاً ضحية لشدة محدوديتها فهي غير متصفة لكثير من الأنساق الأخلاقية التي توجد في الثقافات الغربية. وهذا هو تقريباً أحد الأسباب التي ساهمت في جعل أخلاق الفضيلة مجالاً مهملاً نسبياً في فلسفة الأخلاق المعاصرة. انظر فصل ٣ و ٥ أدناه.

٢- مور (Moore) 1922 ، ص ٣٢٠.

٣- مور (Moore) 1922، ص ٣٢١.

٤- ڤون رايت (Von wright) 1963 (a) ، ص ١٤.

٥- إن مقال ڤون رايت (Von wright) عن الفضيلة في 1963 (b) مراوحة لهذا التقليد الارستطاليسي المسيحي في أخلاق الفضيلة. ولهذا فإن فكرته عن الفضيلة لا تتناسب مع أهدافنا. و أما الآخرون من الكتاب المتأخرين فقد أهملوا إلى حد كبير مجال الأخلاق هذا.

٦- سدجڤيك (Sidgwick) 1957 ، ص ١٢٧ ، ٢١ وهامش (note) ٢٩٩ وهامش (note)

٧- إن إعتبار كلمة ميزة (trait) بهذا المعنى الواسع غير الملتزم يبدو أنه يتفق جيداً مع

الإستعمال المعتاد. ومن بين المعاني التي أدرجت في قاموس اكسفورد الإنجليزي (Oxford Engilsh Dictionary) نجد: " صفة خاصة للعقل أو الشخصية؛ خاصية مميزة، خاصية (characteristic) (طبعة 1933 ، ج XI ، ص ٢٤١).

٨- بالنسبة للمصطلح وأيضاً المثال الذي من شارتر (Charter) 1927 ، انظر مثلاً ص ١١٤ - ١١٥.

٩- قارن أفستاد (Ofstad) 1961 عن الإرادة الحرة (free will) .

١٠- هيوم (Hume) 1902 ، ص ٩٩.

١١- بالنسبة للتمييز الغائي - الدؤنتولوجي (teleological-deontological distinc-tion) انظر الباب الثاني ، فصل ٤.

١٢- الأخلاق النيكوماخية (The Nichomachean Ethics) الكتاب الثاني (Book Tow) (1955 ، ص ٦٦).

١٣- إن الأخلاق الهيومية (Hume's Ethics) قد قُدمت أحياناً في نموذج الأخلاق ذات مركزية الفعل (action-centered ethics) مثلاً بواسطة س.د. برود (C.D. Broad) في مقاله الواسع الإنتشار عن هيوم (Hume) في: خمس أنواع للنظرية الأخلاقية (Five Types of Ethical Theory) (1930) . حاول برود أن يجد إجابات في كتاب هيوم لأنواع الأسئلة التي رفعها مور (Moore) في كتابه قواعد (Principa Ethica) الأخلاق. وقد جعلت النتيجة فهماً غريباً بالنسبة للقارىء الذي يتذكر جيداً عرض هيوم نفسه للأخلاق.

١٤- انظر مثلاً التخطيطات (Surveys) في كتاب ايدل (Edel) 1959 (ch. XIII)، وكتاب لاد (Ladd) 1957 (ص ٥٢ - ٥٩).

١٥- بندكت (Bendict) 1946، ص ٢٢٢ والصفحات التالية.

١٦- بالنسبة للالتسبات التي في كلمتي: "داخلي" (internal) و "خارجي" ("external") كما استعملت في العقوبات، انظر لاد (Ladd) 1957، ص ٥٥ والصفحة التالية.

١٧- ديكسون (Dickson) 1949 ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

١٨- نفس المصدر السابق، ص ٣١٠.

١٩- قارن الشرح التالي في نصوص فرويد بالنسبة للفرق بين الضمير ذنبي - الاتجاه

(Suilt-oriented conscience) والضمير عاري الاتجاه -shame-oriented con) science) "إن الشخص الذي وعيه الباطن ذنبي الاتجاه يعاني من عقدة الذنب (suffers guilt) عندما يرتكب ذنباً أو خطيئة حتى وإن لم يره أحد، لأن عامل العقاب (الشخص المحاسب (introjected figure)) دائماً مصاحب له. لكن الشخص الذي وعيه الباطن عادي-الاتجاه (shame - oriented) لا يعاني من العار عندما يرتكب خطيئة إلاّ إذا شاهد الآخرون خطيئته، نسبة لأن عامل العقاب -agent of punish) ment) (وهم الآخرون من الخارج) غير موجود. فهو بدلاً عن معاناته للعقاب الحقيقي (العار)، يستمر في توقع العقاب، فهو يعاني من القلق". اسبيرو (Spiro) 1961، ص١٢٠.

٢٠- براندت (Brandt) 1954 ، ص ١١٣.

٢١- سدجك (Sidgwick) 1907 ، ص ٢١٧، قارن فصل ٢ أعلاه.

٢٢- قارن الباب الثاني ، فصل ٢ - ٣.

٢٣- ليكي (Lecky) 1904 ، ص ٤٤.

٢٤- نفس المصدر السابق.

الباب الخامس

تحليل الفضائل

١- قارن ڤون رايت (Von Wright) (b) 1963 ، ص ١٢٨.

٢- قاموس أكسفورد الإنجليزي (Oxford English Dictionary) (1933) ,Vol. XI ، ص ٢٣٨ - ٢٤٠.

٣- براندت (Brandt) 1959 ، ص ٤٦٧، هامش ٧، قارن ڤون رايت Von) (b) 1963 (Write ، ص ١٤٤.

٤- براندت (Brandt). 1959 ، ص ٤٦ - ٤٦٧.

٥- تناول كلٌ من براندت (Brandt) وهوسبرز (Hospers) الفضائل والرذائل في معرض نقاشهما لحرية الإرادة والمسئولية (براندت (Brandt) 1959 ، الباب ١٨، وهوسبرز (Hospers)1961 الباب ١٠)

٦- لقد اقتبس روباك (Roback) 1927 ، ص ٤٥ من ألبورت (Allport) 1937 ، ص٥١.

٧- لقد اهتم استاقنر (Stagner) 1961 ، مثلاً فقط بدراسات السلوك الأخلاقي التي من النوع الأخير (دراسات عن نماذج السلوك بالنسبة للعادات والتي تدور حول أهداف يحددها المجتمع على أنها مسموح بها أو منهي عنها ، ص ٢١٥). ويبدو أن دراسة هارتشورن (Hartshrone) وماي (May) عن الأمانة بين تلاميذ المدارس (1928) لم تكن واضحة فيما يتعلق بهذه النقطة، قارن النقاش في كتاب استاقنر (Stagner) 1961 ، ص ٢١٥ - ٢١٧.

٨- ألبورت (Allport) وأدبيرت (Odbert) 1936 .

٩- ألبورت (Allport) 1937 ، ص ٣٠٩.

١٠- إن قائمة الكلمات مؤسسة على الـ ٤٠٠,٠٠٠ كلمة المنفصلة ومشتقاتها في القاموس العالمي الجديد لـ ويستر (Webster) (1925) . ومقاييس الأدراج في القائمة تتمثل في "قدرة أي كلمة على تمييز سلوك أحد من الناس عن سلوك الآخر" (ألبورت (Allport) وأدبيرت (Odbert) 1936 ص ٢٤). مثلا: جاف (abrupt) شارد العقل (absent-minded) ، زاهد متقشف (abstemious)، أكاديمي (academic) .... خجول (abashed) ، حاد (ablaze)، مندمج (absorbed) ، شكاء (accusing) ، خواف (affrighted) .... عابث (absurd) ، مقبول (acceptable) ، مرحاب (acclaimed) ، مُهذب (accomplished) .... جارح (abrasive) ، حقير (absinthine) ، سرّاق (abstract) ، عميق (abysmal) ، سطحي (accidental) .... (من نماذج الكلمات المدرجة في كتاب ألبورت (Allport) 1937 ، ص ٣٠٩).

١١- يبدو أن هارتشورن (Hartshorne) وماي (May) قد أغفلا هذه النقطة في دراستهما لعدم الأمانة وسط تلاميذ المدارس (هارتشورن (Hartshorne) وماي 1928 (May)). قارن التعليقات في كتاب استاقنر (Stagner) 1961، ص ٢١٥ - ٢١٧.

١٢- شارترز (Charters) 1927 ، ص ٤٦ ، ٦٠ . لقد أعطى شارترز أيضاً عدة أمثلة إرشادية أخرى (الباب ٣ ، (Ch. III) .

الباب السادس

تخطيط البحث

١- كرونكي (Kronki) 1928، ص ٧٥ والصفحة التالية.

٢- بالنسبة للتحليلات كلمة عرب كما تستعمل في السودان انظر باربور (Barbour) 1961، ص ٨٠.

٣- كرونكي (Kronki) 1928، ص ٧٥ والصفحة التالية.

٤- قدم باركلي (Barclay) 1958 تقديراً على احتمال أن يكون ٧٪ من السكان من الفلاتة.

٥- ترمنجهام (Trimingham) 1949 ... 1957 ... ص ٢٩٥.

... باربور (Barbour) 1961 ...

٦- الخلوة هي المؤسسة المحلية لتلقي العلم وحفظ القرآن والتي توجد تقريباً في كل أجزاء شمال السودان (حسن الحاج علي 1954 ...) قارن كيتشن (Kitchen) 1962 ... وباركلي (Barclay) 1964، ص ١٦٨ - ١٦٩.

٧- إنتقلت فكرة الإخوان المسلمين (Muslim Brotherhood) إلى السودان من مصر في أوائل الخمسينيات ، وفقاً لقول أحد المخبرين، ولم تظهر علانية كحزب سياسي إلا من بعد سقوط النظام العسكري في أكتوبر 1964.

٨- نوردنستام (Nordenstam) ... وشو (Shaw) 1957 (a) ...

٩- نوردنستام (Nordenstam) وشو (Shaw) 1957 (b) ...

١٠- انظر الباب العاشر لمناقشة ...

١١- إن البحث الذي قام به ج. ك. كامبيل (J. K. Campbell) عن القيم الأخلاقية في المجتمع القروي الإغريقية هو مثال جيد لهذا النوع من الدراسة (كامبيل (Campbell) 1964). وتوفر دراسة باركلي (Barclay) عن أحد ضواحي الخرطوم (باركلي (Barclay) 1964) شيئاً من الخلفية الضرورية بالنسبة لهذا النوع من البحث الأيديولوجي في شمال السودان.

١٢- قارن الباب الثامن ...

الباب السابع
الشجاعة و الكرم و الضيافة

١- أعطى فهر - كُوُان (Wehr - Cowan) 1961 الترجمة التالية للشجاعة: (shaja'a) : شجاعة (courage) ، بسالة (bravery) ، بأس (valor) ، بطولة (valiance) ، إقدام (boldness)، جرأة (audicity) ، " (ص ٤٦٥).

٢- ذكر كراوفوت (Crowfoot) مثل ذلك عن الرباطاب وهو أنه إذا أرخى الصبي رأسه أثناء عملية الطهارة أو لم يستجيب لتشجيع زملائه أو انكمش أبداً، "فهو يعتبر حينئذٍ جبان ووصمة على نفسه وأسرته" (ص ١٣٢). ولا تُحدث الفتيات أو النساء في المعتاد أي صياح عند الطهارة أو الولادة (ص ١٣٣ ، ١٢٩). ذكر عبد اللّه الطيب 1955 الاعتقاد بأن الاظهار الكثير جداً للشجاعة أثناء أوجاع الوضوع يجعل الأم وأبناءها عُرْضَةٌ للعين (Ebil Eye) ، لذلك ينبغي للمتألم أن يئن ويبكي ظاهرياً (ص ١٥٠).

٣- حرفياً هي: خبث (Slyness) ، احتيال (cunnings) ، مكر (shrewdness) ، براعة (adroitness) ، مهارة (skill) ، ذكاء (cleverness) خفة (smartness) " (فهر-كوان Wehr - Cowan ، ص ٤٧١) أو "الشجاعة عبد اللّه الطيب 1956 ، ص ٦٠).

٤- وصف عبد اللّه الطيب أشكالاً مشابهة من الشطارة والبُطان في مقاله 1956 ، الشطارة ، البطان والصراع (Shatara, Butan and Sura) وقال أنها كانت أهم ألعاب الرجولة والقوة (ص ٦٠). قارن أيضاً دافيز (Davies) 1957 ص ٧٠.

٥- أشار كراوفوت (Crowfoot) 1922 إلى البطان أثناء مناسبات الزواج في مديرية دنقلا وأيضاً في بُري خارج الخرطوم (ص ٧ ، ١٤).

٦- الأخلاق النيكوماخوية (The Nichomachean Ethics Bk3, ch. 8) ارسطوطاليس ، ص ١٠٠ - ١٠١.

٧- في مقتبسة من قبل.

٨- الأخلاق النيكوماخوية (The Nichomachean Ethics Bk3, ch. 8) .

هنالك تشابهاً شديداً بين آراء ارسطوطاليس عن الشجاعة وآراء المخبرين عنها.

٩- هذه النقطة اقترحها علّي الدكتور محمد إبراهيم الشوش.

١٠- أعطى قهر - كوان (Wehr - Cowan) الترجمة التالية للكرامة: "طبيعة نبيلة (Noble nature) ، اهتمام عظيم (high mindedness) ، نبل الطوية - noble) heartedness ، الكرم (generousity) ، الشهامة (magnanimity) ، الرحمة kindness) ، المودة (friendliness) ، بشاشة (amicability) ، السخاء (librality) ، الاريحية (munificence) ، (ص ٨٢١).

١١- قهر كوان (Wehr - Cowan) : "الضيافة (ldiyafa) - حفاوة الاستقبال، الترحيب بك كضيف، الايواء ، الضيافة" (ص ٥٤٨ - ٥٤٩).

١٢- حول العلاقة بين الضيافة والفضائل الأخرى من جهة والشرف والسمعة والعار من جهة أخرى، انظر الباب الثامن، فصل ٦ والباب التاسع، فصل ٢.

١٣- قارن وسترمارك (Westermark) 1912 ، ص ٥٩٦ ، ٥٧١ - ٥٧٢.

١٤- حول أهمية الدافع (motive) ، انظر التعضيد في الباب التاسع فصل ٤.

١٥- السورة التاسعة (IX) من ترجمة بالمر (1928 ، ص ١٦٣).

١٦- وسترمارك (Westermark) 1912 ، ص ٥٢٦ - ٥٦٩.

الباب الثامن

الشرف و الكرامة

١- فيما يتعلق بطهارة المرأة في السودان، انظر ماكدونالد (ورقة البحث هذه عادةً ما يشار إليها، لكنني لم أستطع الحصول على نسخةٍ منها) وباركلي (Barclay) 1928 ، ص ٢٣٧ - ٢٤٠).

٢- باركلي (Barclay) 1928 ، ص ٢٣٧.

٣- يبدو أن المخبر يعكس هنا آراء واسعة الإنتشار. وطبقاً لما ورد في كتاب باركلي 1928 (Barclay) ، إن كثيراً من الرجال في القرية التي في الضاحية الواقعة خارج الخرطوم والتي قام بدراستها، يعتقدون أن الإنهاك (infibulation) هو نوع من الصون والحماية للفتيات (ص ٢٤٠)، وقد أكد ترمنجهام (Trimingham) في كتابه ١٩٤٩م، " أن الشماليين لا يتكلفون مشقة في تبرير ممارسة الطهارة الفرعونية. فهي عادة (custom) " (ص ١٨٢). وقد ذكر ترمنجهام (Trimingham) أن البقارة يقولون أن الإنهاك (infibulation) هو حماية ضد الحمل المبكر بالإضافة إلى أنه طريقة لجعل

الفتيات أكثر جاذبية للرجال (نفس المصدر السابق) وقد ذكر أحد مخبري باركلي (Barclay) هذا السبب الأخير (كما مر ذكره سابقاً) ولكن لم يذكر ذلك المخبرون الذين استعنت بهم.

٤- وبالمثل كراوفوت (Crowfoot) 1918 ، ص ١٢٢.

٥- بالنسبة لكلمة دقنتاس (dignitas) لقد اتبعت تفسير إ. وسترائد (E.Wistrand) ، (Wistrand 1962). (والصحة التاريخية لتفسيره والتي لا أستطيع أن أحتم عليها، هي بالطبع ليست لها أهمية في السياق الحالي).

٦- وسترائد (Wistrand) 1962 ، ص ٢٣٠. الترجمة لي.

٧- لقد ميز وسترائد (Wistrand) بين خمس طبقات إجتماعية (نفس المصدر السابق، ص ٢٠)

الباب التاسع

أخلاق الإحترام وإحترام النفس

١- قارن القصة المشابهة كما في كتاب دافيز (Davies) 1957 ، مسائلة: "أتريد أن تعيرني أمام قومي؟، من الذي سيتزوج بناتي إذا عجزت عن إظهار الضيافة للضيف؟ (ص ٧٩).

٢- بالنسبة للتمييز بين العار والذنب انظر الباب الرابع فصل ٤.

٣- راجع مثلاً السورة الثانية من القرآن: "... لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ..." (سورة البقرة ، آية ٢٦٤ - المترجم)، (بالمر (Palmer) 1928، ص ٣٨)

٤- بيك (Peck) وهافغيرست (Haighurst) 1960 ، ص ٥ - ٨.

الباب العاشر

مسائل أخرى مساعدة

١- سوف نقوم باختبار عدد من الفرضيات الناجمة عن الدراسة الحالية من خلال ثلاثة مجموعات من الإستبيانات حول أفكار الشرف، الكرامة، وإحترام النفس. وقد وزعت هذه الاستبيانات على طلاب السنة الأولى والسنة الرابعة بجامعة الخرطوم في خريف عام ١٩٦٦م . ولم نختتم بعد تحليل المعلومات التي حصلنا عليها بمشابهة هذه

الإستبيانات.

٢- دوختي (Doughty) 1936 (انظر مثلاً ج ١ ص ٤٤٧)، دكسون (Dickson) 1949 (انظر مثلاً الباب السابع- (VII))، مُسِلْ (Musil) 1928(انظر مثلاً الباب ١٩ - (ch. XIX

٣- وات (Watt) 1960 ، ص ٢١.

٤- جولتسهير (Goldziher) (Barclay) 1889 ، ج ١ ، ص ١٢ ، وات (Watt). 1960، ص ٢٢ فارس (Fares) 1932 ، ص ٣٠ والصفحات التالية. لد ترجم فيه - كوان (wehr - Cowan) المروءة بمعنى "مثال الرجولة، التي تشمل فضائل الفروسية خصوصاً الرجولة (manliness)، الجرأة (valour) ، الفروسية (chivalry) ، الكرم (generosity) ، الاحساس بالشرف sense of honour)" ص ٩٠٢.

٥- راجع فارس (Fares) 1932 ، مثلاً ص ٣٤ وما بعدها. مادة عظيمة الأهمية حول أخلاق ما قبل الإسلام في هذا الكتاب، وأيضاً في كتاب الشوش 1959 .

٦- تبدو فكرة العرض عند أولاد علي في صحراء مصر الغربية مشابهة تقريباً لفكرة المخبرين الذين استعنت بهم، انظر ورقة بحث أبو أ.م زيد عن: الشرف والعار وسط البدويين المصريين (Honour and Shame Among The Bedouins of Egypt - في بريستياني (Peristiany) 1956 .

٧- بت - رڤرز (Pitt - Rivers) 1954 ، كامبل (Cambell) 1964 ، راجع أيضاً أوراق البحوث التي في بريستياني (Peristiany) 1965 .

٨- بريستياني (Peristiany) 1965 ، ص ٩.

٢

References

Abdulla El Tayib, "Changing Customs of the Riverain Sudan. Part1",Sudan Notes and Records, XXXVI, 1955.

Abdulla El Tayib, "Changing Customs of the Riverain Sudan. Part1", Sudan Notes and Records, XXXVII, 1956.

G. W. Allport, Personality: A Psychological Interpretaion, New York: Holt, 1937.

G. W. Allport and H. S. Odbert, "Trait names: A Psycho-Lexical Study", Psychological Monographs, 47, No. 211, 1936.

W. P. Alston, Philosophy of Language, Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, 1964.

Aristotle, The Ethics of Aristotle, The Nichomachean Ethics translated by J. A. K. Thomson, London: Penguin, 1955.

J. L. Austin, Philosophical Papers, Oxford: Clarendon Press, 1961.

J. L. Austin, How to do Things with Words, Oxford: Clarendon Press, 1962.

M. Banton, "The Restrucuring of Social Relationships", in A. South hall, ed., Social Change in Modern Africa, London: Oxford University Press, 1961.

K. M. Barbour, The Republic of the Sudan, London: University of London Press, 1961.

H. B. Barclay, Buurri al Lamaab, Ithaca, N. Y.: Cornell University Press, 1964.

R. F. Benedict, The Chrysanthemum and the Sword, Boston: Houghton Mifflin, 1946.

M. Black, Critical Thinking, New York: Prentice-Hall, 1952.

R. B. Brandt, Hopi Ethics, Chicago: University of Chicago Press, 1954.

R. B. Brandt, Ethical Theory, Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, 1959.

C. D. Broad, Five Types of Ethical Theory, London: Routledge & Kegan Paul, 1930.

J. K. Campbell, Honour, Family and Patronage, Oxford: Clarendon Press, 1964.

W. W. Charters, The Teaching of Ideals, New York: Macmillan, 1927.

J. W. Crowfoot, "Custom of the Rubatab", Sudan Notes and Records, I, 1918.

References

N. W. Crowfoot, "Wedding Customs in the Northern Sudan", Sudan Notes and Records, V, 1922.

R. Davies, The Camel's Back, London: John Murray, 1957.

H. R. P. Dickson, The Arab of the Desert, London: George Allen Unwin, 1949.

C. M. Doughty, Travels in Arabia Deserta, London: Jonathan Cape, 1936.

E. Durkheim, Sociology and Philosophy, translated by D. F. Pocock, Glencoe, Ill.: Freepress, 1953.

M. Edel and A. Edel, Anthropology and Ethics, Springfield, Ill.: Charles L. Thomas, 1959.

B. Farès, L'Honneur chez les Arabes avant d'Islam, Paris, 1932.

J. Goldziher, Muhammedanische Studien, Vol. I, Halle, Max Niemeyer, 1889.

R. M. hare, The Language of Morals, Oxford: Clarendon Press, 1952.

R. M. Hare, "Religion and Morals", in B. Mitchell, ed., Faith and Logic, London: George Allen & Unwin, 1957.

R. M. Hare, Freedom and Reason, Oxford: Clarendon Press, 1963.

H. L. A. Hart, The Concept of Law, Oxford: Clarendon Press, 1961.

H. Hartshorne and M. A. May, Studies in Deceit, New York: Macmillan, 1928.

S. Hillelson, Sudan Arabic English - Arabic Vocabulary, 2nd ed., London: McCorquodale, 1930.

P. M. Holt, A Modern History of the Sudan, 2nd ed., London: Weidenfeld and Nicolson, 1963.

J. Hospers, Human Conduct, New York: Harcourt, Brace & World, 1961.

D. Hume, Enquiries Concerning the Human Understanding and Concerning the Principles of Morals, ed. by L. A. Selby-Bigge, Oxford: Clarendon Press, 1902.

E. Hytten, The Concept of Morality and the Criteria of Legitimate Argumentation. An Examination of Some Recent Definitions of Morality. Filosofiska studier utgivana av Filosofiska institutionen vid Stockholms universitet No. 3, Stockholm: mimeo., 1959.

H. Kitchen, The Educated African, London: Heinemann, 1962.

K. J. Krotki, "Demographic Survey of Sudan", in The Population of Sudan, Report of the Sixth Annual Conference, Khartoum: Philosophical Society of Sudan, 1958.

J. Ladd, The Structure of a Moral Code, Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1957.

W. E. H. Lecky, The Map of Life, 2nd. ed., London: Longmans, Green and Co., 1904.

E. H. Levi, An Introduction to Legal Reasoning, Phoenix Books, Chicago: University of Chicago Press, 1961.

A. Mac Beath, Experiments in Living, London: Macmillan, 1952.

D. R. MacDonald, Female Circumcision in the Sudan: A Paper Delivered at the Sudan Branch British Medical Association, mimeo., 1936.

J. S. Mill, Utilitarianism, Everyman's Library, London: J. M. Dent & Sons, 1910.

Mohammed Ibrahim El-Shoush, The Nature of Authority in Arabia at the Advent of Islam, unpublished Ph. D. thesis, London University, 1959.

G. E. Moore, Principia Ethica, Cambridge: Cambridge University Press, 1903.

G. E. Moore, Ethics, Home University Library, London: Oxford University Press, 1912.

G. E. Moore, "The Nature of Moral Philosophy", Philosophical Studies, London, Routledge & Kegan Paul, 1922.

A. Musil, The Manners and Customs of the Rwala Bedouins, New York: American Geographical Society, Oriental Explorations and Studies No. 6, 1928.

A. Naess, Interpretation and Preciseness, Skrifter utgitt av Det Norske Videnskabs-Akademi i Oslo, Oslo: Jakob Dybwad, 1953.

A. Naess and J. Galtung, Gandhis Politiske etikk, Oslo: Johan Grundt Tanum, 1955.

A. Naess and J. A. Christophersen and K. Kvalø, Democracy, Ideology and Objectivity, Oslo: Oslo University Press, 1956.

Nasr el Hag Ali, Education in the Northern Sudan, mimeo., Khartoum: Publications Bureau, Ministry of Education, 1954.

T. S. Nordenstam and D. J. Shaw, The Student Community in the University of Khartoum, mimeo., The Institute of Development Studies at the University of Sussex, 1957 (a).

T. S. Nordenstam and D. J. Shaw, The survey of the Students in the University of 62/63, Khartoum, mimeo., Brighton, 1957 (b).

H. Ofstad, An Inquiry into the Freedom of Decision, London: George Allen & Unwin, 1961.

R. F. Peck and R. j. Havighurst, The Psychology of Character Development, Wiley, 1960.

J. G. Peristtany, ed., honour and Shame. The Values of Mediterranean Society, London: Weidenfeld and Nicolson, 1965.

J. A. Pitt-Rivers, The People of the Sierra, London: Weidenfeld and Nicolson 1954.

R. Pound, An Introduction to the Philosophy of Law. Yale Paperbound ed., New Haven: Yale University Press, 1959.

A. J. Richards, "Th Village Census in the Study of Culture Contact", in B. Malinowski, ed., Methods of Study of Culture Contact in Africa, Oxford: Oxford University Press, 1938.

A. A. Roback, The Psychology of Character, London: Kegan Paul, 1927.

Saad ed Din Fawzi, "Ethnic and Cultural Pluralism In the Sudan", in Ethic and Cultural Pluralism in Intertropical Communities, Report of the XXXth Meeting of the International Intitute of Differing Civilizations, Bruxelles: International Institute of Differing Civilizations, 1957.

H. Sidgwick, The Methods of Ethics, 7th ed., London: Macmillan, 1907.

J. C. C. Smart, An Outline of a System of Utilitarian Ethics, Melbourne: Melbourne University Press, 1961.

A. Southall, "Introductory Summary", in A. Southall, ed., Social Change in Modern Africa, London: Oxford University Press, 1961.

M. E. Spiro, "Social Systems, Personality, and Functional Analysis", in B. Kaplan, ed., Studying Personality, Cross-Culturally, Evanston, Ill.: Row, Peterson and Co.,1961.

R. Stagner, Psychology of Personality, 3rd ed. (International Student Edition), New York: McGraw-Hill, 1961.

C. L. Stevenson, Ethics and Language, New Haven: Yale University Press, 1944.

P. W. Taylor, Normative Discourse, Englewood Cliffs, N. J.: Prentice Hall, 1961.

J. S. Trimingham, Islam in the Sudan, London: Oxford University Pres, 1949.

F. Waismann, "Verifiability", in A. Flew, ed., Logic and Language, First Series, Oxford: Basil Blackwell, 1952.

W. M. Watt, Muhammed at Mecca, Oxford: Clarendon Press, 1960.

H. Wehr, A Dictionary of Modern Written Arabic, ed. by J. M. Cowan, Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1961.

E. Westrmarck, The Origin and Development of the Moral Ideas, Vol. I, 2nd ed., London: Macmillan, 1912.

G. Wilson, "An African Morality", in S. and P. Ottenberg, eds., Cultures and Societies of Africa, New York: Random House, 1960.

E. Wistrand, Politik och litteratur i antikens Rom, Uppsala: Almqvist & Wiksell, 1962.

G. H. von Wrght, Norm and Action, London: Routledge & Kegan Paul, 1963 (a).

G. H. von Wright, The Varieties of Goodness, London: Routledge & Kegan Paul, 1963 (b).

The Koran, translated by E. H. Palmer. London: Oxford University Press, 1928.

رقم الايداع ٩٤/٩٣/٢٨٢٠

المترجـــم

د . أحمد على محمد المهدى

* تخرج فى كلية الآداب - جامعة الخرطوم - ١٩٧٥م .
* نال درجة الماجستير ١٩٧٨م فى جامعة بيرمنجهام .
* نال درجة الدكتوراه ١٩٨٤م من جامعة بيرمنجهام .
* رئيس قسم الفلسفة ١٩٨٩م - ١٩٩١م .
* نائب عميد كلية الآداب بجامعة الخرطوم من ١٩٩٢م إلى ١٩٩٧م
* المحرر العام لدار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٩٧م .
* أستاذ مشارك بقسم الفلسفة - جامعة الخرطوم .
* نشرت له جامعة بيرقن بالنرويج كتاباً فى فلسفة التاريخ بعنوان :

The Structure of Historical Knowledge.

* نشرت له العديد من الأبحاث والمقالات فى مجلات محكمة .
* شارك فى العديد من المؤتمرات المحلية والعالمية .

مؤلف الكتاب

بروفسير تورى نوردنستام

* أستاذ كرسى الأخلاق بجامعة بيرقن بالنرويج والجامعات الاسكندنافية .
* تولى التدريس بقسم الفلسفة جامعة الخرطوم ١٩٦١م - ١٩٦٦م .
* التحق بجامعة أوميا بالسويد ١٩٦٦م - ١٩٦٨م .
* نال درجة الدكتوراه بجامعة الخرطوم ١٩٦٥م .
* نشرت له العديد من الكتب والمقالات الفلسفية .
* له إهتمام خاص بالأخلاق السودانية وكتب عنها عدة أبحاث منشورة .



تصميم الغلاف : محمد عثمان الحاك

دار جامعة الخرطوم للنشر